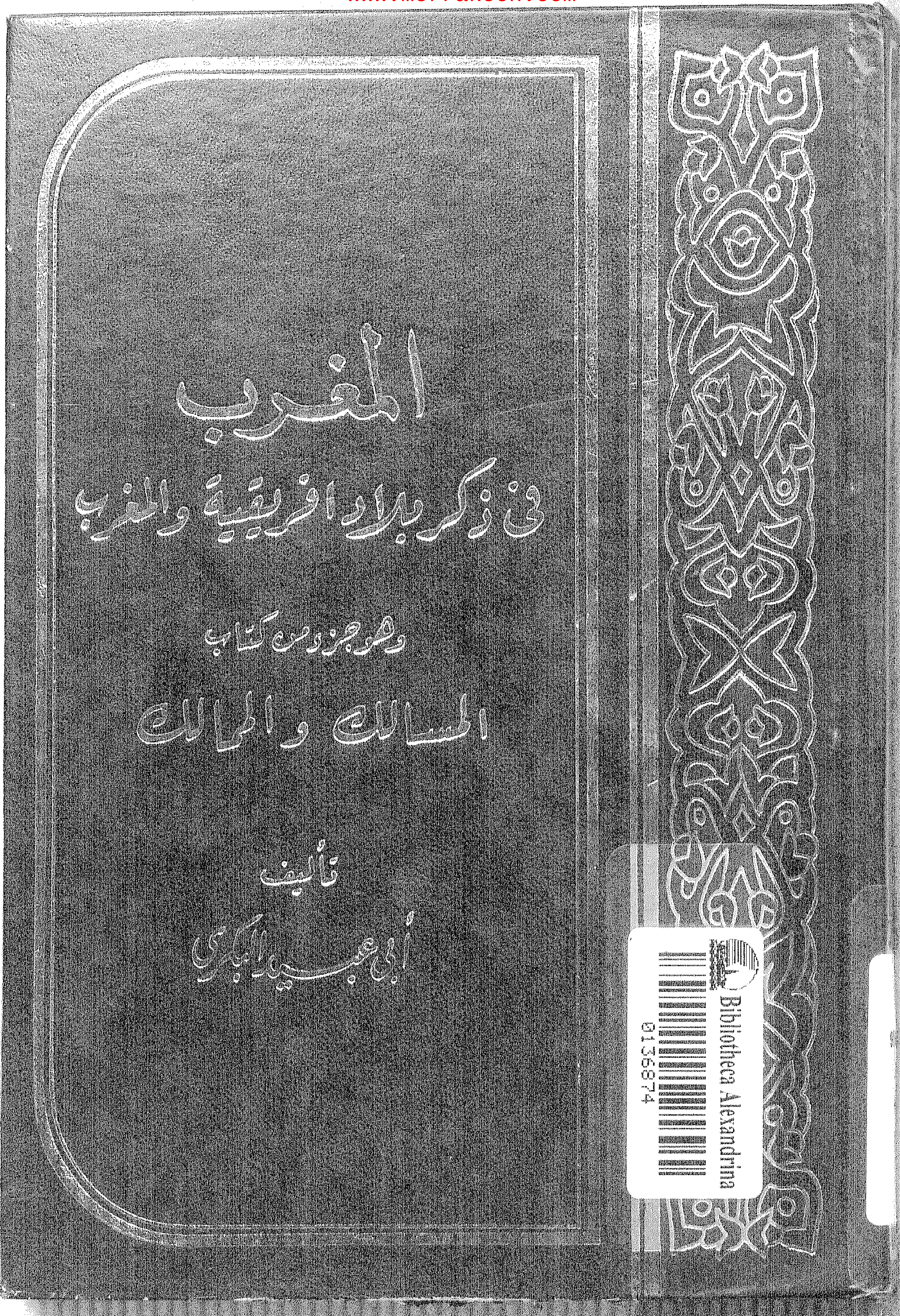
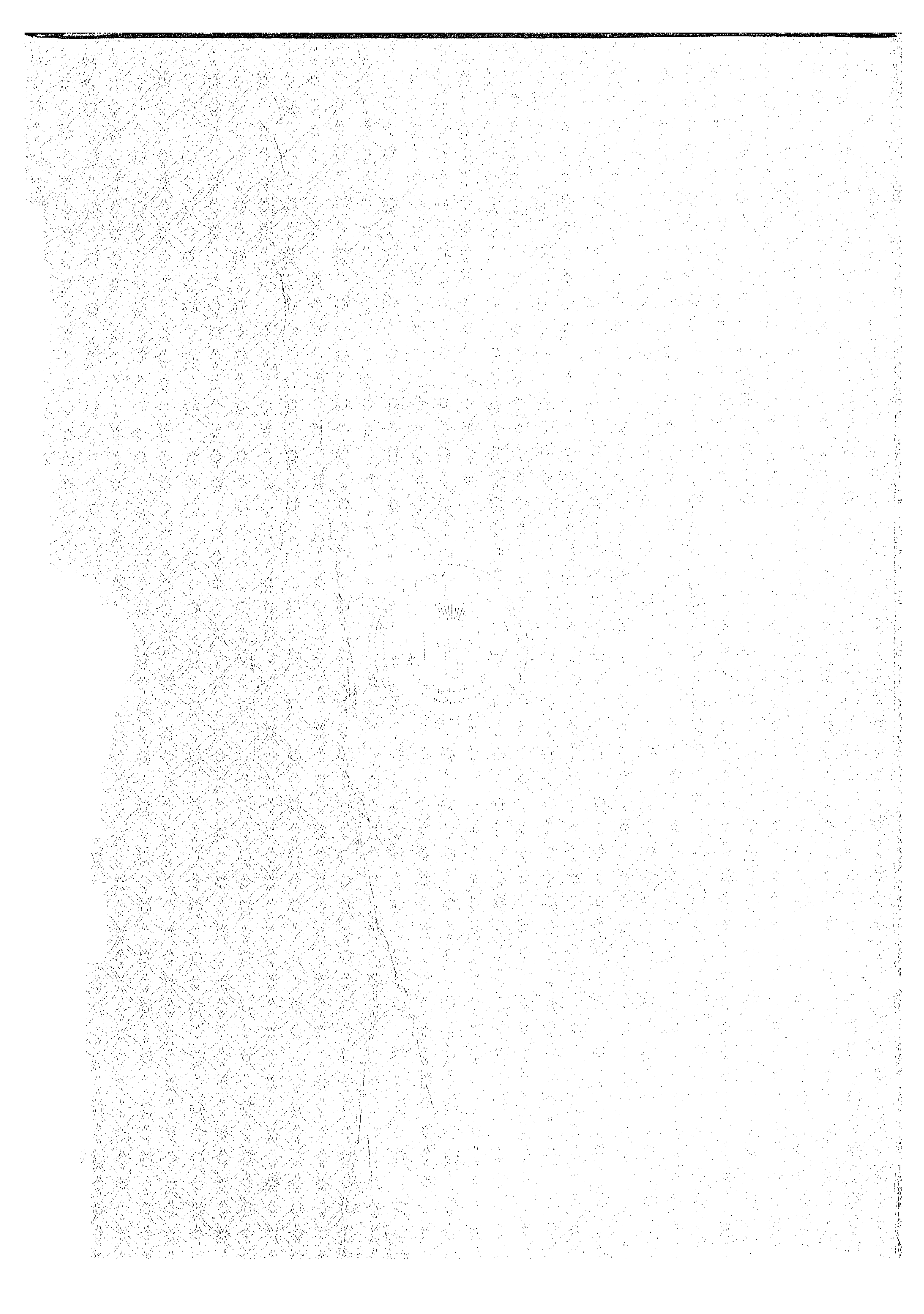
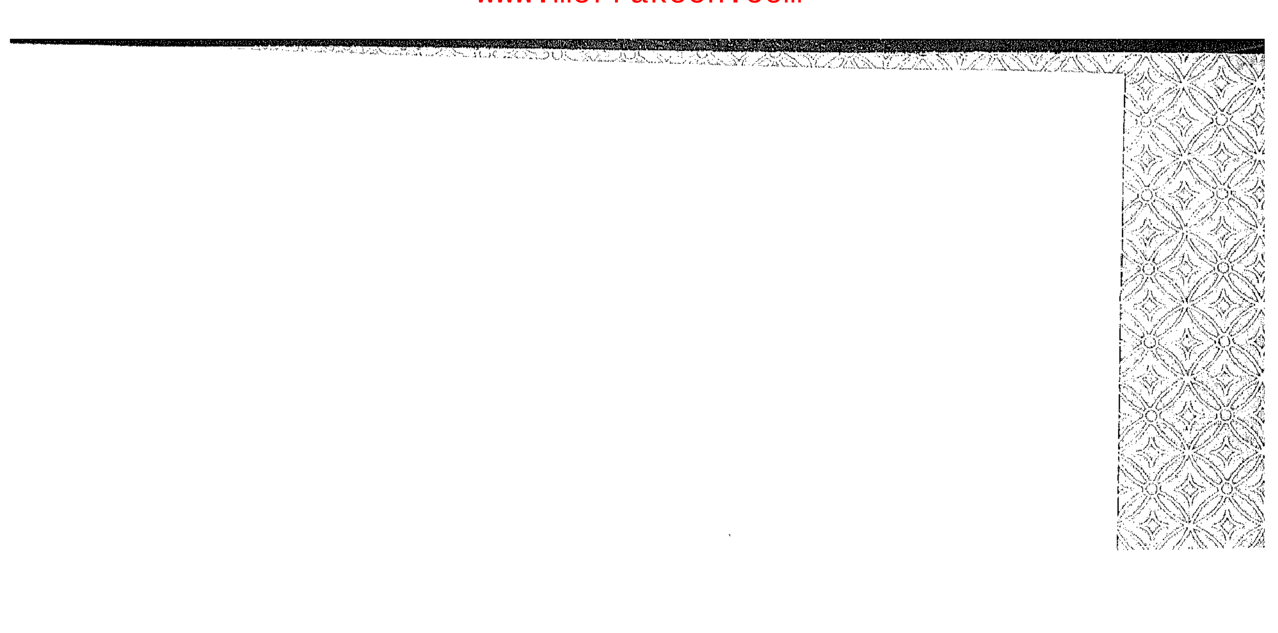

المغرب
في ذكر بلاد افريقية والمغرب
وهو جزء من كتاب
المسالك والممالك
تأليف
أبي عبيد البكري
Bibliotheca Alexandrina
0136874





المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب

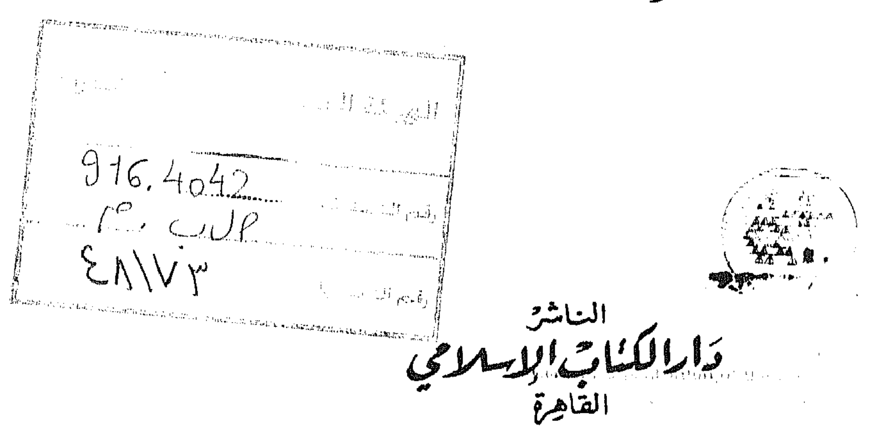
وهو جزء من كتاب

المسالك والممالك

تأليف

أبى عبيد البكرى

المتوفى سنة ٤٨٧ هـ



الناشر
دار الكتاب الإسلامي
القاهرة

بســـسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على خير المرسلين

المشهور من المدن والقرى في الطريق من مصر الى برقة والمغرب

ترنوط وهي قرية جامعة على النيل بها اسوان ومسجد جامع وكنيسة وخراب كثير خربته كتامة اذ كانوا هنالك مع ابي القاسم بن عبيد الله الشيعي واكثر بنيانها بالاجر وبها معاصر سكر ومن ترنوط الى المنى وهي ثلاثة مدن قايمة البنية خالية فيها قصور شريفة في صحراء رمل ربما قطع فيها الاعراب على الرهبان وتلك القصور محكمة البناء متجددة الجدر اكثرها على ازاج معقودة يسكن بعضها رهبان وبها ابار عذبة قليلة الماء ومنها الى ابي مينى وهي كنيسة عظيمة فيها عجايب من الصور والنقوش توقد قناديلها ليلا ونهارا لا تطفا وفيها قبو عظيم في اخر مبانيها فيها صورة جملين من رخام عليهما صورة انسان قايم رجلاه على الجملين احدى يديه مبسوطة والاخرى مقبوضة يقال انها صورة ابي مينى كل ذلك من رخام وفي هذه الكنيسة صور الانبيـــاء كلهم عليهم السلام صورة زكرياء

ويحيى وعيسى في عمود رخام عظيم على ذات يمين الداخل يغلف عليها باب وصورة مريم فد اسدل عليها ستران وصور ساير الانبياء ومن خارج الكنيسة صور جميع الحيوان واهل الصناعات من جملتها صورة تاجر الرفيف ورفيفه معه وبيده خريطة مفتوحة الاسفل يعني ان التاجر بالرفيف لا ربح له وفي وسط الكنيسة فبة فيها ثماني صور يزعمون انها صور الملايكة وفي جهة من الكنيسة مسجد محرابه الى القبلة يصلي فيها المسلمون حولها ثمار كثيرة وعامتهـا اللوز الاملس والخروب المعسّل الرطب يعقد منه الاشربة وكروم كثيرة يحمل اعنابها وشرابها الى مصر ويقولون ان سبب بنيان هذه الكنيسة ان فبرا كان في موضعها وكان بالفرب منه فرية وان رجلا من اهلها كان مفعدا فزال عنه حماره فزحف في طلبه ليصرفه حتى وصل الى القبر فلما صار عليه انطلق ماشيا فمشى الى حماره واستولى عليه راكبا وانصرف الى موضعه صحيحا فتسامع الناس ذلك فلم يبق عليل الا فصد ذلك القبر فجلس عليه فافاق فبنيت عليه هذه الكنيسة وقصدها اولوا الاسقام ليستشفعوا بها فبطل ذلك بعد بنايها ويودى من القسطنطينية الى هذه الكنيسة في كل عام الاف دينار ۞ وذات الحمام وهي سوق جامعة بها جامع بناه زيادة الله بن الاغلب منصرفه من المشرق الى افريقية بازايه بير غزيرة طيبة حولها جباب وبساتين وبها فصر خرب يتداولون سكانه روابط صاحب مصر وسميت ذات الحمام لان كل من شرب من مايها حم الا من عافاه الله ولذلك يقول الحداة رب سلمنا من الحجاز وغلاها ومن مصر ووباها ومن ذات الحمام وحماها ۞ واما الحنيّة فهي شطر حنية فايمة في وسط محص بينها وبين البحر شرفي يقال انها كانت ساده الاسكندرية وينزل حولها مزاتة ولواتة خصايص وبين

الحنية وذات الحمام مايده رخام اسود يقال انهـا كانت مايدة فرعون تحتها جب يعرف بالنيس ۞
والكنايس وهي ثلاثة قصور مهدمة بالقرب منها عقبة تعرف باباريفيس وهما بيران عذبنا الماء بعيدتا الارشية ۞ وقال غيره من جب العوسج الى قباب معان بينهما ثلاثون ميلا وهي المعروفة بخرايب القوم قال محمد خرايب القوم مدينة خربها الروم فيها جباب وبغربي خرايب القوم قصر ابى معد نزار بن خلد بن يحيى بن بابان ينزله من قريش من قرابة جبير بن مطعم نحو عشرين بيتا واحياء كثيرة من بنى مدلج ومن قبايل البربر نحو الف بيت من فاضلة وبنى عفيدان ويذكر ان كثيراما تتبدل صورة المولودة عندهم فتصير في خلف الغول والسعلاة وتعدو على الناس حتى تغل وتقيد ۞ قال محمد بن يوسف اخبرنى محمد بن قاسم صاحب اسنجة انه صح عنده ذلك او شاهده ومنها الى مدينة الرمادة وهي مدينة لطيفة بقرب البحر لها سور ومسجد جامع وحولها بساتين بانواع الثمار وبالقرب منها قصر الشماس وفيه عمارة يسيرة ومن خرايب القوم الى مدينة الرمادة خمسة وثلاثون ميلا ومنها الى خرايب ابى حليمة وهو قصر معمور وبه سوق وابار خمس وجباب على البعد فاذا اتيت قصر الروم وهي افناء طوب يشرف عليها جبل في صحبه جباب ماء اكبرها تعرف بالمطبّلة فاذا جيت وادى مخيل وهو حصن فيه جامع وله سوق عامرة حواليه جباب ماء وبرك وليس ينبط فيه ماء وهو راخى السعر كثير الخير وبينه وبين اجدابية خمس مراحل ۞ برقة واسمها بالرومية الاغريقية بنطابلس تفسيره خمس مدن وصار اليها عمرو بن العاصى حتى صالح اهلها على ثلاثة عشر الفا يودونهـا اليه جزيه

على ان يبيعوا من احبوا من ابنايهم في جزيتهم قال الليث بن سعد كتب عمرو بن العاصى على لواتة في شرطه عليهم ان تبيعوا ابناءكم فيما عليكم من الجزية وسُمع عمرو يقول على المنبر لاهل انطابلس عهد يوفى اهم به ومدينة برقة في صحراء حمراء التربة والمبانى فتحمر لذلك ثياب ساكنيها والمتصرفين فيها وعلى ستة اميال منها الجبل وهي دايمة الرخاء كثيرة الخير تصلح بها السايمة وتنمى على مراعيها واكثر ذبايح اهل مصر منها ويحمل منها الى مصر الصوف والعسل والقطران وهو يعمل بها بقرية من قراها يقال لها مقة فوق جبل وعر لا يرقى اليها فارس على حال وهي كثيرة الثمار من الجوز والاترج والسفرجل واصناف الفواكه ويتصل بها شعراء عريضة من شجر العرعر وبمدينة برقة قبر رويفع صاحب رسول الله صلى عليه وسلم وحول مدينة برقة قبايل من لواتة ومن الافارق وفي الطريق من برقة الى افريقية وادى مسوس فيه قباب خربة وجباب يقال ان عددها ثلاث ماية وستون وبها بساتين وفي هذا الوادى التربة التى يغلى منها العسل ۞ ومدينة اجدابية وهي مدينة كبيرة في صحراء ارضها صفا وابارها منقورة في الصفا طيبة الماء وبها عين ماء عذب ولها بساتين لطاف ونخل يسير وليس بها من الاشجار الا الاراك وبها جامع حسن البناء بناه ابو القاسم بن عبيد الله له صومعة مثمنة بديعة العمل وحمامات وفنادق كثيرة واسواق حافلة مقصودة واهلها ذوو يسار اكثرهم اقباط وبها نبذ من صرحاء لواتة ولها مرسى على البحر يعرف بالماحور لها ثلاثة قصور بينه وبينها ثمانية عشر ميلا وليس لمبانى مدينة اجدابية سقوف خشب انما هي اقباء طوب لكثرة رياحها ودوام هبوبها وهي راخية الاسعار كثيرة التمر ياتيها من مدينة

اوجلة اصحاب التمور ومدينة سـرت وهي مدينة كبيرة على سيـف البحـر عليها سور طوب وبها جامع وحمـام واسواق ولها ثلاثة ابواب قبلي وجوفي وباب صغير الى البحر ليس حولها ارباض ولهم نخل وبساتين وابار عذبة وجباب كثيرة ذبايحهم المعز ولحمانها عذبة طيبة ليس يوكل بطريف مصر اطيب من لحومها واهل سرت من اخسس خلف الله خلفا واسوبهم معاملة لايبيعون ولا يبتاعون الابسعر قد اتفق جميعهم عليه وربمـا نزل المركب بسـاحلهم موسوفا بالزيت وهم احوج الناس اليه فيعمدون الى الزقاق الفارغة فينفخونها ويوكونها ثم يصفونها في حوانيتهم وافنيتهم ليرى اهل المركب ان الزيت عندهم كثير باير فلو اقام اهل المركـب ما شاء الله انْ يقيموا ما باعوا منهم الا على حكمهم واهـل سرت يعرفون بعبيد قرلة وهم يغضبون من ذلك قال الشاعر يهجوهم

عبيد قرلّة شـر البـــــرايا   معـــاملة وافحشهم فعـالا
فلا رحم المهيمن اهــل سرت   ولا سقـــاهم عذبا زلالا

وقال اخر

ياسرت لا سرّت بك الانفس   لسان مدحى فيكم اخرس
البستم القبح فـــلا منظر   يرون منكـــم لا ولاملبس
بخستم في كل اكرومـــــة   وفي الخنـا واللوم لم تبخسوا

ولهم كلام يتراطنون بــه ليس بعربي ولا عجمي ولا بربري ولا قبطي ولا يعرفه غيرهم وهم على خلاف اخلاق اهل اطرابلس فان اهـــل اطرابلس احسن خلق الله معاشرة واجودهم معاملة وابرهم بغريب ومن سرت الى اطرابلس عشر مراحل ومن سرت الى اجدابية ست مراحل ومن اجدابية الى برقة ست مراحل ايضـــا ۞ مدينة اطرابلس ويذكر ان تفسير اطرابلـس بالاعجمية الاغريقية ثلاث

مدن وسماها اليونانيون طربليطة وذلك بلغتهم ايضا ثلاث مدن لان طر معناه ثلاث وبليطة يعنى مدينة ويذكر ان اشبـاروس فيصر هو الذى بناها وتسمى ايضا مدينة اطرابلس مدينة اناس وعلى مدينة اطرابلس صور صخر جليل البنيان وهى على شاطى البحر ومبنى جامعها احسن مبنى ولها اسوان حافلة جامعة وحمامات كثيرة فاضلة وباطرابلس مسجد يعرف بمسجد الشعـاب مقصود وحولها اقباط فى ذى البربر كلامهم بالقبطية فى قرارات فى شرقيها وغربيها مسيرة ثلاثة ايام الى موضع يعرف ببنى السابرى وفى القبلة مسيرة يومين الى حد هوارة وفيها رباطـات كثيرة ياوى اليهـا الصالحون اعمرها واشهرها مسجد الشعاب ومرساها مامون من اكثر الرياح ۞ ومغمداس ومنها الى قصور حسان مرحلة ومن سرت الى مغمداس مرحلة ومن قصور حسـان الى الراشدة وهى بير شريب سماها بهذا الاسم حسان بن النعمـان هذا وانت تتوجـه من مصر الى المغرب ومغمداس هو صنم قايم على شـاطى البحر حوله اصنـام وبه قصر بنـاه الاعرابى عامـل سرت لبنى عبيد الله وبمغمداس التقا ابو الاحوص عمرو العجلى مع ابى الخطـاب عبد الاعلى بـن السـمح الغايم بدعوة الاباضية فاقتتلـوا على البحـر فانهزم ابو الاحوص العجلى الى مصـر واحتـوى ابـو الخطاب على معسكره وقتل بشـرا كثيرا من اصحـابه وانصرف الى اطرابلس وذلك سنة اثنتين واربعين ومائة ولما قتل زهير بن قيس ببرقة استعمل عبد الملك بن مروان حسان بن النعمان الغسانى على افريقية فخرج اليها فى المحرم سنة ثمان وستين فلقى عسـاكر الكاهنة بارض قابس وعلى مقدمتها القايد الذى كان مع كسيلة بن لمزم فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل صاحب خيل حسان بن النعمان

وانهزم حسان واصحابه الى المنهل المعروف بقصور حسان بطريف مصر وقتل من اصحابه عدد كثير واسر منهم نحو ثمانين رجلا فاحسنت الكاهنة اليهم واطلقتهم غير واحد وهو يزيد بن خالد القيسي فوصلوا الى حسان واخبروه بخبر يزيد فسر بذلك حسان وكتب الى عبد الملك يعلمه بما نزل به من الكاهنة ويسئله ان يمده بالجيوش فكتب اليه عبد الملك ان يقيم بمكانه فبنى هناك قصرين وهما اليوم خربان حولهما زعاق نزر في بيرين وبها جنات كثيرة ۞ القصر الابيض وهو قصر خرب وهو ادنى المراحل الى خرايب ابي حليمة على ظهر العقبة بقربه جب خربه قال محمد اخبر بعض الاسكندرانيين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كثرت ذنوبه فليلقى لوبيا وراء ظهره قال والقصر الابيض اخر حد لواتة ايضا ويسكن تحت تلك العقبة مزاتة ومدينة اطرابلس كثيرة الثمار والخيرات ولها بساتين جليلة في شرقيها ويتصل بالمدينة سبخة كبيرة يرفع منها الملح الكثير وداخل مدينتها بير يعرف ببير ابي الكنود يعيرون به ويحمف من شرب منه ويقال للرجل اذا اتى بما لا يلام لا يعتب عليك لانك شربت من بير ابي الكنود واعذب ابارها بير القبة ۞ وذكر الليث بن سعد قال غزا عمرو بن العاصي مدينة اطرابلس سنة ثلاث وعشرين حتى نزل القبة التي على الشرف من شرقيها فحاصرها شهرا لا يقدر منهم على شيء فخرج رجل من مدلج ذات يوم من عسكر عمرو متصيدا في سبعة نفر فمضوا غربي المدينة فاشتد عليهم الحر فاخذوا راجعين على ضفة البحر وكان البحر لاصقا بسور المدينة ولم يكن فيما بين المدينة والبحر سور وكانت سفن البحر شارعة في مرساها الى بيوتهم ففطن المدلجي واصحابه فاذا البحر قد غاض من ناحية المدينة فدخلوا

منه حتى اتوا من ناحية الكنيسة فكبروا فلم يكن للروم مفزع الا سفنهم واقبل عمرو بجيشه حتى دخل عليهم فلم يفلت الروم الا بما خف لهم في مراكبهم وغنم عمرو ما كان في المدينة ۞ وانما بنى سور مدينة اطرابلس مما يلي البحر هرثمة بن اعين حين ولايته القيروان ۞

ولمدينة اطرابلس فحص يسمى سوفجين يصاب فيه بعض السنين للحبة مائة حبة وهم يقولون فحص سوفجين بصيب سنة في سنين ومن اطرابلس الى جبل نفوسة مسيرة ثلاثة ايام وجبل نفوسة على ستة ايام من القيروان وطول جبل نفوسة من الشرق الى الغرب ستة ايام وتليهم قبيلة يقال لهم بنو زمّور ولهم حصن يسمى تيرفت في غاية المنعة لا يطمع فيه ولا يقدر احد عليه وبعد هذا الحصن قبيلة بني تدرميت لهم ثلاثة حصون وفي وسط هذه القبايل مدينة كبيرة تسمى جادوا لها اسواق ويسكنها يهود كثير قال محمد بن يوسف ام قرى جبل نفوسة مدينة شروس وهي كبيرة اهلة جليلة اهلها اباضية ليس بها جامع ولا في ما حولها من القرى وهي ازيد من ثلاث مائة قرية اهلة لم يتفقوا على رجل يقدمونه للصلاة بهم وبين اطرابلس ومدينة شروس خمسة ايام بينهما حصن لبدة حصن من بناء الاول بالصاروج والحجر حوله اثار عجيبة للاول وخرايب كثيرة يسكن هذا الحصن قوم من العرب جملتهم نحو الف فارس وهم محاربون لجميع من يجاورهم من قبايل البربر وهم ازيد من عشرين الفا بين راجل وفارس وظاهرون عليهم وفي وسط جبل نفوسة النخيل والزيتون الكثير والفواكه ويجتمع فيما حوله من القبايل اذا تداعوا ستة عشر الف رجل وافتتح عمرو بن العاصي رحمه الله نفوسة وكانوا نصارى ومن نفوسة رجع

عمرو بكتاب عمر رضى الله عنه ۞ ومن اراد الطريق من نفوسة الى مدينة زويلة فانه يخرج الى مدينة جادوا المذكور ثم يسير ثلاثة ايام في صحراء ورمال الى موضع يسمى تيرى وهو في سفح جبل فيه ابار كثيرة ونخيل ثم يصعد في ذلك الجبل فيمشى في صحراء مستوية نحو اربعة ايام لايجد ماء ثم ينزل على بير تسمى اودرب ومن هناك يلقى جبالا شامخة تسمى تارغين يسير فيهـا الذاهب ثلاثة ايام حتى يصل الى بلد يسمى تامرما فيه نخيـل كثير يسكنه بنو فلدين وفزانة وعندهم غريبة وهو ان السـارق اذا سرق عندهم كتبوا كتابا يتعارفونه فلا يزال السارق يضطرب في موضعه ذلك ولا ينتشر حتى يقر ويرد ما اخذ ولا يسكن عنه ما به حتى يمحى ذلك الكتاب وتسير من هذا البلد الى بلد يسمى سباب يومين وهو بلد كثير النخل وكذلك الذى قبله واهل سباب يزدرعون النبات الذى يكون منه الصبغ المعروف بالنيل وتسير من سبـاب في صحراء مستوية لا شيء فيها غير رمل رقيق لا يشوبه حجر ولا مدر اذا رأى الرائي العظم في تلك الصحراء من بعيد حسبه قصرا وان رأى بعرة حسبهـا رجلا ومن هذه الصحراء الى زويلة يـوم وفي نحو في مدينة اجدابية وهي مدينة غير مسورة في وسط الصحـراء وهي اول حد بلاد السودان وبها جامع وحمام واسواق يجتمع بها الرفاق من كل جهة منها ومنهـا يفترق قاصدهم وتتشعب طرقهم وبها نخيل وبساط للزرع يسقى بالابل ۞ ولما فتح عمرو برقة بعـث عقبة بن نافع حتى بلغ زويلة وصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين وبزويلة قبر دعبل بن على الخزاعى الشاعر قال بكر بن حماد

الموت غادر دعبلا بزويلة وبارض برقة احمد بن خصيب

وبين زويلة ومدينة اجدابية اربعة عشر مرحلة ولاهل زويلة

حكمة في احتراس بلدهم وذلك ان الذى عليه نوبة الاحتراس منهم يعمد الى دابة فيشد عليها حزمة حطب كبيرة من جرايد النخل تنال سعفها الارض ثم يدور بها حوالى المدينة فاذا اصبح من الغد ركب ذلك المحترس ومن يتبعه على جمال السروج وداروا بالمدينة فان راوا اثرا خارجا من المدينة اتبعوه حتى يدركوه اينما توجه لصا كان او عبدا او امة او بعيرا ۞ وزويلة من اطرابلس بين المغرب والقبلة ويجلب من زويلة الرقيق الى ناحية افريقية وما هنالك ومبايعاتهم بثياب قصار حمر وبين زويلة وبلد كانم اربعون مرحلة وهم وراء صحراء بلاد زويلة لايكاد احد يصل اليهم وهم سودان مشركون ويزعمون ان هنالك قوم من بنى امية صاروا اليها عند محنتهم بالعباسيين وهم على زى العرب واحوالها وبين مدينة زويلة ومدينة سبهى مسيرة خمسة ايام وهي مدينة كبيرة بها جامع واسوان وبين مدينة سبهى ومدينة هل مثل ذلك وهي مدينة عامرة كثيرة النخل وعيون الماء ومن مدينة هل الى مدينة ودان يوم ولها قلعة حصينة وللمدينة دروب وهي مدينتان فيها قبيلتان من العرب سهميون وحضرميون فتسمى مدينة السهميين دلباك ومدينة الحضرميين مدينة بوصى وجامعها واحد بين الموضعين وبين القبيلتين تنازع وتنافس قد دال ذلك بهم مرارا الى الحرب والقتال وعندهم فقهاء وقراء وشعراء واكثر معيشتهم من التمر ولهم زرع يسير يسقونه بالنضح ومن مدينة ودان الى مدينة تاجرفت ثلاثة ايام وهي مدينة اهلة بها جامع يسكنها اهل ودان والتمر بها كثير واكثر اجناسه البرنى ومنها يخرج الى مدينة سرت وبينها وبين زويلة مسيرة اثنى عشر يوما وبينها وبين مدينة ودان مثل ذلك وهي متوسطة بينهما زويلة بغربيها

وودان بشرقيها هكذا قال محمد والذى مر هنـا من ذكر المسافة
بين تاجرفت وزويلة اربعة عشر يوما على الطريق الاقصد ومن
تاجرفت الى الفسطاط تسع وعشرون مرحلة ۞ وطريق اخر من
زويلة الى تاجرفت من زويلة الى مدينة تمسّى يومان ومدينة
تمسى كبيرة بها جامع واسواق يسيرة ومنها الى مدينة زلهى
ثمانية ايام في صحراء وفي وسط الطريق منزل لاهل ودان ومدينة
زلهى كبيرة واسعة فيها جامع ولها نخل كثيرة وعين ماء نزة
يسكنها مزاتة ثم تمشى ستة ايام الى قصر بركانة ثم الى الفاروج وهو
قصر قد خرب يجاورة جب وحوله سبخة وبينه وبين سرت خمس
مراحل ثم الى مدينة اجدابية مرحلة ثم منها ثلاثة ايام الى قصر
زيدان الفتى ثم تمشى اربعة ايام الى مدينة اوجلة وهي مدينة عامرة
كثيرة النخل واوجلة اسم الناحية واسم المدينة ارزاقية واوجلة قرى
كثيرة فيها نخل وشجر كثير وفواكه وبمدينتها مساجد واسواق ثم
اربعة ايام الى مدينة تاجرفت ومن سلك من اطرابلس الى ودان فانه
يسير في بلد هوارة نحو الجنوب في فياطن وبيوت شعر وهناك
مرعيات ومنازل الى قصر ابن ميمون وذلك كله من عمل اطرابلس
ثم من قصر ابن ميمون ثلاثة ايام الى صنم من حجارة مبنى على
ربوة يسمى كرزة ومن حواليه من قبايل البربر يقربون له القرابين
ويستشفعون به من ادوايهم ويتبركون به في اموالهم الى اليوم ومن
هذا الصنم الى ودان مسيرة ثلاثة ايام ۞ وكان عمرو بن العاصى قد
بعث الى ودان بسر بن ارطاة وهو محاصر اطرابلس فافتتحها
وذلك سنة ثلاث وعشرين قال ابن عبد الحكم ثم انهم نقضوا عهدهم
ومنعوا ما كان بسر بن ارطاة فرض عليهم فخرج عقبة بن نافع
الفهرى الى المغرب بعد معوية بن حديج وذلك سنة ست واربعين

ومعه بسر بن ارطاة وشريك بن سمي المرادي فاقبل حتى نزل
غدامس من سرت فخلف عقبة جيشه هنالك واستخلف عليهم
زهير بن قيس البلوي ثم سار بنفسه في اربع ماية فارس واربع
ماية بعير وثمانماية قربة ماء حتى قدم ودان فافتتحها واخذ
ملكهم فجدع اذنه فقال لمَ فعلت هذا وقد عاهدني المسلمون قال
ادبا لك اذا مسست اذنك ذكرت فلم تحارب العرب واستخرج
منه ما كان بسر فرض عليه ثلاث ماية راس وستين راسا ثم سالهم
عقبة هل وراءكم احد قالوا جرمة وهي مدينة فزان العظمى فسار
اليها ثماني ليال من ودان فلما دنا منها ارسل فدعاهم الى الاسلام
فاجابوا فنزل منهم على ستة اميال وخرج ملكهم يريد عقبة
وارسل عقبة خيلا حالت بينه وبين موكبه فامشوه راجلا حتى
اتى عقبة وقد لغب واعيّ وكان ناعما فجعل يبصق الدم فقال لمَ
فعلت هذا وقد اتيتك طايعا فقال عقبة ادبا لك اذا ذكرته لم
تحارب العرب وفرض عليه ثلاث ماية عبد وستين عبدا ثم مضى
عقبة من فوره الى قصور فزان فافتتحها قصرا قصرا حتى انتهى الى
اقصاها ثم سالهم هل وراءكم من احد قالوا نعم اهل جاوان
وهو قصر عظيم على راس المفازة على راس جبل وعر وهو قصبة كوّار
فسار اليهم خمس عشرة ليلة فحاصرهم شهرا فلم يستطع لهم بشيء
فمضى امامه على قصور كوار فافتتحها حتى انتهى الى اقصاها وفيه
ملكها فاخذه وقطع اصبعه فقال لمَ فعلت هذا بي قال ادبا لك
اذا انت نظرت الى اصبعك ذكرت فلم تحارب العرب وفرض عليهم
ثلاثة ماية وستين راسا ثم سالهم هل من ورايكم احد فلم يعلموا
من ورايهم احدا فكرّ راجعا الى قصر جاوان فلم يعرض له ولا نزل
به وسار ثلاثة ايام فامنوا وانبسطوا واقام عقبة بمكان اسمه اليوم

ماء الفرس فنفد ماؤهم واصابهم عطش كاد يهلكهم فصلى عقبة باصحابه ركعتين ودعوا لله عزّ وجلّ فجعل فرس عقبة يبحث بيديه في الارض حتى انكشف عن صفا فانفجر منها الماء فنادى عقبة في الناس ان احتفروا فاحتفروا ماء معينا طيبا فسمى لذلك ماء الفرس ثم كر راجعا الى جاوان من غير طريقه التى اقبل منها فلم يشعروا به حتى طرقهم ليلا فوجدهم مطمئنين قد امنوا فاستباح ما في مدينتهم من ذراريهم ونسائهم واموالهم وقتل مقاتليهم ثم انصرف راجعا حتى اتى زويلة ثم ارتحل حتى قدم عسكره بعد خمسة اشهر فسار متوجها الى المغرب وجانب الجادّة واخذ الى ارض مزاتة فافتتح كل قصر بها ثم سار الى قفصة فافتتحها وافتتح قسطيلية ثم انصرف الى القيروان ۞

۞ الطريق من اوجلة المتقدمة الذكر
الى الواحات ۞

من اوجلة الى بلد سنترية عشر مراحل في صحراء ورمال قليلة الماء وسنترية هذه كثيرة العيون والثمار والحصون اهلها بربر لا عرب فيهم وتسير من سنترية على طرق شتى الى اودية الواحات ومن سنترية الى بهنسى الواحات عشر مراحل وهي غير بهنسى الصعيد ومن بهنسى الواحات الى اريش الواحات ثماني مراحل ۞ بهنسى الواح مدينة مسورة فيها اسوان ومساجد وذكر محمد بن سعيد الازدى رجل من ابناء مدينة سفاقس انه دخلها وراى فيها في يوم عيد النصارى واهلها عرب مسلمون وقبط نصارى تابوتا فيه رجل ميت يجعلونه على عجلة يسمونه ابن فرقى ويزعمون انه من الحواريين يتطوفون به في سكك البلد ويتبركون بذلك ويتقربون الى الله

تجر تلك العجلة البقر فان نفرت من موضع ولم تسر فيه علموا ان في ذلك الموضع نجاسة ۞ واريش بلد كثير العيون الحارّة والثمار والنخيل مياهها كلها حامة ومن اريش ثلاثة ايام الى الفرفرون وبالفرفرون معادن الشبوب المريّش والقصبى وفيه انواع الزاج وفيه العيون الحامضة وغير ذلك من المياه المختلفة الاطعمة والفرفرون هذا بلد كثير الاشجار والنخيل وفيه قرى كثيرة واهلها قبط نصارى وتسير من الفرفرون الى الواح الداخل اربع مراحل في صحراء لا ماء فيها ولا عمارة وهذا الواح الداخل كثير الانهار والعمارات والحصون منها حصن يسمى بالقصر في وسط عين ماء ثرثار يتشعب منه انهار تسقى زرعهم ونخلهم وثمارهم وتسير منه في قرى متصلة الى حصن يسمى قلمون مياهه حامضة منها يشربون ويسقون وبها قوامهم وان شربوا سواها من المياه العذبة استوبؤوه واخر هذا الواح الداخل قرية كبيرة تسمى القصبة لها مياه عذبة سائحة تسقى نخلها وثمارها ولها ثلاث اعين ملحة تجتمع ماؤها في سباخ فيكون ملحا ملح العين الواحدة ابيض وملح العين الثانية احمر وملح العين الثالثة اصفر وهذا الاصفر هو المستعمل بمصر وبرقة ومن هذا الواح الى الواحين الخارجين ثلاث مراحل وهو اخر بلاد الاسلام وبينه وبين بلاد النوبة في صحراء ست مراحل وفي بعض الواحات قبايل من لواتة وزعموا ان في اقصى الواحات بلد يقال له واح صبرو وانه بلد لا يقع عليه الا من قد ضل في الصحراء في النادر من الزمان فالواقع عندهم يقول انه يكون في بلادهم ما شاء وهم في اخصب عيش فاذا اراد الرجعة اروه صوب بلاده وقد وقع في هذا البلد من عرب بنى قرّة رجة بن فايد القرى ورجع الى موضعه ثم طلبه بعد ذلك فلم يقدر عليه فاعدّ مقرب بن ماضى امير

بنى فرة بعد عشرين واربع ماية من الهجرة زادا وماء كثيرا وظهرا وذهب في الصحراء يطلب واح صبروا وبقى يجول في الصحــراء مدة فلم يقدر عليها حتى خاب من نفاد الزاد فكر راجعا فنزل ذات ليلة ربوة من الارض في بهماء تلك الصحارى فوجد بعض اصحابه في ناحية من تلك الربوة بنيانا للاول فبحثوا عنه فاذا هو لبن نحاس احمر يحيط بالربوة اساس سور للاول فاوفروا منه جميع مــا كان عندهم من الظهر ورحلوا عنه ولو قدروا على اصــابة موضعه لم يفرغ من نقل ما فيه من النحاس الا في الزمان الطويل واتى مقرب في منصرفه الواح الخارج فاخبره رجل من اهله انه غدا الى حايطه فوجد اكثر تمرة قد اكل ووجد اثر قدم انسان لا يشبه هذا الخلق في العظم فاحترسه هو واهله ليالى حتى طرقهم في بعـض الليالى خلف عظيم لم يعهد مثله وجعل ياكل التمر فلما اهمّوا به واحسّ بهم بارى الريح حضرا ولم يعلموا له امرا فنهض معهم مقرب الى الاثر حتى وقف عليه فاستعظمه وامرهم ان يحفروا زبية في الموضع الذى كان يدخل منه ويغطوا اعلاها بالحشيش ويرقبوه ليالى تباعا ففعلوا فلما كان بعد ليال اقبل على عادته فتردى في الزبيــة فبدروا فغلبوه بكثرتهم وترديه فاذا هي امراة ســـوداء عظيمة الخلف مفرطة الطول والعرض لا يفقه منها كلمة فكلموها بكل لسان علم هنالك فلم تجاوب منهم احدا فبقيت عندهم اياما ياتمرون في امرها ثم اتفقوا على ارسالها وركوب النجب والخيـل في اثرها الى ان يقفوا منها ومن موضعها على حقيقة خبر فلما ارسلت لم يكن طرف العين يلحقها وفاتت شـاو النجب والخيل ولم يقف احد من امرها على حقيقة ۞ ويذكرون ان هناك رمال عظيمة تعرف بالجزاير كثيرة النخل والعيون لا عمران فيهــا ولا انيس بهـا وان

عزيب الجن يسمع بها الدهر كله وربما اقام بهـا غزاة السودان ولصوصهم لانتهاز الفرصة في المسلمين ويتكادس التمر هناك اعواما لا يقع عليه احد ولا يبلغ اليه حتى ينتجعه النـاس في السنين الجدبة وعند الحاجة والضرورة ۞

۞ فاما الطريق من اطرابلس الى قابس ۞

فمن اطرابلس الى صبرة وهو بلد معمور يسكنه زواغة ثم الطريق من صبرة على ما تقدم قبل هذا عند ذكر الطريق الى القيروان ومدينة قابس مدينة جليلة مسورة بالصخر الجليل من بنيان الاول ذات حصن حصين وارباض واسواق وفنادق وجامع سريّ وحمامات كثيرة وقد احاط بجميعها خندق كبير يجرون اليه الماء عند الحاجة فيكون امنع شيء ولها ثلاثة ابواب وبشرقيها وقبليها ارباضها ويسكنها العرب والافارق وفيها جميع الثمار والموز بها كثير وهي تمير القيروان باصناف الفواكه وبها شجر التوت الكثير ويقوم من الشجرة الواحدة منها من الحرير ما لا يقوم من خمس شجرات من غيرهـا وحريرهـا اطيب الحرير وارقّه وليس في كـل افريقية حرير الا في قابس واتصال بساتين ثمارها مقدار اربعة اميال ومياهها سائحة مطردة يسقى بها جميع اشجارها واصل هذا المـاء من عين خرّارة في جبل بين القبلة والغرب منها يصب في بحرها وبها قصب السكر كثير وبقابس منار منيف ويحدو الحادي عند قدومه من مصر الى افريقية فيقول

لا نَومَ لا نوم ولا قرارا   حتى ارا قابس والمنارا

وساحل مدينة قابس مرفا للسفن من كل مكـان وحوالى قابس

فبايل من البربر لواتة ولماية ونعوسة ومزاتة وزواغة وزوارة وقبايل شتى اهل اخصاص وكانت ولايتها منذ دخل عبيد الله افريقية تتردد في بني لقمان الكتامي قال الشاعر

لولا ابن لقمانَ حليف الندَى سُلّ على قابس سيف الردَى

ويجاورها جزيرة في البحر تعرف بجزيرة رازوا بينهما مسيرة اكثر من يوم عامرة اهلة وكثيرا ما يمتنع اهلها على السلاطين وبين مدينة قابس والبحر ثلاثة اميال ومما يذكرون من معايبها ان اكثر دورهم لا مذاهب فيها وانما يتبرزون في الافنية ولا يكاد احد منهم يفرغ من قضاء حاجته الاوقد وقف عليه من يبتدر اخذ ما يكون منه لتدمين البساتين وربما اجتمع على ذلك النفر فيتشاحّون فيه فيخصّ به من اراد منهم وكذلك نساؤها لا يرين في ذلك عليهن حرجا اذا استترت احداهن وجهها ولم يعلم من هي ويذكر اهل قابس انها كانت اصح البلاد هواء حتى وجدوا بها طلسما ظنوا ان تحته مالا فحفروا موضعه فاخرجوا منه تربة غبراء فحدث عندهم الوباء من حينئذ بزعمهم واخبر ابو الفضل جعفر بن يوسف الكلبي وكان كاتبا لمونس صاحب افريقية انهم كانوا في ضيافة ابن وانمّو الصنهاجي صاحب مدينة قابس فاتاه جماعة من اهل البادية بطاير على قدر الحمامة غريب اللون والصورة ذكروا انه لم يروه قبل ولا عهدوه كان فيه من كل لون اجمله وهو احمر المنقار طويله فسال ابن وانمو من حضره من العرب والبربر وغيرهم هل رءاه احد منهم فلم يعرفه احد ولا سماه فامر ابن وانمو بقص جناحيه وارسل في القصر فلما جن الليل جعل في القصر مشعل نار فما هو الا ان رءاه ذلك الطاير فقصده فصده واراد الصعود اليه فدفعه الخدّام وجعل يلحّ في التكرار على المشعل

فاعلم ابن وانموا بذلك ففام وفام من حضر معه فال جعفر وكنت فيمن حضر فامر ابن وانموا بنرك الطاير وشـانه فصـار في اعلى المشعل وهو ينناج نارا واستوى في وسطه وجعل ينفلّى كما يفعل ساير الطير في الشمس فامر ابن وانموا بزيادة الوفود في المشعل من خرق الفطران وغير ذلك فزاد تاج النار والطاير فيه على حـالته لا يكترث ولا يبرح ثم وثب من المشعل بعد حين يمشى لم يربه ريب واخبر فوم من اهل افريفية انهم سمعوا خبر هذا الطاير بمدينة فابس والله اعـلم بحفيفة ذلك وعلى مفربة من فابس جـزيرة جربة فيها بساتين كثيرة وزيتون كثير واهلها مفسدون في البر والبحر وهم خوارج وبينهـا وبين البر الكبير مجاز ۞ فال حنش بن عبد الله الصنعانى غزونا مع رويفع بن ثابت الانصـارى المغرب فافتتح فرية من فرى المغرب يفال لها جربة ففام فينا خطيبا ففال ايها النـاس لا افول فيكم الا ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفول فينا يوم خيبر فام فينـا رسول الله ففال لا يحلّ لامرءى يومن بالله واليوم الاخر ان يسفى ما زرع غيره يعنى اتيـان الحبـالى من السبى

۞ الطريف من مدينة فابس الى سفافس ۞

من مدينة فابس الى عين الزيتونة وهى عين جارية على بحر ميت عليها مرصد لجابى افريفية وهى عين مذكورة في كتب حدثان افريفية فال ابن اعفب في ارجوزته التى يذكر فيها وفايع افريفية

عند حلول الجيش بالزيتونة   تكن هنـاك الوفعة الملعونة

ومن عين الزيتونة الى تاورغى وهو منزل عامر في طرف ساحل الزيتون ومن هناك الى غافف وهو بلد معمور ومنه الى مدينة سفافس وهى مدينة على البحر مسورة ولهـا اسواق كثيرة ومساجد وجامع

وسورها صخر وطوب ولها حمامات وفنادق وبواد عظيمة وقصور جمة وحصون ورباطات على البحر منها محرس بطوبة وهو اشرفها وفيها منار مفرط الارتفاع يرقى اليه في ماية وست وستين درجة ومحرس حبلة ومحرس ابي الغُصن ومحرس مقدمان ومحرس اللوزة ومحرس الريحانة ۞ وسفاقس في وسط الذّ غابة زيتون ومن زيتها يمتار اهل مصر واهل المغرب وصقلية والروم وربما بيع الزيت منها اربعين رُبعًا قرطبية بمثقال واحد وهي محط السفن فاذا جزر الماء بقيت السفن في الحماة واذا مدّ رجعت السفن يقصدها التجار من الافاق بالاموال الجزيلة لابتياع المتاع والزيت وعمل اهلها في القصارة والكمادة كعمل اهل الاسكندرية واكثر واجود ويقابل سفاقس في البحر جزيرة تسمى قرقنة وهذه الجزيرة في وسط القصير بينها وبين مدينة سفاقس في ذلك البحر الميت القصير القعر نحو عشرة اميال وليس للبحر هناك حركة في وقت وبحذاء هذا الموضع في البحر على راس القصير بيت مشرف مبنى بينه وبين البر الكبير نحو اربعين ميلا فاذا راى قلبَ البيت اصحابُ السفن الواردة من الاسكندرية والشام وبرقة اداروها الى مواضع معلومة وجزيرة قرقنة المذكورة فيها اثار بنيان ومواجل للماء ويدخل فيها اهل سفاقس دوابهم ومواشيهم لانها خصبة

۞ الطريق من سفاقس الى القيروان ۞

من مدينة سفاقس الى طرق وهو بلد معمور ومنه الى قصر رباح وهو معمور ايضا ومن قصر رباح الى القيروان ۞

۞ الطريق من سفاقس الى المهدية ۞

من سفاقس الى لجم وهو حصن الكاهنة وهو طرب سوق الحُسيني

وفي هذا السوق قرية كبيرة اهلة تعرف بارزلس بها جامع وحمام واسواق وهي من قرى الساحل ومن لجم الى مدينة المهدية ۞

۞ ذكر افريقية وبلادها وحدودها ولِمَ سميت افريقية وذكر غرايبها ۞

قال قوم انها افريقية اى صاحبة السماء وقال اخرون سميت افريقية لان افريقس ابن ابرهة بن الرايش غزا نحو الغرب حتى انتهى الى طنجة في ارض بربر وهو الذى بنى افريقية وباسمه سميت وقيل سميت بافريق ابن ابرهيم عليه السلام من زوجته الثانية قطورى وقال قوم انما سموا الافارقة وبلادهم افريقية لانهم من ولد فارق بن مصريم وقد زعموا ان اسم افريقية ليبية سميت ببنت يافوه بن يونش الذى بنى مدينة منفيش بمصر وهي التى ملكت ملك افريقية اجمع فسمى بها ۞ وحد افريقية طولها من برقة شرقا الى طنجة الخضراء غربا واسم طنجه مورطانية وعرضها من البحر الى الرمال التى هي اول بلاد السودان وهي جبال ورمال عظيمة متصلة من الغرب الى الشرق وفيه يصاد الفنك الجيد وروى جماعة عن سحنون بن سعيد وموسى بن معوية جميعا عن ابن وهب عن سعيد بن ابى ايوب عن شرحبيل بن سويد عن ابى عبد الرحمن الجبلى قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية فقفلوا فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم شدة برد اصابهم فقال رسول الله لكن افريقية اشد بردا واعظم اجرا واسنداه ايضا عن ابن وهب عن ابن لهيعة عن بكر بن سوادة الجذامى ان سفين بن الحرث حدثهم عن اشياخهم انهم قالوا للمقداد بن الاسود صاحب النبى صلى الله عليه وسلم انك تقلت وانت تخرج في هذه المغازى

فقال خفيفا كنت او ثقيلا لا اتخلف عنها لان الله تبارك وتعالى يقول انفروا خفافا وثقالا ثم قال قدمت سرية على النبي صلى الله عليه وسلم فذكروا البرد فقال قال رسول الله ان البرد الشديد والاجر العظيم لاهــل افريقية وروى ابن ابي العرب قال حدثني فرات حدثني عبد الله بن ابي حسان عن عبد الرحمن بن زياد ابن انعم عن ابي عبد الرحمن الجبلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقطع الجهاد عن البلاد كلها فلا يبقى الا بموضع في المغرب يقال له افريقية فبينا القوم بازاء عدوهم نظروا الى الجبال قد سيّرت فيخرّون لله تبارك وتعالى سجّدا فلا ينزع عنهم اخلافهم الا خدّامهم في الجنة وكان عبد الرحمن بن زياد بن انعم يقول ينقطع الجهاد من كل بلد وسيعود الى افريقية وليضربنّ القبايل من الافاق الى افريقية لعدل امامهم ورخص اسعارهم وروى ابن ابي العرب عن عبد الله بن عمر العمري عن ابن لهيعة عن ابي قبيل عن عبد الله ابن عمرو انه قال والله ليباعن الجمل بمصر بعشرة دنانير ثم ليباعنّ بماية دينار لمغالاة الناس بها وكاني اسمع صرير المحامل على عقبة الثنية من مصر الى افريقية يطلبون بها الجهاد والعدل وليملكنّ افريقية رجل يعدل فيهم اثنين وعشرين او اربعة وعشرين سنة

۞ ذكر مسجد القيروان ۞

قد تقدم ان اول من وضع محرابه وبناه عقبة بن نافع ثم هدمه حسان حاشى المحراب وبناه وحمل اليه السارتين الحمراوين الموشاتين بصفرة اللتين لم ير الراؤون مثلها من كنيسة كانت للاول في الموضع المعروف اليوم بالقيسارية بسوق الضرب ويقولون ان صاحب القسطنطينية بذل لهم فيهما قبل نقلهما الى الجامع

زنتها ذهبا فابتدروا الجامع بهما ويذكر كل من راهما انه لم ير في البلاد ما يفترن بهما فلما كانت خلافة هشام بن عبد الملك كتب اليه عامله على الفيروان يعلمه ان الجامع يضيف باهله وان بجوفيه جنة كبيرة لفوم من فهر فكتب اليه هشام يامر بشريها وان يدخلها المسجد الجامع ففعل وبنى في صحنه ماجلا وهو المعروف بالماجل الفديم بالغرب من البلاطات وبنى الصومعة في بير الجنان ونصب اساسها على الماء واتفف ان وفعت في نفس الحايط الجوفي واهل الورع يكرهون الصلاة في هذه الزيادة ويفولون انه اكره اهل الجنة على بيعها والصومعة اليوم على بنائه طولها ستون ذراعــا وعرضها خمسة وعشرون ولها بابان شرفي وغربي وعضايد بابيها رخام منفش وكذلك عتبتهما فلما ولى افريفية يزيد بن حــاتم سنة خمس وخمسين ومائة هدم الجامع كله حــاشى المحراب وبنــاه واشترى العمود الاخضر بمال عريض جزل ووضعه فيه وهو الذى كان يصلي عليه الفاضى ابو العبــاس عبدون فلمــا ولى زيادة الله بن ابراهيم ابن الاغلب هدم الجامع كله واراد هدم المحراب ففيل له ان من تفدمك من الولاة توفعوا عن ذلك لما كان واضعه عفبة بن نافع ومن كان معه فلج في هدمه لئلا يكون في الجامع اثر لغيره حتى فال له بعض البناة انا ادخله بين حايطين ولا يظهر في الجامع اثر لغيرك فاستصوب ذلك وفعله فهو على بنائه الى اليوم والمحراب كله وما يليه مبنى بالرخام الابيض من اعلاه الى اسفله مخرّم منفوش كله منه كتابة تفرا ومنه تدبيج مختلف الصنــاعة يستدير به اعمدة رخام في غاية الحسن والعمودان الاحمران المذكوران يفابلا المحراب عليهما الفبة المتصلة بالمحراب وعدد ما في الجــامع من الاعمدة اربع ماية واربعة عشر عمودا وبلاطاته سبعة عشر بلاطا

وطوله مايتان وعشرون ذراعا وعرضه ماية وخمسون ذراعا وكانت فيه مفصورة فلم يزل بناء زيادة الله فيه والمفصورة اليوم انما هي دار بفبلي الجامع بابها في رحبة التمر لها باب عند المنبر يدخل منه الامام بعد ان ينزل في هذه الدار حتى تفرب الصلاة وبلغت النفقة في بنيانه ستة وثمانين الف مثفال ولما ولي ابراهيم بن احمد ابن الاغلب زاد في طول بلاطات الجامع وبنى الفبة المعروفة بباب البهو على اخر بلاط المحراب وفي دورها اثنان وثلاثون سارية من بديع الرخام وفيها نفوش غريبة وصناعات محكمة عجيبة يشهد كل من راها انه لم ير مبنى احسن منه وفد فُرش من الصحن بين ايدى البلاطات نحو خمس عشرة ذراعا وللجامع عشرة ابواب ومفصورة للنساء في شرفيها بينها وبين الجامع حايط اخر مخرّم محكم العمل ۞ ومدينة الفيروان في بساط من الارض مديد من الجوف منها بحر تونس وفي الشرف بحر سوسة والمهدية وفي الفبلة بحر اسفافس وفابس وافربها منها البحر الشرفي بينها وبينه مسيرة يوم وبينها وبين الجبل مسيرة يوم وبينها وبين سواد الزيتون المعروف بالساحل مسيرة يوم وشرفيها سبخة ملح عظيم طيب نظيف وساير جوانبها ارضون طيبة كريمة واحسنها الجانب الغربي وهو المعروف بفحص الدرّارة يصاب فيه في السنة الخصبة للحبة ماية وهَوَاءُ هذا الجانب طيب صحيح وكان زياد بن خلفون المتطبب اذا خرج من الفيروان يريد مدينة رفّادة وحاذى باب اصرم رفع العمامة عن راسه يباشر الهواء براسه كالمتداوى به لصحته وللفيروان من الفديم سبع محارس اربعة خارجها وثلاثة داخلها وكان للفيروان في الفديم سور طوب سعته عشرة اذرع بناه محمد بن الاشعث ابن العفبة الخزاعي سنة اربع واربعين وماية وهو اول فايد دخل

افريقية للمسوّدة وكان في قبليه باب سوى الاربعة وهو بين القبلة والمغرب وبين القبلة والشرق باب ابي الربيع وفي شرقيه باب عبد الله وباب نافع وفي جوفيه باب تونس وفي غربيه باب اصرم وباب سلم بهدم هذا السور زيادة الله بن ابراهيم المعروف بالكبير سنة تسع ومايتين لما قام عليه اهل القيروان مع المنصور المعروف بالطنبدى فلما انهزم عن القيروان يوم الاربعاء للنصف من جمادى الاولى من هذه السنة وخرج اهل القيروان الى زيادة الله فرغبوا في العفو عنهم والصفح هدم سور القيروان عقوبة لهم ثم بناه المعز بن باديس بن منصور الصنهاجي سنة اربع واربعين واربعماية ومبلغ تكسيره اثنان وعشرون الف ذراع وجعل السور مما يلي صبرة كالفصيل حايطان يتصلان الى مدينة صبرة وبينهما نحو نصف ميل ولا سبيل لتاجر ولا وارد ان يدخل مدينة القيروان ما يجب عليه فيه المكس الا بعد جوازه على مدينة صبرة وللمدينة اليوم اربعة عشر بابا منها المذكورة وباب النخيل والباب الحديث وللفصيل بابان وباب الطراز والباب الحديث وباب القلاّلين وباب ابي الربيع وباب سحنون الفقيه ومدينة صبرة متصلة بالقيروان بناها اسماعيل سنة سبع وثلاثين وثلاثماية واستوطنها وسماها المنصورية وهي منزل الولاة الى حين خرابها ونقل اليها معد بن اسماعيل اسواق القيروان كلها وجميع الصناعات ولها خمسة ابواب الباب القبلي والباب الشرقي وباب زويلة وباب كتامة وهو جوفي وباب الفتوح ومنه كان يخرج بالجيوش ويذكر انه كان يدخل واحد ابوابها كل يوم ستة وعشرون الف درهم وكان سماط سوق القيروان قبل نقله الى المنصورية متصلا من القبلة الى الجوف وطوله من باب ابي الربيع الى الجامع ميلان غير ثلث ومن الجامع الى باب تونس ثلثا

ميل وكان سطحا متصلا بيه جميع المتاجر والصناعات وكان امر بترتيبه هكذا هشام بن عبد الملك وخارج مدينة الفيروان خمسة عشر ماجلا للماء سفايات لاهلها منها من بنيان هشام بن عبد الملك وغيره واعظمها شانا والخمها منصبا ماجل ابى ابراهيم احمد ابن محمد بن الاغلب بباب تونس وهو مستدير متناهي الكبر في وسطه صومعة مثمنة في اعلاها فصبة لرفبة معتحة على اربعة ابواب على احد عشـر رجلا لا خلل بينهم كيلا يصل محط باذا امتلا الماجل كان ذلك وسطح هذه الفصبة نحو ذراعين كان ابن الاغلب يدخل الى هذه الفبة في مركب يسمى بالزلاج ويتصل بهذا الماجل في فبليه افباء طويلة معفودة ازاجا على ازاج وكان زيادة الله فد بنى على غربى هذا الماجل فصرا وبجوبى هذا الماجل ماجل لطيف متصل به يسمى البسفية يفع بيه ماء الوادى اذا جرى ينكسر بيه شدة جريان الماء ثم يدخل منه الى الماجل الكبير اذا ارتبع الماء في البسفية فدر فامتين على باب بين الماجلين يسمى السرح وهذا الماجل عجيب الشان غريب البنيان وكان عبيد الله يفول رايت بابريفية شيئين لم ار مثلهما بالشرق الحبير الذى بباب تونس يعنى الماجل والفصر الذى بمدينة رفادة المعروف بفصر البحر وبى الفيروان ثمانية واربعون حماما واُحصى ما ذبح بالفيروان في بعض ايام عاشورا من البفر خاصة بانتهى تسع ماية وخمسين راسا ومن عجايب الفيروان انهم يحتطبون الدهر من زيتونها ليس لهم محتطب غيره وان ذلك لا يؤثر في زيتونها ولا ينفص منه وسنة اثنتين وخمسين سُبيت الفيروان واخليت ولم يبف بيها الا ضعفاء اهلها ۞ والفبيز بالفيروان واعمالها ثمانى ويبات والويبة اربعة اثمان والثمنة ستة امداد بمد اوبى من مد النبى صلى

الله عليه وسلم ومقدار تلك الزيادة في القفيز كله اثنا عشر مدا بصاع القفيز القروى مايتى مد واربعة امداد بمد النبي وذلك بكيل قرطبة خمس اقفزة غير سنة امداد ورطل اللحم والتين وساير الماكولات عندهم عشرة ارطال فلفلية وقفيز الزيت عندهم ثلاثة ارطال فلفلية والمطر عندهم كيل يسع خمسة اقفزة من زيت ۞ مدينة رقّادة وهي من القيروان على اربعة اميال ودورها اربعة وعشرون الف ذراع واربعون ذراعا واكثرها بساتين وليس بافريقية اعدل هواء ولا ارقّ نسيما ولا اطيب تربة من مدينة رقادة ويذكر ان من دخلها لم يزل ضاحكا مستبشرا من غير سبب وذكروا ان احد بني الاغلب ارق وشرد عنه النوم اياما فعالجه اتحف الذى ينسب اليه اطريفل اتحف فلم ينم فامر بالخروج والمشى فلما وصل الى موضع رقادة نام فسميت من يومئذ رقادة واتخذت دارا ومسكنا وموضع فرجة للملوك والذى بنى مدينة رقادة واتخذها دارا ووطنا ابراهيم بن احمد وانتقل اليها من مدينة القصر القديم وبنى بها قصورا عجيبة وجامعا وعمّرت بالاسواق والحمامات والفنادق ولم تزل بعد ذلك دار ملك لبنى الاغلب الى ان هرب عنها زيادة الله من ابي عبد الله الشيعي وسكنها عبيد الله الى ان انتقل الى المهدية سنة ثمان وثلاثماية وكان ابتدا تاسيس ابراهيم لها سنة ثلاث وستين ومايتين فلما انتقل عنها عبيد الله الى المهدية دخلها الوهن وانتقل عنها ساكنوها ولم تزل تخرب شيًا بعد شيء الى ان ولى معد بن اسماعيل فخرب ما بقي منها وعفا اثارها وحرث منازلها ولم يبق منها غير بساتينها ولما بناها ابراهيم بن احمد وجعلها داره منع بيع النبيذ بمدينة القيروان واباحه بمدينة رقادة فقال بعض الظرفاء من اهل القيروان

يا سيّد الناس وابن سيدهم ومن اليه الرقاب منقادَةْ
ما حرّم الشرب في مدينتنا وهو حلال بارض رقّادَةْ

قال محمد بن يوسف انما سميت بهذا الاسم لان ابا الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافرى القايم بدعوة الاباضية باطرابلس لما نهد الى القيروان لقتال ورفجومة وكانوا قد تغلبوا عليها مع عاصم ابن جميل النفى بهم بموضع رقادة وهي اذذاك مُنية فقتلهم هناك قتلا ذريعا فسميت رقادة لرقاد جثثهم بعضها فوق بعض ۞ فاما مدينة القصر القديم فان الذى اسسها ابراهيم بن الاغلب بن سالم سنة اربع وثمانين ومائة وصارت دار امراء بنى الاغلب وهي بقبلى مدينة القيروان وعلى ثلاثة اميال منها بها جامع له صومعة مستديرة مبنية بالاجر والعمد سبع طبقات لم يبن احكم منها ولا احسن منظرا وحمامات كثيرة وفنادق واسواق جمة ومواجل للماء واذا قحطت القيروان ونفد الماء في مواجلها نقلوا الماء من مدينة القصر وكان لها من الابواب باب الرحمة قبلى وباب الحديد قبلى وباب غلبون شرقى وباب الريح شرقى وباب السعادة غربى يقابل المقبرة الكبيرة وداخل المدينة رحبة كبيرة واسعة تعرف بالميدان ويجاور مدينة القصر بنية تعرف بالرصافة ولما اتى ابراهيم مدينة القصر وانتقل اليها خرّب دار الامارة التى كانت بالقيروان بقبلى الجامع منذ بنحت واذا خرج المتوجه الى مصر من القيروان على باب الطراز يلقى مدينة القيروان بيسرة ويسلك بين مدينة رقادة ومدينة القصر فاول ما يلقى وادى السراويل شتوى ثم المنية المعروفة وهي كبيرة اهلة ثم قرية زرور وهي كثيرة البقول لا سيما الجزر واهلها قوم يضرب بهم المثل في سوء الحال بافريقية يقال مشايخ زرور شهد منهم سبعة على قبضة اسفنارية فقال الحاكم للطالب زد

بيّنة ثم وادى الطرفاء كبير شتوى اذا حمل اهلك ما حوله من القرى والمنازل وسعته اذا حمل ازيد من ثلاثة اميال ثم مدينة فلشانة من القيروان اليها اثنا عشر ميلا كبيرة اهلة بها جامع وحمام ونحو عشرين فندقا وهى كثيرة البساتين وشجر التين واكثر تين القيروان الاخضر منها وابواب الدور بمدينة فلشانة قصار ليس يدخلها الدواب فعلوا ذلك خوفا من نزول العمّال والجباة ۞
مدينة المهدية منسوبة الى عبيد الله المهدى الذى بناها على ما ذكر فى التاريخ وبينها وبين القيروان ستون ميلا تخرج من القيروان فتنزل منزل كامل ثم تخرج منها فتاتى المهدية وطريق اخر تخرج من القيروان الى مدينة تُماجِر مرحلة الى المهدية مرحلة اخرى ومدينة تماجر كبيرة اهلة بها جامع واسوان وفنادق وحمام وماؤها زعاق وفى وسطها غدير ماء وحولها غابة زيتون وشجر اعناب وبين مدينة تماجر والمهدية الوادى الملح الذى كانت فيه الوقعة المشهورة بين ابى يزيد وابى القاسم فقتل فيها من اصحاب ابى القاسم عدد لا يحصى ففر منه ابو القاسم فيمن كان يختص به والبحر قد احاط بها من ثلاث جهاتها وانما يُدخل اليها من الجانب الغربى ولها ربض كبير يعرف بزُويلة فيه الاسوان والحمام ومساكن اهلها وبنى على الربض المعز بن باديس سورا يحيط به وطولها اليوم نحو ميلين وعرضها يضيق ويتسع واوسعه اقلّه من بسط طولها وجميع بنيانها بالصخر ولمدينتها بابا حديد لا خشب فيهما زنة كل باب الف قنطار وطوله ثلاثون شبرا فى كل مسمار من مساميرها ستة ارطال وفى البابين صور الحيوان وفى المهدية من المواجل العظام ثلاث مائة وستون غير ما يجرى اليها من القناة التى فيها والماء الجارى بالمهدية جلبه عبيد الله من قرية مَنانُش وهى

على مغربة من المهدية في افداس ويصب في صهريج داخل المهدية عند جامعها ويرفع من الصهريج الى القصر بالدواليب وكذلك يستقى ايضا بقرب منانش من الابار بالدواليب ويصب في محبس يجرى منه في تلك القناة وهي مرفا لسفن الاسكندرية والشام وصقلية والاندلس وغيرها ومرساها منقور في حجر صلد يسع ثلاثين مركبا على طرفي المرسى برجان بينهما سلسلة من حديد فاذا أريد ادخال سفينة فيه أرسل حرّاس البرجين احد طرفي السلسلة حتى تدخل السفينة ثم مدوها كما كانت بعد ذلك لئلا يطرقها مراكب الروم وعرض المدخل الى المهدية من القبلة الى الجوف قدر غلوة وردم عبيد الله من البحر مثل ذلك وادخله في المهدية فاتسع الموضع وفيه ستة عشر برجا ثمانية منها في السور الاول وثمانية في الزيادة منها برج ابي الوزان النحوى وبرج عثمان وبرج عيسى وبرج الدهّان نسبت اليهم لقرب مساكنهم منها والجامع ودار المحاسبات فيما ردم من البحر وغير ذلك من المنازل والجامع سبعة بلاطات متقن البناء حسنه وقصر عبيد الله كبير سريّ المباني بابه غربي وقصر ابنه ابي القاسم بازائه بابه شرقي بينهما رحبة فسيحة ودار الصناعة بشرقي قصر عبيد الله تسع أكثر من مايتي مركب وفيها قبوان كبيران طويلان لالات المراكب وعددها لئلا ينالها شمس ولا مطر وكان سبب بنيان عبيد الله للمهدية قيام ابي عبد الله وجماعة كتامة عليه وما حاولوه من خلعه وقتل اهل القيروان رجال كتامة فكان ابتداؤه بالنظر فيها سنة ثلاث مائة وكمل سورها سنة خمس وانتقل اليها سنة ثمان في شوال وكان لها ارباض كثيرة اهلة عامرة اقربها اليها ربض زويلة فيه الاسواق والحمامات وربض الحِمَى كان مسكنا لاجناد افريقية من العرب والبربر وقصر ابي سعيد

وبقّة وفاساس والغبيطنة وربض فقصة وغيرها ولم تزل دار ملك لهم
الى ان ولي الامر اسماعيل بن القايم سنة اربع وثلاثين وثلاثماية
فسار الى القيروان محاربا لابي يزيد واتخذ مدينة صبرة واستوطنها
بعده ابنه معدّ وخلت اكثر ارباض المهدية وتهدمت ومن
المهدية الى مدينة سلقطة ثمانية اميال ومن المهدية الى قصر لجم
وهو المعروف بقصر الكاهنة ثمانية عشر ميلا ويذكر ان الكاهنة
حصرها العدو في ذلك القصر فحفرت سربا في صخرة صمّاء من هذا
القصر الى مدينة سلقطة يمشي فيه العدد الكثير من الخيل وكان
ينتقل اليها فيه الطعام وساير ما تحتاج اليه ومن مدينة سلقطة
الى قصر لجم هذا ثمانية عشر ميلا ايضا وفي دور قصر لجم نحو
ميل وهو مبني بحجارة طول الحجر منها خمسة وعشرون شبرا ونحوها
وارتفاعه في الهواء اربعة وعشرون قامة وهو من داخله مدرّج كله
الى اعلاه وابوابها طاقات بعضها فوق بعض باحكم صناعة ۞ وترنوط
قصر على ستة اميال من المهدية ومنها زاحف ابو يزيد مخلد
المهدية وبهذا القصر كانت محلته ايام حصاره المهدية وفي
كتب الحدثان ۞ اذا ربط الخارج خيله بترنوط ۞ لم يبق لاهل
السواد محلول ولا مربوط ۞ اهل السواد اهل الساحل وفيه ۞
ويل لاهل السواد ۞ من مَخْلَد بن كيداد ۞ والاخوان منزل
بين القيروان والمهدية وفي هذا المنزل قتل ابو يزيد لميسرة الفتى
يوم الاربعاء لعشر خلون من شهر ربيع الاول سنة ثلاث وثلاثين
وثلاثماية قال علي بن علي بن ظفر يمدح ابا يزيد

هذا وكم من وقعة مشهورة ابقيتها مثلا لكل ممثل
بثنية الاخوين يوم تركتهم متوسّدين وسايدا من جندل

ومن القيروان الى مدينة جلولا اربعة وعشرون ميلا وبجلولا اثار

وابراج فايمة للاول وابار عذبة وخرايب وجد بيها بعض الرعاة تاج ذهب بجوهره باخذه منه ابن الاندلسى وبفرب جلولا منتزه يعرب بسردانية ليس بافريفية موضع اجمل منه بيه ثمار عظيمة وبيه من النارنج خاصة نحو الب اصل وجلولا مدينة لها حصن وهى مدينة اولية فديمة مبنية بالصخر وبيها عين ثرة فى وسطها وهى كثيرة الاشجار والثمار واكثر رياحينها الياسمين وبطيب عسلها يضرب المثل لكثرة ياسمينها وجرس نحلها له وبها يربب اهل الفيروان السمسم بالياسمين للزنبف وبالورد والبنبسج وبها فصب السكر كثير ومنها كان يرد كل يوم الى الفيروان من احمال العواكه والبفول ما لا يحصى كثرة وحولها الجنات وفبايل ضريسة فى الفرارات وبتح مدينة جلولا كان على يدى عبد الملك بن مروان وذلك انه كان مع معوية بن حديج التجيبى فى جيشه ببعثه الى مدينة جلولا فى الب رجل بحاصرها اياما بلم يصنع شيًا بانصرب راجعا بلم يسر الا يسيرا حتى راى فى سافة الناس غبارا شديدا بظن ان العدو يتبعهم بكر جماعة من النـاس لذلك وبفى من بـفى على مصابهم باذا مدينة جلولا فد تسافط من سورها حايط بدخلها المسلمون وغنموا ما بيها بانصرب عبد الملك الى معوية بن حديج باختلب الناس فى الغنيمة بكتب فى ذلك الى معوية براجع يفول ان العسكر ردة للسرية بفسم البىء بينهم باصاب كل رجل منهم لنبسه مايتى درهم وللفرس سهمان فال عبد الملك باخذت لنبسى ولبرسى ستماية درهم واشتريت بها جارية وبغال بل نازلها معوية بن حديج بكان يفاتلهم على باب المدينة صدر النهار باذا مال البىء انصرب بفاتلهم يوما بلما انصرب نسى عبد الملك فوسـه معلقة بشجرة بانصرب اليها باذا جانب من المدينة فد انهدم بصـاح فى اثر

الناس فرجعوا فقد راوا غبرة شديدة فظنوا ان العدو قد ضرب في سافتهم فغموها قالوا ولما كان من عبد الملك بن مروان ما كان ومنازعته لمعوية بن حديج على فيئها ثقل على معوية بن حديج فكان يتجهمه ولا يقبل عليه فراى حنش الصنعانى عبد الملك بن مروان وهو متفكر متغير اللون فقال له ما شانك فقال انى ابعد قريش مجلسا من الامير فقال له حنش لا تغتم فوالله لتلين الخلافة وليصيرن هذا الامر اليك فلما افضت الخلافة الى عبد الملك وبعث الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير اخذ حنشا الصنعانى اسيرا فبعث به الى عبد الملك فقال له الست الذى بشرنى بالخلافة قال بلى قال فلم ملت عنى الى ابن الزبير قال رايته يريد الله ورايتك تريد الدنيا فملت اليه فعفا عنه واطلقه ۞

۞ ومن الغرايب بافريقية ببلاد كتامة منها ۞

قال ابو جعفر احمد بن محمد بن ابى خلد المتطبب وقد ذكر الماء الذى يجرى في الاشهر الحرم خاصة ان عندنا بالمغرب ببلاد كتامة عين الاوقات معلومة انما يجرى ماؤها خمس مرات في اليوم والليلة في اوقات الصلوات للخمس وتنقطع ما بين ذلك وقد ذكرنا موضع هذه العين عند ذكر المراسى بعد هذا وقد حدث جماعة ممن قصد اليها وراها ووقف عليها بمثل ذلك وببلاد كتامة حجر اللازورد الجيد ومعادن النحاس والحديد وكانت بكنيسة شقبنارية في سلطان الروم الاعجوبة مرءاة كانت اذا اتهم الرجل امراته نظر في تلك المرءاة فيرى وجه المبتلى بها وكانت البربر قد تنصرت فكان منهم بربرى قد اظهر اجتهادا في النصرانية حتى صار شماسا واتهم رجل من الروم امراته فنظر في المرءاة فاذا بوجه

العربى الشماس فدعا به الملك فقطع انفه ومثل به وطرده من الكنيسة فطرق فومه المرءاة فكسورها وارسل الملك الى حيهم باستنباحه ۞ ومن القيروان الى مدينة سوسة ستة وثلاثون ميلا قد احاط بها البحر من ثلاث نواح الشمال والجنوب والشرق وسورها صخر منيع حصين متقن البناء يضرب فيه البحر ويدخل الى دورها من فنى من الجهة الشرقية وفي ركن مدينة سوسة الذى بين المغرب والقبلة منار عال يعرف بمنار خلف الفتى وبها ثمانية ابواب احدها باب كبير جدا شرقى دار تعرف بدار الصناعة منها تدخل المراكب وتخرج ولمدينة سوسة بابان غربيان يقابلان الملعب والملعب بنيان عظيم للاول اقباء مرتفعة واسعة معقودة بحجر النشفة العجيب الذى يطفو على الماء المجلوب من بركان صقلية وحوله اقباء كثيرة يفضى بعضها الى بعض وحول مدينة سوسة اثار عظيمة للاول وبنيان سوسة كلها بالصخر المحكم وبسوسة اسواق كثيرة وهي مخصوصة بكثرة الامتعة والثمر ولحم سوسة اطيب اللحوم وهي رخيصة الاسعار والفواكه كثيرة الخير وهي قديمة البناء وكان معوية ابن حديج قد بعث اليها عبد الله بن الزبير في جمع كثيف وكان بلغه ان نقفور بطريقا من بطارقة الروم انفذه ملكهم في ثلاثين الف مقاتل فنزل بذلك الساحل فسار عبد الله حتى نزل شرفا عاليا ينظر منه الى البحر بينه وبين سوسة اثنا عشر ميلا فلما بلغ ذلك نقفور رجع الى مراكبه وصدر عن ذلك الساحل فركب عبد الله بن الزبير في جيشه حتى بلغ البحر ونزل على باب مدينة سوسة وانحط عن فرسه وصلى بالناس صلاة العصر والروم يتعجبون من امره وقلة اكترائه بهم فاخرجوا اليه جمعا منهم كثيرا من كماتهم رجالا وركبانا فزحفوا اليه وهو مقبل على صلاته لا يروعه ذلك ولا يهوّله

حتى اذا فضى صلاته شد على فرسه فركبه وحمل عليهم فانكشفوا عنه فهزمهم وولوا ادبارهم حتى لجوا الى مدينتهم وانصرف عنهم ۞ ومدينة سوسة ممتنعة على من رامها قد جُبل على الشدة والباس اهلها وحاصرها ابو يزيد مخلد شهورا ثم انهزم عنها وكان عليها في ثمانين الف حصان وفي ذلك يقول سهـــل بن ابراهيم الورّاق

ان الخوارج صدّها عن سوسة منّــا طعان السمر والاقدامُ
وجِلاد اسبــاب تطاير بينها في النقع دون المحصنات الهام

وقال احمد بن بلج السوسى

الم بسوســة وبغى عليها ولاكـــن الالاه لهـــا نصيرُ
مدينة سوســة للغرب ثغر تدين لهـا المداين والقصور
لقد لُعن الذين بغوا عليها كما لعنت قريظـة والنضير
اعزّ الدين خالقُ كل شيء بسوسة بعد ما التوت الامور
ولولا سوســة لَدَهَتْ دواهٍ يشيب لهولها الطفل الصغير
سيبلغ ذكر سوسة كل ارض ويغشى اهلَها العدد الكثيرُ

والخروج من سوسة الى القيروان على الباب القبـــلى المعروف بباب القيروان ومقبرة سوسة عن يمين هذا الطريق وكان زيادة الله بنى سورها وكان يقول ۞ ما ابالى ما قُدّمتُ عليه يوم القيامة وفي صحيفتى اربع حسنات بنيانى مسجد الجامع بالقيروان وبنيانى قنطرة الربيع وبنيانى حصن مدينة سوســة وتوليتى احمد بن ابى محرز قضاء افريقية ۞ وخـــارج مدينة سوســـة محارس وروابط ومجامع للصالحين وداخلها محرس عظيم كالمدينة مسور بسور متقن يعرف بمحرس الرباط هـو ماوى للاخيــار والصالحين داخله حصن ثانى يسمى القصبة وهو بجوف المدينة متصل بدار الصناعة بسفح الجبل الذى هو في سنده شرقى واعلى المدينة غربى ومدينة سوسة في سند

عال ترى دورها من البحر ووراء سورها هناك هيكل عظيم يسمونه البحريون الفِنطاس وهـــو اول ما يرون من البحـر اذا قصدوا من صقلية وغيرها ولهذا الهيكل اربعـة ادراج يصعد من كل واحد منها الى اعلاه وهو هيكل واسع بين بابه الذى يدخل منه والثانى الذى يخرج منه مسافة طويلة ولِلحياكة بسوسة كثيرة ويغزل بها غزل يباع زنة المثقال منه بمثقالين من ذهب وبسوسة تقصر ثياب القيروان الرويعة وجباية ساحل القيروان سوسة والمهدية وسفاقس وتونس لبيت المال خاصة غير الدخل والخرج الذى لغير بيت المال ثمانون الف مثقال ومن محارس سوسة المذكورة محرس المنستير الذى جاء فيه الاثر المتقدم الذكر ويذكر ان الذى بنى القصر الكبير بالمنستير هرثمة بن اعين سنة ثمـانين ومائة وله فى يوم عاشورا موسم عظيم ومجمع كثير وبالمنستير البيوت والحجر والطواحين الفارسيـــة ومواجل المـــاء وهو حصن عالى البنا متقن العمل وفى الطبقة الثانية منه مسجد لا يخلو من شيخ خير فاضل يكون مدار القوم عليه وفيه جماعة من الصالحين والمرابطين قد حبسوا انفسهم فيه منفردين دون الاهل والعشاير وقال محمد بن يوسف هو قصر كبير عال داخله ربض واسع وفى وسط الربض حصن ثان كبير كثير المساكن والمساجد والقصاب العالية طبقات بعضها فوق بعض وفى القبلة منه صحن فسيح فيه قباب عالية متقنة ينزل حولها النساء المرابطات تعرف بقباب جامع وبها جامع متقن البناء وهو ازاج معقودة كلها وافناء لا خشب فيهـا ولها حمامات كثيرة وكان اهل القيروان يخرجـــون اليهم بالاموال والصدقات الجزلة وبقرب المنستير ملاحة عظيمة تشحن فيها السفن بالملح الى البلاد وبقربه محارس خمسة متقنة البناء معمورة بالصالحين ۞

ومن القيروان الى مدينة تونس ماية ميل وهي ثلاث مراحل والى فندن شكل مرحلة والى منستير عثمان مرحـــلة والى القيروان مرحلة وطريق اخرى الى منزل باشوا الى الدواميس الى القيروان ودور مدينة تونس اربعة وعشرون الف ذراع وفي سنة اربع عشرة وماية بنى عبيد الله بن الحبحاب الجامـــع ودار الصناعة بمدينة تونس واهلهـــا موصوفون بدناءة النفوس واسم مدينة تونس في الاول ترشيش ويقال لبحرها بحر رادس وكذلك يسمى مرساها مرسى رادس وافتتحها حسان بن النعمان بن عدى بن بكر بن مغيث ابن عمرو مزيقياء بن عامر الازدى وروى جماعة عن ابى المهاجر قال سار حسان بن النعمان الى ارطة فقاتل الروم بحص تونس فساله الروم الا يدخل عليهم وان يضع الخراج عليهم ويقوموا له بمـــا يحمله واصحابه فاجابهم الى ذلك وكانت لهم سفن معـــدة من ناحية البـاب الذى يقال له باب النساء فاحتملـوا فيها اهليهم واموالهم وهربوا ليلا واسلـوا المدينة فدخلها حســـان فحرق وخرب وبنى فيها مسجدا وبقي هناك طايفة من المسلمين وكذلك كان مكر صاحب قرطاجنة ايضا بحسـان بن النعمان فان الروم لما فروا عنها وبقي فيها مرنان صاحبها ليس معه الا اهله بعث الى حسان هل لك ان تعاهدنى وولدى وتقطع لى قطايع اشترطها عليك وافتح لك بابا فتدخــل المدينة على من فيهـــا فاجابه الى مسئلته فاشترط عليه المنازل التى بين الجبلين الـتى يقال لهـا فحص مرنان وهي اذذاك ثلاث مـاية وستون قرية ثم فتح لهم الباب فـلم يجد بها احدا غيره وغير ولده واهله فتمم له حســـان ما اشترطه وانصرف الى القيروان قال واغارت الروم من البحـر على من كان بقي من المسلمين بمدينة تونس خرجت اليهم في المراكب فقتلـوا من

بها وسبوا وغنموا ولم يكن للمسلمين شيء يحصّنهم من عدوهم انما
كانوا معسكرين هناك وبلغ حسان ذلك فرحل الى تونس وارسل
اربعين رجلا من اشراف العرب الى عبد الملك بن مروان وكتب
اليه بما نال المسلمين من البلاء واقام هناك مرابطا ينتظر راى عبد
الملك فلما بلغ ذلك عبد الملك عظم عليه وكان اذذاك التابعون
متوافرين فيهم اثنان من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انس
ابن ملك وزيد بن ثابت فقالا للمسلمين من رابط برادس يوما فله
الجنة حتما وقالا لعبد الملك امدّ هذه البلاد وانصر اهلها ليامنوا
من العدو ويكون لك ثوابها واجرها فانها من البلدان المقدسة
المرحوم اهلها وهي حرس لمقدونية يريدون القيروان وروى ان بحر
رادس خرق الخضر عليه السلام السفينة وان الملك الذى كان
ياخذ كل سفينة غصبا الجلندى ملك قرطاجنة فخرق الخضر السفينة
ببحر رادس وقتل الغلام بطنبد وهي اليوم تسمى المحمدية وهناك
فارق موسى الخضر عليهما السلام وطنبد على اميال يسيرة من تونس
فكتب عبد الملك بن مروان الى اخيه عبد العزيز وهو والى مصر
ان يوجه الى معسكر تونس الف قبطى باهله وولده وان يحملهم
من مصر ويحسن عونهم حتى يصلوا الى ترشيش وهي تونس وكتب
الى ابن النعمان يامره ان يبنى لهم دار صناعة تكون قوة وعدة
للمسلمين الى اخر الدهر وان يجعل على البربر جر الخشب لانشاء
المراكب ليكون ذلك جاريا عليهم الى اخر الدهر وان يصنع بها
المراكب ويجاهد الروم في البر والبحر وان يغار منها على ساحل
الروم فيشتغلوا عن القيروان نظرا للمسلمين وتحصينا لشانهم فوصل
القبط الى حسان وهو مقيم بتونس فاجرا البحر من مرسى رادس
الى دار الصناعة وجر البربر الخشب وجعل فيها المراكب الكثيرة

وامر القبط بعمارتها ۞ وبشرقي مدينة تونس بحيرة كبيرة دورها
اربعة وعشرون ميلا في وسطها جزيرة تسمى شكلة مقدار ميلين
تنبت الكلخ وبها اثار قصر خرب فصارت دار صناعة تونس متصلة بالمينى
والمينى متصل بالبحيرة والبحيرة متصلة بالبحر وعلى شاطى المينى
مسجد يعرف بمسجد عبد الله وبقبلي المينى قصر مبنى بالحجارة
متقن البناء وفي الجوف منه حايط ضخم كالسور فصار المدخل
بالسفن في هذا المينى بين حايط القصر وهذا السور وتعرض بينهما
سلسلة حديد تمنع المراكب من الدخول والخروج ما دامت
متعرضة وهذا القصر يعرف بقصر السلسلة وبقبلي القصر صهريجان
كان ملوك بنى الاغلب يرسلون فيهما ماء البحر ويملونهما بالسمك
وقد تقدم ان عبيد الله بن الحبحاب بنى دار الصناعة فلعل من
روى ذلك يريد ان عبيد الله جددها وزادها تحصينا فلم تزل
تونس معمورة من يومئذ يغزو منها المسلمون بلاد الروم ويكثرون
فيهم النكاية ولهم الاذاية ومدينة تونس في سفح جبل يعرف
بجبل ام عمرو ويدور بمدينتها خندق حصين ولها خمسة ابواب
باب الجزيرة قبلى ينسب الى جزيرة شريك ويخرج منه الى القيروان
ويقابله الجبل المعروف بجبل التوبة وهو جبل عال لاينبت شيئا في
اعلاه قصر مبنى مشرف على البحر وبشرقي هذا القصر غار تحت
الباب يسمى المعشوق وبالغربي منه عين ماء وبغربي هذا الجبل جبل
يعرف بجبل الصيادة فيه قرى كثيرة الزيتون والثمار والمزارع وفي
هذا الجبل سبعة مواجل للماء اقباء على غرار واحد وبغربي هذا
الجبل ايضا اشراف مزارع متصلة بموضع يعرف بالملعب فيه قصر
لبنى الاغلب قد غرس بجميع الثمار واصناف الرياحين وبشرقي
مدينة تونس المينى والبحيرة التى ذكرنا وسبخة وبشرقيها ايضا

باب فرطاجنة دونه داخل الخندق بساتين كثيرة وابار سوانى تعرف بسوانى المرج وباب السقّايين جوفى نسب الى السفايين لان بيرا تعرف ببير ابى القفار تقابله وهى بير كبيرة غزيرة عذبة الماء نميرة وهناك قصور لبنى الاغلب وبساتين فيها اصناف الثمار والرياحين ويتصل بها جبل اجرد يقال له جبل ابى خفاجة فى اعلاه اثار بنيان وباب ارطة غربى تجاوره مقبرة تعرف بمقبرة سوق الاحد ودون الباب من داخل الخندق غدير كبير يعرف بغدير الحجّامين وربض المرضى خارج عن المدينة وبقبلى ربض المرضى ملاحة كبيرة منها ملحهم وملح من يجاورهم وجامع مدينة تونس رفيع البناء مطلّ على البحر ينظر الجالس فيه الى جميع جواريه ويرقا الى الجامع من جهة الشرق على اثنتى عشرة درجة وبها اسواق كثيرة ومناجر عجيبة وبمدينة تونس خمسة عشر حماما وفنادق كثيرة رفيعة وعضادات ابواب دور مدينة تونس كلها رخام بديع لوحان قايمان وثالث معترض عليهما مكان العتبة ومن امثالهم ۞ دور تونس ابوابها رخام وداخلها سخام ۞ ومدينه تونس دار علم وفقه ولى منها قضاء افريقية جماعة كثيرة ومع هذا الفضل الذى فيها فى مخصوصة بالقيام على الامراء والخلاف للولاة خالفت نحو عشرين مرة وامتحن اهلها ايام ابى يزيد بالقتل والسبى وذهاب الاموال

وقال الجرى صاحب الحدثان

فويل لترشيش وويل لاهلها من الحبشى الاسود المتغاضب

وقال بعض الشعراء

لعمرك ما الفيتُ تُونس كاسمها ولكننى الفيتها وهى تُوحش

ويصنع بتونس انية للماء من الخزف تعرف بالريحية شديدة البياض فى نهاية الرقة تكاد تشف ليس يعلم لها نظير فى جميع الاقطار وعامة

الامصار ومدينة تونس من اشرف مداين افريقية واطيبها ثمرة وانفسها فاكهة فمن ذلك اللوز الفريك يفرك بعضه بعضا من رقة قشره ويحت باليد واكثره حبتان في كل لوز مع طيب المضغة وعظم الحبة والرمان الضعيف لا عجم لحبه البتة مع صدق الحلاوة وكثرة المائية والاترج الجليل الطيب الطعم الذكى الرايحة البديع المنظر والتين الخارى اسود كبير رقيق القشر كثير العسل لا يكاد يوجد له بزر والسفرجل المتناهى كبرا وطيبا وعطرا والعناب الربيع في قدر الجوز والبصل القلورى في خلف الاترج مستطيل سابرى القشر صادق الحلاوة كثير الماء وبها من اجناس الحوت الذى لا يكون مثله في غيرها ما لا يحصى كثرة اجناس تجرى في البحر مع شهور العجم في كل شهر من تلك الشهور يجرى فيه جنس منه لا يوجد في البحر الى دخول ذلك الشهر من العام القابل فهم من تجددها في لذة موصولة ونعمة غير مملولة وكل جنس منها يُصيَّر ويبقى السنين صحيح الجرم طيب الطعم منها جنس يعرف بالعبانف وجنس يعرف بالاكتوبرى وجنس يعرف بالاشبارس وجنس يعرف بالمنكوس وجنس يُعرف بالبفونس ومن امثالهم ۞ لولا البفونس لم يخالف اهل تونس ۞ وفي الطريق بينها وبين القيروان منزل يقال له مجقة اذا كان اوان طيب الزيتون بالساحل فصدته الزرازر فباتت فيه وقد حمل كل طاير منها زيتونتين في مخلبيه فيلقى الزيتون هناك وله غلة عظيمة تبلغ سبعين الف درهم ۞ ومن مدينة تونس الى قرطاجنّة اثنا عشر ميلا ويقال ان الذى بنى قرطاجنة ديدون الملك زمن داود عليه السلام ويقال ان بين بناء قرطاجنة وبناء مدينة رومية اثنتان وسبعون سنة ولو دخلها الداخل ايام عمره وتدبر فيها لراى فيها كل يوم مستانف اعجوبة

لم يرها في السالف وهي على شاطئ البحر يصيب سورها امواجه وكان تكسير سورها اربعة عشر الف ذراع وقال ابو جعفر احمد بن ابراهيم المتطبب القيرواني في مغازي افريقية ان موسى بن نصير لما دخل الاندلس فاتى على ما اراد منها قال لهم دلّوني على اسنّ شيخ فيكم فاتي بشيخ قد وقعت حاجباه عن عينيه من الكبر فقال له موسى من اين انت يا شيخ قال من قرطاجنة افريقية فقال له موسى فما الذي اصارك هنا وكيف كان خبر قرطاجنة قال له الشيخ ان قرطاجنة بناها قوم من بقية العديين الذين هلك قومهم بالريح فبقيت بعدهم خرابا الف سنة حتى بناها اردمين بن لاودين بن نمرود الجبار وجلب اليها الماء العذب من دلالا تحفر له في الجبال وبنا القناطر في بطون الاودية حتى استوى جرى الماء فيها بعد عمل اربعين سنة قال ولما حُفِر اساس تلك القناطر في طول الاودية اصيب فيه حجر عليه كتابة فاذا فيه ان هذه المدينة ليس تخرب الا اذا ظهر فيها الملح قال الشيخ فبينا نحن ذات يوم في مجرى قرطاجنة جلوس اذا بملح على حجر فعند ذلك رحلت الى هنا وكان سبب خراب قرطاجنة ان انبيل ملك افريقية وكانت قرطاجنة دار ملكه مضى الى بلد ايطالية الذي فيه مدينة رومية ولاقى قوّاد رومية وكان اهل رومية يومئذ لا ملك لهم انما كان تدبير مملكتهم الى سبعين رجلا من كبرائهم يخرجون من انفسهم كل عام اثنى عشر قايدا يفرعون بينهم على نواحيها فيخرج كل واحد الى الناحية التي وقعت عليها قرعته فهزمهم انبيل وقتلهم في عدة مواطن حتى بعث الى افريقية بثلاثة امداء من خواتم الذهب التي كانت في أيدي اشراف من قتل منهم وملوكهم وكتب اليهم ۞ هذا عدة من قتلته من الاشراف والقواد فضلا

عن غيرهم ۞ فاقام فى بلاد ايطالية محاربا لمدينة رومية ومضيقا على
نواحيها نحو من ستة عشر سنة فركب قايد من قوادهم يقـــال له
شبيون المراكب خفية حتى اتى صقلية فحشر من اجتمع له بها ثم
مضى الى بلد افريقية وترك انبيل محاصرا لبلد رومية فنصر على
الافريقيين وعم بلد افريقية قتلا وسبيا واحرافا وبقى محـــاصرا
لقرطاجنة فبعث اهلها الى اميرهم انبيل يعلمونه بما دهمهم من اهل
رومية ويسئلونه الاسراع لغياثهم فعجب عند ذلك انبيل وقال انى
كنت ارى ان التزام محاصرة هذه المدينة يقطع اسم الرومانيين
من الدنيا فاظنّ ان اله السماء لا ياذن بذلك ثم ركب المراكب
واسرع الرجوع الى افريقية فزحف اليه شبيون قايد الرومانيين
فهزمه فى كل مشهد فجعل انبيل يخاطبه ويقول اين كنتم معشر
الرومانيين من هذه النجدة اذ كنا نقاتلكم ونهزمكم فى افنيتكم
فقال له شبيون اذ كنتم فى بلدنا قد بعد عنكم بلدكم وحصونكم
ونحن فى حصوننا وبلدنا كنّا اشدّ منكم خورا وكنتم اشد منا
استثباتا فلما صرنا فى بلدكم انتقل الامر وتبدل الحكم فغلب عند
ذلك اهل رومية على اهل افريقية وهدموا مدينة قرطاجنـــة ۞
واعجب ما بقرطاجنة دار الملعب وهم يسمونها الطياطر قد بنيت
اقواســـا على سوارى وعليها مثلها مـــا احاط بالدار وقد صور فى
حيطانها جميع الحيوان وصور اصحاب جميع الصناعات وجعلت فيه
صور الرياح فجعل صورة الصبا وجهه مستبشر وصورة الدبور وجهه
عابس ورخام قرطاجنة لو اجتمع اهل افريقية على نقله واستخراج
جميعه ما امكنهم ذلك لكثرته وفيها قصـــر يعرف بالمعلقة مفرط
العظم والعلو اقباء معقودة طبقات كثيرة مطل على البحر فى غربيه
قصر يعرف بالطياطر وهو الذى فيه دار الملاعب المذكورة وهو كثير

الابواب والتراويج وهو ايضا طبقات على كل باب صورة حيوان رخام وصور جميع الصناع وقصر يقال له قومش طبقات كثيرة ايضـا في سوارى رخام مفرطة الكبر والعظم يتربع على راس السارية منهـا اثنا عشر رجلا وبينهم سفرة طعام او شـراب وهي مشطّبة كالثلج بياضا والمهاة صفاء بعض تلك السوارى قايمة وبعضها ساقطة وبهـا قبو عظيم لا يدرك الطرف اخره فيه سبعة مواجل للماء كبار تعرف بمواجل الشياطين فيهـا ماء قديم لا يدرى متى دخلهـا وبقرب قصر قومش تجن اقباء بعضها فوق بعض مظلم مهيب الدخول فيه جثث الموتى على حالهم الى اليوم فاذا مسّوا تلاشوا وداخل المدينة مينى كانت المراكب تدخلها بشرعها وهي اليوم ملاحة عليها قصر ورباط يعرف ببرج ابى سليمان وفي وسط المدينة صهريج كبير حوله في وقتنا هذا الف وسبع ماية حنية قايمة سوى مـا انهدم منها وكان يجرى الى هذا المصنع الماء المجـلوب من عين جفـار الى قرطاجنة على مسيرة ايام في قناة عظيمة تغيب مـرة تحـت الارض وتكون في موضع اخر في قناطر فوق قناطر حـتى تساوى السحـاب ومن عين جفار كـان عبيد الله الشيعي يشرب المـاء يرد عليه كل يوم منه احـمـال معروفة وبقرطاجنة قصران من رخام يعرفـان بالاختين ليس فيهما حجر سواه محكم البناء رخـامه كله مدخـل بعضه في بعض وبهذين القصرين مـاء مجلوب ياتى من قبل الجوف لا يعرف من اين منبعثه يصب في البحر وعليه نواعير لقرى قرطاجنة وفيها سوارى قايمة طول الظاهر فوق الارض منها اربعون ذراعا قد عقد عليه قبو من حجر النشفة وهو الحجر الخفيف الذى يطفو فوق الماء وفيها قبة لا يلحقها الرامى باشدّ نزع السهـام علوا وسموا ولها سطح مفروش بالفُسَيْفِساء خمسون ذراعا في مثلها وخرايب قرطاجنة

اليوم فرى ربيعة مبيدة عامرة واصناب ثمارها متناهية في الطيب لا يكاد يرى ما يبضلها ۞ وروى الثقات عن عبد الرحمان بن زياد ابن انعم فال كنت انا وغلام مع عمى بفرطاجنة نمشى في اثارها ونعبر بحجايبها باذا بفبر مكتوب عليه بالحميرية انا عبد الله بن الاواش رسولُ رسول الله صالح ۞ وفي رواية اخرى ۞ معتّب بعثنى الى اهل هذه الفرية ادعوهم الى الله اتينهم ضحا بفتلونى ظلمـا حسيبهم الله ۞ وفال اتحف بن عبد الملك الملشونى لم يدخل ابريفية نبى فط واول من دخلها بالايمان حوارى عيسى بن مريم عليهما السلام ۞ وبيما بين مدينة سوسة ومدينة تونس جزيرة شريك تنسب الى شريك العبسى كان عاملا عليها وامّ افليم جزيرة شريك منزل باشوا وهي مدينة كبيرة اهلة بها جامع وحمامات وثلاث رحاب واسواق عامرة وبها فصر احمد بن عيسى الفايم على ابن الاغلب وبجزيرة شريك اجتمعت الروم بعد دخول عبد الله بن سعد بن ابى سرح المغرب وتبادروا منها الى مدينة افليبية وما حولها ثم ركبوا منها الى جزيرة فوسرة وهي بين صفلية وافريفية وكانت اذ ذاك عامرة فيفال انهم افاموا بها الى خلافة عبد الملك ابن مروان باغزى عبد الملك بن مروان عبد الملك بن فطن في البحر ففتح ما كان هنالك من الجزاير والفصور خربها وفعل ظاهرا ۞ ومن تونس الى منزل باشوا هذا مرحلة بينهما فرى كبيرة اهلة كثيرة وحامة جليلة مجرّبة النفع ثم من باشوا الى فرية الدواميس مرحلة وهي فرية كبيرة اهلة كثيرة الزيتون والشجر بينهما فصر الزيت ووادى الدمنة وفندق ريحان ووادى الرمّان ومن فرية الدواميس الى الفيروان مرحلة بينهما فصور ومنازل وفرى وبحذاء جزيرة شريك في البر نحو الجنوب جبل زغوان وهو جبل منيب

مشرف يسمى كلب الزفان لظهورة وعلوه واستدلال المسافرين بـه
اين مـــا توجهوا فانه يرى على مسيرة الايام الكثيرة ولعلوه ترى
السحاب دونه وكثيرا ما يمطر صحه ولا يمطر اعلاه واهل افريقية
يقولون لمن يستثقلونه من الناس ۞ هو اثقل من جبـــل زغـوان
واثقل من جبل الرصاص ۞ وهو على تونس وقال الشـــاعر يخاطب
حمامه ارسلها بكتاب من القيروان الى تونس

وفي زغوان فاستعلي علوّا وداني في تعاليك السحـابا

وبزغوان قرى كثيرة اهلة كثيرة المياه والثمـــار والبساتين منها
فندق شكل النحلة المعروفة وهي على مرحلة من تونس قرية كبيرة
اهلة ومنهـا قرية قلجنة كان ابو القاسم بن عبيد الله شـــرع في
بنيانها واتخذها مدينة يسكنها الغريب السايل من هوّارة ونفوسة ۞
وهذا الجبـل ماوى للصالحين وخيار المسلمين وبغربي جبل زغـوان
مدينة لربس بينها وبين القيروان مسيرة ثلاثة ايام وهي مدينـة
مسورة لها ربض كبير وبارضيها يكون اطيب الزعفران ويعرف ببلد
العنبر وبها صار ابراهيم بن ابي الاغلب حين خرج من القيروان
وفي سنة ست وتسعين ومايتين زحف اليها ابـو عبد الله الشيعي
ونازلها وبها جمهور اجناد افريقية مع ابراهيم ففر عنهـــا ابن ابي
الاغلب في جماعة من القواد والجند الى اطرابلس ودخلهـا الشيعي
عنوة ولجا اهلها ومن بقي فيها من فل الجند الى جامعهـا وركـب
بعض الناس بعضا فقتلهم الشيعي اجمعين حتى كانت تسيل الدماء
من ابواب المسجد كسيلان الماء بوابل الغيث وقيل انه قتل داخل
المسجد ثلاثين الفـــا وذلك من وقت صلاة العصر الى اخر الليـل
وكانت ولاية بني الاغلب افريقية ماية سنـة واحـدى عشرة سنة ۞
ومن مدينة لربس الى مدينة الانصاريين مسيرة يـوم نسبت الى

قوم نزلوها من الانصار من ولد جابر بن عبد الله وهي طيبة الارض
كثيرة الريع وحنطتها اجل حنطة بافريقية ومن مدينة القيروان
الى مدينة قفصة ثلاثة ايام وهي مدينة مبنية كلها على اساطين
وطيقان رخام قد بنى خلالها بالصخر الجليل باحكم عمل ويذكر
ان باني هذا السور شنتيان غلام نمرود وقد زبر عليه اسمه وهو
مقرؤ فيه الى اليوم وسورها كانما قد فرغ من عمله بالامس وداخل
مدينة قفصة عينان نضّاختان ينبعان بنهرين خرّارين يسقيان
بساتينها ومزروعاتها وفي داخل جامعها عين كبيرة مبنية بالصخر
من بنيان الاول اربعون باعا في مثلها وقفصة اكثر بلاد القيروان
فستقا ومنها ينتشر بافريقية ويحمل الى مصر والاندلس وسجلماسة
وبها تمر مثل بيض الحمام وهي تمير القيروان بانواع الفواكه والثمر
وحولها اكثر من مايتي قصر عامرة اهلة تطرّد فيهما وحواليها
المياه تعرف بقصور قفصة وجباية قفصة خمسون الف دينار ومن
قصور قفصة مدينة طراق وهي في منصف الطريق من قفصة الى فج
الحمار وانت تريد القيروان ومدينة طراق كبيرة اهلة بها جامع
وسوق حافلة واليها ينسب الكساء الطراقي وهو من جهاز مصر
وهي كثيرة الفستق وتسير من القيروان الى مدينة نفزاوة ستة ايام
نحو الغرب ولمدينة نفزاوة عين تسمى بالبربرية تاورغى وهي عين
كبيرة لا يدرك لها قعر ولمدينة نفزاوة سور صخر وطوب ولها ستة
ابواب وبها جامع واسواق حافلة وهي على نهر كثير النخل والثمار
وحواليها عيون كثيرة وقبليها مدينة اولية تعرف بالمدينة عليها
سور وبها جامع وحمام وسوق وحولها عيون وبساتين وبين مدينة
نفزاوة وقابس ثلاث مراحل وبينها وبين قفصة مرحلتان وهي على
ثلاث مراحل من قيطون بياضة ومن قيطون بياضة الى مدينة

نفطة مرحلة الى مدينة توزر مرحلة الى مدينة نفزاوة مرحلة
ومن نفزاوة تسير الى بلاد قسطيلية وبينهما ارض سوّاخة لا يهتدى
للطريق فيها الا بخشب منصوبة وادلاء تلك الطريق بنو موليت
لان هناك طواعينهم فان ضل احد يمينا او شمالا غرق في ارض
دهاس تشبه في الرطوبة بالصابون وقد هلكت فيها العساكر والجماعات
ممن دخلها ولم يدر امرها وتصل هذه الارض السواخة الى مدينة
غدمس ۞ واما بلاد قسطيلية فان من مدنها توزر والحمّة ونفطة
وتوزر هي امها وهي مدينة كبيرة عليها سور مبنى بالحجر والطوب
ولها جامع محكم البناء واسواق كثيرة وحولها ارباض واسعة اهلة
وهي مدينة حصينة لها اربعة ابواب كثيرة النخل والبساتين
والثمار الا ان قصب السكر والموز لا يصلحان بها وحولها سواد عظيم
من النخل وهي اكثر بلاد افريقية تمرا ويخرج منها في اكثر الايام
الف بعير موفورة تمرا وازيد شربها من ثلاثة انهار تخرج من رمال
كالدرمك رقة وبياضا يسمى ذلك الموضع بلسانهم سرش وانما
تنقسم هذه الثلاثة الانهار بعد اجتماع مياه تلك الرمال بموضع
يسمى وادى الجمال يكون قعر النهر هناك نحو مايتى ذراع ثم
ينقسم كل نهر من هذه الانهار الثلاثة على ستة جداول وتتشعب
من تلك الجداول سواقى لاتحصى كثرة تجرى في قنوات مبنية بالحجر
على قسمة عدل لا يزيد بعضها على بعض شيئا كل ساقية سعة شبرين
في ارتفاع فتر يلزم كل من يسقى منها اربعة اقداس مثقال في العام
وبحساب ذلك في الاكثر والاقل وهو ان يعمد الذى تكون له دولة
السقى الى قدس في اسفله ثقبة بمقدار ما يسدّها وتر قوس الندّاف
فيملؤه بالماء ويعلقه ويسقى حايطه او بستانه من تلك الجداول حتى
ينفد ماء القدس ثم يملوه ثانيا وهم قد علموا ان سقى اليوم

الكامل هوماية واثنان وتسعون فدسا ولايعلم في بلد مثل اترجها جلالة وحلاوة وبها الترنجبين والخيطا والاملج وجباية فسطيلية مايتنا الف دينار واهلها يستطيبون لحوم الكلاب ويسمنونها في بساتينهم ويطعمونها التمر وياكلونها واخبرني من صاب منهم رجلا باطعمه لحما استطابه واستحسنه فساله عنه فقال له لحم جرو مسمن ۞ ولا يُعرب وراء فسطيلية عمران ولا حيوان الا الفنك انما في رمال وارضون سواخة وهم يخبرون ان قوما ارادوا معرفة ما وراء بلادهم فاستعدوا الازواد وذهبوا في تلك الرمال اياما فلم يروا اثر العمران وهلك اكثرهم في تلك الرمال ۞



۞ الطريف من مدينة القيروان الى قلعة ابي طويل ۞

وهي قلعة كبيرة ذات منعة وحصانة وتمصرت عند خراب القيروان انتقل اليها اكثر اهل افريقية وهي اليوم مقصد التجار وبها تحل الرحال من العراق والحجاز ومصر والشام وساير بلاد المغرب وهي اليوم مستقر مملكة صنهاجة وبهذه القلعة كان احتصن ابو يزيد مخلد ابن كيداد من اسماعيل على ما نذكره في موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله ۞ تخرج من القيروان الى وادي الرمل اربعون ميلا وهي قرية زيتونها كثير ورمالها حمر ومنها الى سبيبة وهي مدينة اولية ذات انهار وثمار ومنها الى قلعة الديك قرية ومنها الى السكة قلعة جليلة وبها مجمع سوق ومنها الى مدينة مجانة المطاحن وهي مدينة قديمة وبها مقطع حجارة الارحي ليس على الارض مثله ومنها الى نهر ملّاق نهر عظيم عليه اثار قديمة وفي الشرق منه مدينة تبسا وهي مدينة اولية فيها اثار للاول كثيرة وهي كثيرة الثمار والاشجار ومنها الى

قرية مسكيانة وهى على نهر وهذه المواضع كلهـا محلاَّة باسم من ياتى
بعد ان شاء الله ومنها الى مدينة باغاية وهى مدينة جليلة اولية
ذات انهار وثمار ومزارع ومسارح وعلى مقربة منها جبـل اوراس وهى
المتصل بالسوس وبهذا الجبل قـام مخلد بن كيداد الزناتى ومن
باغاية الى مدينة فاسـاس وهى مدينة قديمة على قهر وفى غربيهـا
جبل شامخ ومنها الى قبر مادغوس وهو قبر مثل الجبل الضخم مبنى
باجر رقيق قد خرق وبنى طبقانا صغارا وعقد بالرصاص وصورت
فيه صور الحيوان من الاناسى وغيرهم وهـو مدرّج النواح وفى اعلاه
شجرة نابتة وقد اجمع على هدمه من سلف فلم يقدر على ذلك وفى
الشرق من هذا القبر بحيرة مادغوس وهى تجمع لكل طاير وتسير
من هناك الى بلزمة لمزاتة حصن اولى وهو فى بساط من الارض كثير
المزارع والقرى وهى مدينة كثيرة الانهار والثمـار والمزارع وبشرقيهـا
مدينة اللوز وتسير من نقاوس الى مدينة طبنة وهى مدينة كبيرة
سورها اليوم من بناء المنصور ابى الدوانيق وهى مما افتتح موسى بن
نصير فبلغ سبيها عشرين الفا وهرب ملكهم كسيلة وسورها مبنى
بالطوب وبها قصر وارباض وداخل القصر جامع وصهريج كبير يقع
فيه نهرها ومنه تسقى بساتينها ويقـال ان الذى بناها ابو جعفر
عمر بن حفص المهلبى المعروف بهزارمرد يسكنهـــا العرب والعجم
بينهم الاختلاف والحرب ويسكن حولها بنو زفراح وقال محمد بن
يوسف ان قصـــر طبنة قديم اولى كبير جليـل مبـــنى بالصخر
عليه ازاج كثيرة ينزله العمّال وهـــو ملاصق لسـور المدينة من
جهة القبلة عليه باب حديد ولمدينة طبنـــة من الابواب باب
خاقان مبنى بالحجر عليه باب حديد وهـــو سرىّ وباب الفتح غربى
باب حديد ايضا وبينهما سماط يشقّ المدينة من الباب الى الباب

وباب تهوذا فبلى عليه باب حديد وهو سرى ايضا والباب الجديد حديد ايضا وباب كتامة جوفي وخارج المدينة بازاء باب الفتح سور مضروب على فحص فسيح يكون مقدار ثلثي مدينة طبنة بناه عمر بن حفص ويشق سكك المدينة جداول الماء العذب وبها اسوان كثيرة غير السماط المذكور ولها بساتين يسيرة ملاصقة للربض ومقبرتها بشرقيها وبغرب المقبرة غدير يعرب بغدير فرغان وهو يجرى في مصلى العيد وليس من القيروان الى سجلماسة مدينة أكبر منها واسم نهرها بَيْطام واذا حمل سقى جميع بساتينها وفحوصها ويقول اهلها ۞ بيطام بيت الطعام ۞ لجودة زرعها واذا كانت الحرب بين العرب والمولدين استمد العرب بعرب مدينة تهوذا وسطيف واستمد المولدون باهل بسكرة وما والاها وقال احمد بن محمد المروذى في قصة اسماعيل بن ابى القاسم

سرنا وقد حل بقرب طبنه

وصار منها اهلها في محنه

فاعظم الله العزيز المنّه

وبُدّلوا من بعد نار جنّه

وقد زيدان يطل على مدينة طبنة واياه عنى ابو عبد الله الشيعى في قوله

من كان مغتبطا بلين حشيّة	فحشيتي واريكتي سرجي
من كان يعجبه ويبهجه	نقرُ الدفوف ورنّة الصنج
فانا الذى لا شيء يعجبنى	الا افتحامى لجّة الرهج
سل عن جيوشي اذ طلعتُ بها	يوم الخميس ضحى من الثلج

ومن طبنة الى مدينة مَقّرة وهو بلد كبير ذو ثمار وانهار ومزارع ومنها الى قلعة ابى طويل ۞ ومن باغاية الى بلد بَسْكرة اربعة ايام

وبسكرة كورة فيها مدن كثيرة وقاعدتها بسكرة وهي مدينة كبيرة كثيرة النخل والزيتون واصناف الثمار وهي مدينة مسورة عليها خندق وبها جامع ومساجد كثيرة وحمامات وحواليها بساتين كثيرة وهي في غابة كبيرة مقدار ستة اميال فيها اجناس التمور منها جنس يعرفونه بالكسبا وهو الصيحاني يضرب به المثل لفضله على غيره وجنس يعرف بالليارى ابيض املس كان عبيد الله الشيعي يامر عماله بالمنع من بيعه والتحظير عليه وبعث ما هنالك منه اليه واجناس كثيرة يطول ذكرها لايعدل بها غيرها وحول بسكرة ارباض خارجة عن الخندق المذكور وببسكرة علم كثير واهلها على مذهب اهل المدينة ولها من الابواب باب المقبرة وباب للحمام وباب ثالث سكانها المولدون وحولها من قبايل البربر سدراتة وبنو مغراوة اهل بيت بنى خرز وبنو يزمرتي وداخل مدينة بسكرة ابار كثيرة عذبة منها في الجامع بير لاتنزف وداخل المدينة جنان يدخل اليه الماء من النهر وبها جبل ملح يقطع فيه الملح كالصخر الجليل ومنه كان عبيد الله الشيعي وبنوه يستعملون في اطعمتهم وتعرف ببسكرة النخيل قال احمد بن محمد المروذى

تـم اتى بسكرة النخيل
قد اغتدى في زيه الجميل

ومن مدنها مدينة جمونة ومدينة طولقة ومدينة مليلى ومدينة بنطيوس وهي من بنيان الاول وشرب بسكرة من نهر كبير يجرى في جوفيها منحدر من جبل اوراس وقرية من قرى بسكرة تسمى ملشون منها ابو عبد الله الملشونى وابنه احمد عالمان يحمل عنهما العلم سمع منهما ابو عبد الله بن ميمون ومقاتل وغيرهما اخبرنى احمد بن عمر بن انس قال اخبرنى قاسم بن عبد العزيز ان في

الطريف الى بسكرة جبل يعرف بزيغيزى ڢ وسطه كهف ڢيه رجل فتيل لم يغيره مر الزمان وتفادم الدهور تبض جراحه دما كانما فتل منذ يومين وتخبر الكافة انهم لايعلمون متى فتل فدما وفد نفله اهل تلك النواحى ودفنوه بافنيتهم تبركا به ثم لم ينشبوا ان وجدوه ڢ الكهف على حاله يحدث بذلك ثفات اهل تلك الناحية والله ڢعال لما يشاء وفال محمد بن يوسف ڢ كتابه ان هذا الفتيل ڢ شف جبل بشرفى عين اربان وهذه العين بين مدينة مرماجنة ومدينة سبيبة المذكورة ايضا وذكر انه كما ذبح من يومه وانه هناك من فبل فتوح افريفية ولم يذكر امر دفنه ڢالله اعلم بامره ۞

۞ وطريف اخر من الفيروان الى فلعة ابى طويل ۞

من الفيروان ڢ فرى وعمارات الى مدينة ابّة ثلاثة ايام وهى مدينة اولية يكون بها الزعفران الجيد وعلى ستة اميال منها مدينة لُرْبُس المذكورة فبل هذا ومن مدينة ابة الى نهر ملّان وهو نهر عظيم يسفى نواحى فحص بُل ومن نهر ملان الى مدينة تامَديت وهى مدينة ڢ مضيف بين جبلين ڢ سند وعر ولها مزارع واسعة وحنطتها موصوفة ومنها الى مدينة تيڢاش وهى مدينة اولية شامخة البناء وتسمى تيڢاش الظالمة وڢيها عيون ومزارع كثيرة وهى ڢ صفح جبل وڢيها اثار للاول كثيرة ومنها الى فصر الافريفى وهى مدينة جامعة على شرف من الارض ذات مسارح ومزارع كثيرة ومنها الى واد يعرف بوادى الدنانير وهو واد خصيب ومنها الى مدينة تيجس وهى مدتنة اولية شامخة البناء كثيرة الكلاء والربيع ومنها الى

مدينة توبوت على بلاد كتامة ويسمى هذا الطريق بالجناح الاخضر ومنها الى مدينة تابسلكى وهي صغيرة في صحج جبل يسمى انف النسر ومنها الى الفهريين وهي قرى كثيرة في فحص عريض وبساط من الارض مديد ومنها الى مدينة تامسلت وهي مدينة جليلة للزرع والضرع ومنها الى مدينة دكمه وهي على نهر كبير ذات مزارع ومسارح ومنها الى مدينة الغدير تخرج منه عيون نهر سهر وهو نهر المسيلة وهو المعروف بالوادى الرييس على ما نذكره بعد ان شاء الله ومنها الى قلعة ابى طويل ۞

۞ الطريق من القيروان الى مدينة بونه ۞

من القيروان الى جلولا كما تقدم ومنها الى اجّر ولها حصن وبها قنطرة وهو موضع وهر كثير الجارة المتكابد المسالك ماسدة لاتكاد يخلو من اسد دايم الرج العاصفة ولذلك يقولون ۞ اذا جئت اجّر فجرّ جان فيه اسدا يعرى وجرا يبرى وريحا تذرى ۞ وحول اجر قبايل من العرب ومن البربر ضريسة ومرنيسة ومنها الى القهيين وهي قرية وبها سوق جامعة ومنها الى جزيرة ابى حمامة ومنها الى الانصاريين وقد تقدم ذكرها وبقرب هذا الموضع فحص بل وهو من اطيب ارض افريقية مزدرعا ومن جزيرة ابى حمامة خمس مراحل الى مدينة بونة في قرى وعمارة ۞ اول المراحل من مدينة بونه الى القيروان ۞ زانه خصوص وقرارات للبربر بها عيون ماء في شعراء عظيمة شجرها كلها زان ومنها يجلب الى افريقية ومدينة بونه اولية وهي مدينة افشتين العالم بدين النصرانية وهي على ساحل البحر في نشز من الارض منيع مطل على مدينة سيبوس

وتسمى اليوم مدينة زاوى وبينها وبين المدينة الحديثة نحو ثلاثة اميال ولها مساجد واسوان وحمام وهي ذات ثمر وزرع وقد سورت بونه الحديثه بعد الخمسين واربعماية وفي بونة الحديثة بير على ضفة البحر منقورة في حجر صلد يسمى بير النثرة منها يشرب اكثر اهلها وبغربي هذه المدينة ماء ساج يسقي بساتين وهو مستنزه حسن ويطل على بونه جبل زغوغ وهو كثير الثلج والبرد ومن العجايب ان فيه مسجدا لا ينزل عليه شيء من ذلك الثلج وان عـم الجبل كله ومدينة بونه برية بحرية كثيرة اللحم واللبن والحوت والعسل واكثر لحمانهم البقر الا انها يعم بهـا السودان ويسقم البيضان وحول بونه قبايل كثيرة من البربر مصمودة واوربة وغيرها واكثر تجارها اندلسيون ومستخلص بونه غير جباية بيت المال عشرون الف دينار وبشرقي مدينة بونه مدينة مرسى الخرز فيه المرجان وهي مدينة قد احاط بها البحر الا مسلك لطيف ربما قطعه البحر في الشتاء عليها سور وبها سوق عامرة وقد صنع بها مرفا للسفن منذ مدة قريبة وفي هذه المدينة تُنشا السفن والمراكب الحربية التي تغزى بها الى بلاد الروم والى هذه المدينة يقصد الغزاة من كل افق لان مقطعها يقرب من جزيرة سردانية بينهما نحو مجريين وبازاء مدينة مرسى الخرز بير وبيئة الماء تعرف ببير ازران يقول اهلها ۞ طعنـــة بمزران خير من شربة من بير ازران ۞ وهذه المدينـة كثيـرة الحيات فاسدة الهواء يمتاز اهلها من غيرهم بصفرة الوانهم ولا يكاد يخلو عنق احد منهم من تميمة وجباية هذه المدينة عشـــرة الاف دينار ۞

۞ الطريق من القيروان الى طبرقة ۞

من مدينة القيروان الى منستير عثمان ست مراحل وهي قرية كبيرة

اهلة بها جامـــع وفنادق كثيرة واسواق وحمامات وبير لا تنزف وقصر ثلاول مبنى بالصخر والجير وارباب المنستير قوم من قريش من ولد الربيع بن سليمان وهو اختطها عند دخوله افريقية وبها عرب وبربر وافارق ومنها الى مدينة باجة ثلاث مراحل في قرى غير متصلة ومدينة باجة كبيرة كثيرة الانهار وهي على جبل يسمى عين الشمس في هيئة الطيلسان تطرد حواليها وفيها عيون المـــاء العذب ومن تلك العيون عين تعرف بعين الشمس هي تحت سـور المدينة والباب هناك ينسب اليها ولها ابواب غير هذا وفي داخل الحصن عين اخرى عذبة غزيرة المـاء وحصنها اولى مبنى بالصخر الجليل اتقن بناء ويقال انه من عهد عيسى عليه السلام ولها ربض كبير في شرق الحصن وسور الحصن مما يـــلي الربض مهدوم وبهـا جامع متقن البناء قبلته سور المدينة وفيها خمسـة حمامات ماؤها من العيون وفنادق كثيرة وبها ثلاث رحاب لبيع الاطعمة وعيون خارجها لا تحصى كثرة وهي دايمـة الدجن والغيم كثيرة الامطار والانداء فل ما يصحى هواؤها وبها يضرب المثل في كثرة المطر ولها نهر من جهة الشرق جـــار من الجوف الى القبلة على ثلاثة اميال منها وحولها بســـاتين عظيمة تطرد فيها المياه وارضهـا سوداء متشققة يجود فيها جميع البزور وبها حمص وفول قل ما يرى مثله وتسمى هرى افريقية لريع زرعها وكثرة رباعها وانها خصيبة لينة الاسعار اذا محلت البلاد او خصبت واذا كانت اسعار القيروان نازرة لم يكن للحنطة بهـــا قيمة ربمـــا اشترى وقر البعير من الحنطة بدرهمين ويردها كل يوم من الدواب والابل العدد العظيم الالف والاكثر لانتقال الميرة فلا يوثر ذلك في سعرها لكثرة طعامهم ثـم تسير منها مرحلة الى باسلي وهي قرارات للبربر ببلد ورداحة على

عيون عذبة ومن قرى باجة المغيرية قرية شريفة بها اثار عظيمة عجيبة للاول من كنايس قايمة البنيان محكمة العمل كانما رفعت عنها الايدى بالامس وكلها معروشة بالرخام النفيس يقف عليها من الغربان عدد لايحصى كثرة حتى يظن المرء ان غربان الارض قد تجمعت هناك ويزعمون ان بها طلسما وامتحن اهل مدينة باجة ايام ابى يزيد بالمقتل والسبى والحرق قال الراجز في هجوه لابى يزيد

وبعدها باجة ايضـا افسدا
واهلها اجلى ومنها شـرّدا
وهدّم الاسـوان والقصـورا
والدور قد فتّـش والقبورا

ولم يزل الناس يتنافسون في ولاية باجة وكـان المتداولون فيها لذلك بنـو على بن حُميد الوزير فاذا عُزل منهم احـد لم يزل يسعى ويتلطف ويهادى ويتاحب حتى يرجع اليها فقيل لبعضهم لم ترغبون في ولاية باجة فقال لاربعة اشياء ۞ قمح عندة وسفرجل زانة وعنب بلطة وحوت درنة ۞ وبها حوت بورى ليس له في الافاق نظير يخرج من حوت واحد عشرة ارطال شحـم اذا كـان من جلتها واكثر وكان يحمل الى عبيد الله حوتها في العسل فيحفظه ويصل طريا ودُرْنة بين طبرقة وباجة ومنها الى مدينة طبرقة وهى على شاطى البحر وفيها اثار للاول وبنيان عجيب وهى عامرة لورود التجار فيها وبها نهر كبير تدخله السفن الكبار وتخرج في بحر طبرقة وروى ان الكاهنة قتلت بطبرقة وبشرقى مدينة طبرقة على مسيرة يوم وبعض اخر قلاع تسمى بقلاع بنزرت وهى حصون ياوى اليها اهل تلك الناحية اذا خرج الروم غزاة الى بلادهم فهى مفزع لهم وغوث وهى رباطات للصالحين وقال محمد بن يوسف في ذكر الساحل

من طبرفة الى مرسى تونس فقال ۞ مرسى القبة عليه مدينة بنزرت وهي مدينة على البحر يشقها نهر كبير كثير الحوت ويقع في البحر وعليها سور صخر وبها جامع واسوان وحمامات وبساتين وهي ارخص البلاد حوتا ۞ وافتتحها معوية بن حديج سنة احدى واربعين وكان معه عبد الملك بن مروان فشد عن الجيش فمر بامراة من العجم من اهل بنزرت فقرته واكرمت مثواه فشكر ذلك لها فلما ولى الخلافة كتب الى عامله بافريقية في المراة واهل بيتها فاحسن اليهم وظاهر النعم لديهم ۞ وتوالى هذه المراسى مذكور بعد هذا في موضعه ان شاء الله وعلى ساحل هذه القلاع بحيرة تنسب ايضا الى بنزرت يدخل اليها ماء البحر الكبير فيوجد فيها في شهر ما من السنة صنف من الحوت لايشبه غيره ولا يوجد هناك في غير ذلك الشهر وفي هذه البحيرة اعجوبة وهو ان الصياد فيه اذا اتاه التجار لشراء الحوت يقول لهم على اى شيء ارسل شبكتي فيتفق معهم على عدة معلومة فياتي الصياد بحوت يقال انه انثى الصنف المعروف بالبوري فيرسلها في البحيرة ثم يتبعها بشبكته فيخرج العدة التي اتفقوا عليها لايكاد يخطىء وعلى مقربة من هذه البحيرة بحيرتان احداها حلوة والاخرى ملحة فيصب كل واحد منهما في الاخرى نصف العام على السواء فلا يتغير لواحدة منهما طعم وبغربي مدينه بونه بركة بينها وبين بونة مسيرة يوم طولها ثلاثة اميال في مثلها وفيها سمك جليل وفيها الطاير المعروف بالكيكل يعشش على ماء تلك البحيرة ويفرخ فيها فاذا احس بحيوان في البر دفع عش فراخه قدامه الى وسط البركة وهو الطاير الذى يسمى بمصر بالحواص يصنع من جلوده الفراء ويباع بالاثمان الغالية ۞

۞ الطريف من قلعة ابي طويل الى مدينة تنس ۞

تخرج من القلعة الى مدينة المسيلة وهي مدينة جليلة على نهر يسمى بنهر سَهْر اسسها ابو القاسم اسماعيل بن عبيد الله سنة ثلاث عشرة وثلاث ماية وكان المتولي لبنائها علي بن حمدون بن سِماك بن مسعود بن منصور الجذامي المعروف بابن الاندلسي واستعمله القائم عليها فلم يزل بها الى ان هلك في فتنة ابي يزيد وبقي ابنه جعفر فيها وصار اميرا على الزاب كله الى ان خرج عنها في سنة ستين وثلاث ماية على ما نحن ذاكروه في موضعه ان شاء الله وهي مدينة في بساط من الارض عليها سوران بينهما جدول ماء جار يستدير بالمدينة وله منافذ تسقى منها عند الحاجة وللمدينة اسواق وحمامات وحولها بساتين كثيرة ويجود عندهم القطن وهي كثيرة اللحم رخيصة السعر وبها عقارب مهلكة لا يتخلص من لسبها ويغرب منها جبل عجيسة وهوارة وبنى برزال ولهم كانت ارض المسيلة وبقبلي مدينة المسيلة موضع يعرف بالقباب فيه قباب من بنيان الاول وعلى مقربة منها مدينة للاول خربة يقال لها بشليقة فيها جدولان من ماء عذب جلبه الاول اليها يقال لها تارفا انوودى تفسيره سافية السمن ۞ وقال احمد بن محمد المروذي يذكر نزول اسماعيل بالمسيلة والشيعة تسميها المحمدية

تـــم الى مدينة مرضيه	اســـت على التقوى محمديه
اقبـــل حتى حلها محييه	بالنور من طلعتـــه المضيه
حـــل في عسكره المسيله	في هيئـــة كاملة جميلـه
للنصـــر في ارجائه مخيله	بنعمة من ذي العلى جليله

ونهر سهر الذى عليه مدينة المسيلة منبعثه من عيـون داخـل مدينة غدير واروا وهي مدينة كبيرة اولية بين جبال فيها عين

ثرة عذبة عليها الارحاء وعين اخرى وتحتهما عين خرارة يقال لها عين مخلد تجتمع فيها ومن هناك منبعث نهر سهر وبمدينة الغدير جامع واسواق عامرة وفواكه كثيرة وهي رخيصة الطعام واللحم وجميع الثمار فنطار عنب فيها بدرهم وسكانها هوارة يعتدون في ستين الفا ۞ وبشرقي مدينة الغدير قرية اولية يقال لها طرفلة لا تعدل بها قرية وهم يقولون ۞ طرفلة طرب من الجنة ۞ ومدينة الغدير ما بين سوق حمزة وطبنة وهي على مرحلتين من طبنة ۞ وتسير من مدينة المسيلة الى نهر يسمى جوزة ومن جوزة الى مدينة اشير وقال محمد بن يوسف ان الذى بنا اشير زيرى والدليل على ذلك ما انشده عبد الملك بن عيشون

يا ايها السايل عن غربنا   وعن محل الكفر ءاشير
عن دار يوسف ظالم اهلها   قد شيدت للافك والزور
اسسها الملعون زيريها   فلعنة الله على زيرى

وهي جليلة حصينة يذكر انه ليس في تلك الاقطار احصن منها ولا ابعد متناولا ومراما ولا يوصل الى شيء منها بقتال الا من موضع يحميه عشرة رجال وهو في شرقيها الذى ينفذ الى عين مسعود وساير نواحيها تزلّ عنها العيون وتكيع الاقدام وهي مع ذلك بين جبال شامخة محيطة بها دايرة عليها وداخل مدينتها عينان ثرتان لا يبلغ لهما غور ولا يدرك قعر احداها تعرف بعين سليمان والاخرى بعين تالانتيرغ والذى بنى سورها بالجّير يوسف بن زيرى بن مناد الصنهاجي سنة سبع وستين وثلاث مائة وخربها يوسف بن حماد ابن زيرى واستباح اموالها وفضح حرمها وذلك بعد اربعين واربع مائة ثم تراجع الناس اليها بعد خمس وخمسين ۞ وتسير من مدينة اشير الى قرية تسمى سوق هوارة ومنها الى قرية تسمى سوق

كـرام وهي على نهر شلف ومنهـــا الى مدينة مليانة وهي مدينة رومية فيها اثار وهي ذات اشجار وانهار تطحن عليها الارحاء جددها زيرى بن مناد واسكنها ابنه بلجين وهي عامرة ومنهــا الى مدينة الخضراء وهي مدينة جليلة كثيرة البساتين وهي على نهر اذا جهل دخل بعضهــا ومنهـــا الى مدينة قديمة مدينة بنى واريفن وهي واسعة المسارح كثيرة الكلاء ومنها الى مدينة فاربة وهي مدينة لطيفة ذات اعين كثيرة وهي في صبح جبــــل ومنهـا الى مدينة تنس بينها وبين البحر ميلان وهي مسورة حصينة داخلهـا قلعة صغيرة صعبة المرتقى ينفرد بسكناها العمال لحصانتها وبها مسجد جامع واسوان كثيرة وهي على نهر يسمى تناتين ياتيها من جبال على مسيرة يوم ياتيها من القبلة ويستدير بهـــا من جهة الجـوب والشرق وبريف في البحر وبها حمامات وتنس هذه هي التى تسمى تنس الحديثة وعلى البحر حصن يذكر اهل تنس انه كان القديم المعمور قبل هذه الحديثة وتنس الحديثة اسسها وبناها البحريون من اهــــل الاندلس منهم الكركرني وابو عايشة والصُّقر وصُهيب وغيرهم وذلك سنة اثنتين وستين ومايتين ويسكنها فريقـان من اهل الاندلس من اهل البيرة واهل تدمير واصحاب تنس من ولد ابراهيم بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن حسن بن حسين ابن علي وكان هولاء البحريون من اهل الاندلس يشتون هنـاك اذا سافروا من الاندلس في مرسى على ساحل البحر فتجمع اليهم بربر ذلك القطر ورغبـوا في الانتقـــال الى قلعة تنس وسـالوهم ان يتخذوها سوقا ويجعلوها سكنى ووعدوهم بالعون والرفق وحسن المجاورة والعشرة فاجابوهم الى ذلك وانتقلوا الى القلعة وخيموا بها وانتقل اليهم من جاورهم من اهل الاندلس وغيرهم فلمــا دخل

عليهم الربيع اعتلوا واستوبؤا الموضع فركب البحريون من اهل الاندلس مراكبهم واظهروا لمن بقي منهم انهم يمتارون فحينئذ نزلوا مرية بجّانة وتغلبوا عليها على ما ياتي ذكره ان شاء الله ثم ان البافون في تنس لم يزالوا في تزيد ثروة وعدد ورحل اليهم اهل سوق ابراهيم وكانوا في اربع ماية بيت فتوسع لهم اهل تنس في منازلهم وشاركوهم في اموالهم وتعاونوا على البنيان واتخذوا الحصن الذى فيها اليوم ولها بابان الى القبلة وباب البحر وباب ابن ناصح وباب الخوخة شرقي يخرج منه الى عين تعرف بعين عبد السلام ثرة عذبة وكيلهم يسمى الصحفة وهي ثمانية واربعون قادوسا والقادوس ثلاثة امداد بمد النبى صلى الله عليه وسلم ورطل اللحم بها سبع وستون اوقية ورطل ساير الاشياء اثنتان وعشرون اوقية ووزن قيراطهم ثلث درهم عدلٍ بوزن قرطبة والجاري عندهم قيراط وربع درهم وصقل وحبّتان مضروبة كلها ودرهمهم اثنا عشر صقليةً عددا وقال سعيد بن واشكَل التيهرتي في علته التى مات منها بتنس

نأى النوم عني واضمحلّت عرى الصبر وأصبحت عن دار الاحبّة في اسر
واصبحت عن تيهرت في دار معزل واسلمني مرّ القضاء من القدر
الى تنس دار النحوس فانها يساق اليها كل منتقض العمر
هو الدهر والسيّان والماء حاكم وطالعها المنحوس صمصامة الدهر
بلاد بها البرغوث يحمل راجلا ويأوى اليها الذيب في زمر الحشر
ويزحف فيها العامّ في كل ساعة بجيش من السودان تغلب بالوتر
ترى اهلها صرعى دوى امّ ملدم يروحون في سكر ويغدون في سكر

وقال غيره

ايّها السايل عن ارض تنسْ مقعد اللوم المصفّى والدنسْ

بلدة لا ينزل القطر بها ... الندى في اهلها حرف درس
وحصاء النطق في لا ابدا ... وهم في نعم بكم خرس
فمتى تلمم بها جاهلها ... يرتحل عن ارضها قبل الغلس
وماؤها من قبح ما خصت به ... نجس يجرى على ترب نجس
فمتى تلعن بلادا مرة ... فاجعل اللعنة ذابا لتنس

واما الطريق من تنس الى تيهرت خمس مراحل ۞

۞ الطريق من القيروان الى مرسى الزيتونة ۞

من القيروان الى مجانة على ما تقدم ومنها الى مدينة تيجس ومدينة تيجس عليها سور صخر رومى ولها ربض وبها اسواق وجامع وحمام وبها من قبايل البربر نفزة وورغروسة وبنو وتموا وكزناية وجمرة من زناتة ثم تسير من مدينة تيجس الى مدينة قسنطينة وهى مدينة اولية كبيرة اهلة ذات حصانة ومنعة ليس يعرف احصن منها وهى على ثلاثة انهار عظام تجرى فيها السفن قد احاطت بها تخرج من عيون تعرف بعيون اشقار تعسيرة سود وتقع هذه الانهار في خندق بعيد القعر متناهي البعد قد عقد في اسفله قنطرة على اربع حنايا ثم بنى عليها قنطرة ثانية ثم على الثانية قنطرة ثالثة من ثلاث حنايا ثم بنى فوقهن بيت ساوى حافتى الخندق يعبر عليه الى المدينة ويظهر الماء في قعر هذا الوادى من هذا البيت كالكوكب الصغير لعمقه وبعده ويسمى هذا البيت العبور لانه معلق في الهواء ويسكن قسنطينة قبايل شتى من اهل ميلة ونفزاوة وقسطيلية وهى لقبايل من كتامة وبها اسواق جامعة ومتاجر رابحة وبينها وبين مرسى سكدة مسيرة يوم ومن مدينة قسنطينة الى مدينة ميلة وفى سنة ثمان وسبعين

وثلاث مائة في شوال خرج المنصور من القيروان غازيا لكتامة فلما
قرب من ميلة زحف اليها بأذيا على اصطلام اهلها واستباحتهم
فخرج اليه النساء والعجايز والاطفال بعد ان عبّا جيوشه لمحاربتها
ونشر البنود وضرب الطبول فلما راى من خرج اليه منها بكى وامر
ان لا يقتل من اهلها احد وامر بهدم سورها وتسييرمن فيها الى
مدينة باغاية فخرجوا بجماعتهم يريدونها وقد تحملوا ما خف
من امتعتهم فلقيهم ماكسن بن زيرى بعسكره فاخذ جميع ما
معهم وبقيت ميلة خرابا ثم عمرت بعد ذلك وعليها سور صخر
اليوم وحولها ربض وبها جامع واسواق وحمامات والمياه تطرد
حولها يسكنها العرب والجند والمولدون وهي من غرر مدن الزاب
ولمدينة ميلة باب شرقي يعرف بباب الروس وعلى مقربة منه جامعها
وهو ملاصق لدار الامارة وباب جوفي يعرف بباب السعلى ويليه
داخل المدينة عين تعرف بعين ابى السباع مجلوبة تحت الارض من
جبل بنى ياروت يشق منها سوقها سافية فاذا قل الماء في الصيف
اجريت يوم السبت والاحد من الجمعة لا غير ولها حمامات في
ربضها وبها عين تعرف بعين الحمى يرش منها على المحموم فيبرا
لبركتها وشدة بردها ثم تسير من مدينة ميلة الى مرسى الزيتونة
وهو جبل جيجل ۞

۞ الطريق من مدينة اشير الى مرسى الدجاج ۞

تخرج من مدينة اشير الى شعبة وهي قرية ومنها الى مضيق بين
جبلين ثم تفضى الى فحص افيح تجمع فيه عروق عافر فرحا ومن
هذا الموضع تحمل الى الافاق وهناك مدينة تسمى حمزة نزلها

وبناها حمزة بن الحسن بن سليمان بن الحسين بن على بن الحسن ابن على بن ابى طالب رضى الله عنهم والحسن بن سليمان هو الذى دخل المغرب وكان له من البنين حمزة هذا وعبد الله وابراهيم واحمد ومحمد والقاسم وكلهم اعقب وعقبهم هناك وتسير من حمزة الى بلياس وهى فى جبل عظيم ومن بلياس الى مرسى الدجاج ومدينة مرسى الدجاج قد احاط بها البحر من ثلاث نواح وقد ضرب بسور من الضفة الغربية الى الضفة الشرقية ومن هناك يُدخل اليها واسواقها ومسجد جامعها داخل ذلك السور له باب واحد ولها مرفا غير مامون لضيقه وقرب قعره وبها عيون طيبة يسكنها الاندلسيون وقبايل من كتامة وبشرقيها مدينة بنى جنّاد وهى اصغر منها ۞ ومن اراد الطريق من القيروان الى مرسى الدجاج فانه ياخذ الى المسيلة على ما تقدم ثم الى اوزفور وهى عين عذبة باردة عليها شجرة عظيمة وهذا اخر حد بلد صَنهاجة الى سوق ماكسن وهى مدينة على وادى شلف لصنهاجة عليها سور ولها عيون الى سوق حمزة وهى مدينة عليها سور وخندق وبها ابار عذبة وهى لصنهاجة وكانْ نزلها حمزة بن الحسن بن سليمان بن الحسين ابن على بن الحسن بن على الى بنى جناد وهى مدينة صغيرة على جبل بينها وبين البحر نحو ميل ومنها الى مرسى الدجاج ۞

۞ الطريق من مدينة اشير الى مدينة جزاير بنى مزغنى ۞

من اشير الى المديّة وهى بلد جليل قديم ومنها الى فزرونة وهى مدينة على نهر كبير عليه الارحا والبساتين ويقال لها متيجة ولها مزارع ومسارح وهى اكثر تلك النواحى كتّانا ومنها يحمل

وفيها عيون سائحة وطواحين ماء ومنها الى مدينة ماغزر ومنها الى مدينة جزاير بنى مزغنى وهى مدينة جليلة قديمة البنيان فيها اثار للاول وازاج محكمة تدل على انهـا كانت دار مملكة لسالف الامم وصحن دار الملعب فيها قد فرش بحجارة ملونة صغار مثل الفسيفساء فيها صور الحيوان باحكم عمل وابدع صناعة لم يغيرها تقادم الزمان ولا تعاقب القرون ولها اسواق ومسجد جامع وكانت بمدينة بنى مزغنى كنيسة عظيمة بقى منهـا جدار مدير من الشرق الى الغرب وهو اليوم قبلة الشريعة للعيدين مقصص كثير النقوش والصور ومرساها مامون له عين عذبة يقصد اليه اهل السفن من افريقية والاندلس وغيرها ومن اشير الى تامَغَلْت ثلاثون ميلا وهى مدينة مبنية فى سفح جبل على راس الصحراء ۞

۞ الطريق من القيروان الى تنس ۞

من القيروان الى مدينة الغُرّة على ما تقدم ثم منهـا الى مدينة تاجنة وهى مدينة سهلية اهلة عليهـا سور وبها جـامع سكانها برجانة وحولها كزناية ومن مدينة تاجنة الى مدينة تنـس فان اردت من الغرة الى مدينة تيهرت فمن مدينة الغرة الى تاجهـوت على مضيق مكناسة الى عين الصبحى عيـن خرارة فى سفح جبل لمطاطة الى تاغريبت الى تيهرت ومدينة تيهرت مسورة لها ثلاثة ابواب باب الصبا وباب المنازل وباب الاندلس وباب المطاحن وغيرها وهى فى سفح جبل يقال له جزّول ولها قصبة مشرفة على السوق تسمى المعصومة وهى على نهر ياتيها من جهة القبلة يسمى مِينة وهـو فى قبليها ونهر اخر يجرى من عيون تجتمـع تسمى تاتُش و من تاتس

شرب اهلها وبساتينها وهو فى شرقيها وفيها جميع الثمار وسفرجلها يفوق سفرجل الآفاق حسنا وطعما ومشما وسفرجلها يسمى بالفارس وهى شديدة البرد كثيرة الغيوم والثلج قال بكر بن حماد ابو عبد الرحمن وكان ثقة مامونا حافظا للحديث سمع بالمشرق من ابن مسدد وعمرو بن مرزوق وبشر بن حجر وبافريقية من سحنون وغيرهم وسكن تاهرت وبها توفى فقال

مـــا اخشن البردَ وريعانه	واطرف الشمسَ بتـــاهرت
تبدو من الغيم اذا ما بدَتْ	كانهـا تُنْشَر من تخـــت
فنحن فى بحـــــر بلا لجّة	تجرى بنا الريح على السمت
نفرح بالشمس اذا ما بدت	كفرحـــة الذمّى بالسبت

ونظر رجل من اهل تاهرت الى توقد الشمس بالحجاز فقال احرقى ما شئت فوالله انك بتاهرت لذليلة ۞ وهذه تاهرت الحديثة وعلى خمسة اميال منها تاهرت القديمة وهى حصن لبرجانة وهو فى شرقى الحديثة ويقال انهم لما ارادوا بناء تاهرت كانوا يبنون النهار فاذا جن الليل واصبحوا وجدوا بنيانهم قد تهدم فبنوا حينئذ تاهرت السفلى وهى الحديثة وبقبليها لواطة وهوارة فى قرارات وبغربيها زواغة وبجوفيها مطماطة وزناتة ومكناسة وقد ذكرنا ان بشرقيها حصن لبرجانة وهو تاهرت القديمة وكان صاحب تاهرت ميمون ابن عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن رُستم بن بهرام وبهرام هذا مولى امير المومنين عثمان رضى الله عنه وهو بهرام بن ذوشرار بن سابور ابن بابكان بن سابور ذى الاكتاف الملك الفارسى وكان ميمون راس الاباضية وامامهم وامام الصفرية والواصلية وكان يسلّم عليه بالخلافة وكان مجمع الواصلية قريبا من تاهرت وكان عددهم نحو ثلاثين الفا فى بيوت كبيوت الاعراب يحملونها وتعاقب مملكة

تاهرت بنو ميمون وبنو اخويه عبد الرحمن واسماعيل بن الرستمية الى سنة ست وتسعين ومايتين فوصل ابـو عبد الله الشيعي الى مدينة تاهرت فدخلها بالامان ثم قتل فيها من الرستمية عددا كثيرا وبعث برءوسهم الى اخيه ابي العباس وطيف بها بالقيروان ونصبت على باب رقادة وملك بنو رستم تاهرت ماية وثلاثين سنة وذكر محمد بن يوسف ان عبد الرحمن بن رستم كان خليفة لابي الخطاب عبد الاعلى بن السمح بن عبيد بن حرملة ايام تغلبه على افريقية فلما قتل محمد بن الاشعث الخزاعي ابا الخطاب وذلك في صفر سنة اربع واربعين وماية هرب عبد الرحمن باهله وما خف من ماله وترك القيروان فاجتمعت اليه الاباضية واتفقوا على تقديمه وبنيان مدينة تجمعهم فنزلوا موضع تاهرت اليوم وهو غيضة اشبة ونزل عبد الرحمن منه موضعا مربعا لا شعراء فيه فقال البربر نزل تافدمت تفسيره الدف شبهوه بالدف لتربيعه وادركتهم صلاة الجمعة فصلى بهم هنالك فلما انقضت الصلاة ثارت صيحة عظيمة على اسد ظهر في الشعراء فاخذ حيّا وأُتي بـه الى الموضع التى صلوا فيه وقتل هناك فقال عبد الرحمن بن رستم هذا بلد لايفارقه سفك دم ولاحرب ابدا وابتدوا من تلك الساعة فبنوا في ذلك الموضع مسجدا وقطعوا خشبة من تلك الشعراء فهو كذلك الى اليوم وهو مسجد جامعها وهو من اربعة بلاطات قال وكان موضع تاهرت ملكها لقوم مستضعفين من مراسة وصنهاجة فارادهم عبد الرحمن على البيع فابـوا فوافقهم على ان يودوا اليهم الخراج من الاسواق ويبيحوا لهم بنيان المساكن فاختطوا وبنـوا وسمى الموضع معسكر عبد الرحمن بن رستم الى اليوم قال وبتاهرت اسواق عامرة وحمامات كثيرة يسمى منها اثنى عشر حماما وحواليها من

البربر امم كثيرة ومدهم الذى يكتالون به خمسة افغزة وبصيف
فرطبية وقنطار الزيت وغيره عندهم قنطاران غير ثلث الا المجلوب
من الفلفل وغيره فانه قنطار عدل ورطل اللحم عندهم خمسة
ارطال ۞ وان اردت طريف الساحل من تنس الى اشير زيرى فمن
تنس الى بنى جلّيداسن مدينة لطيفة لمطغرة يسكنه الاندلسيون
والفرويون ولا يدخلها برجانى من وفت غدرهم بها وهى بلدة
طيبة بها عيون عذبة وهى مطلة على فحص شلف وهناك مدينة
شلف على نهر بها سوف عامرة تعرف بشلف بنى واطيل لزواغة
ومنها الى بنى واريفن لمطغرة على نهر شلف بها حوانيت الى مدينة
مليانة وهى اولية شريفة جددها زيرى بن مناد واسكنها ولده
بلجين وهى مشرفة على جميع ذلك الفحص الذى فيه بنو واريفن
وغيرهم وهى عامرة اهلة على نهر ولها ابار عذبة وسوف جامعة
ومنها الى مدينة اشير ۞ وان اردت الطريف من تاهرت الى البحر
فانك تمر بين قبايل البربر حتى تاتى شلف بنى واطيل ومن هناك
الى الغزّة يومان والغزة ساحل تاهرت وبقرب هذا الموضع على
البحر قلعة مغيلة دَلول وهى فى اعلى جبل منيف هناك شديدة
الحصانة بينها وبين البحر خمسة براخ وبها عين ماء تسمى عين
كُردى وبين قلعة دلول هذه ومدينة مستغانم مسيرة يومين
وهى على مغربة من البحر وهى مدينة مسورة ذات عيون وبساتين
وطواحين ماء ويبذر فى ارضها القطن فيجود وهى بقرب مصب نهر
شلف فى البحر وبغربى هذه المدينة على نحو ثلاثة اميال منها
مدينة تامزغران وهى مدينة مسورة لها مسجد جامع وعلى مغربة
منها قلعة هوارة ويسمونها تاسفدالت وهى قلعة فى جبل لها ثمار
ومزارع وتحت هذه القلعة يجرى نهر سيرات وهو النهر الذى

يسقى به فحص سيرات وطول الفحص نحو اربعين ميلا ليس منه
شيء الا ينالة ماء هذا النهر الا انه اليوم غامر غير عامر ولا ءاهل
لان الخوف اجلى اهله وفى ساحل هذا الفحص مدينة ارزاو وهي
مدينة رومية خالية فيها اثار عظيمة للاول باقية يحار من دخل
فيها لكثرة عجايبها وبقرب مدينة ارزوا جبل كبير فيه فلاع
ثلاث مسورة رباط يقصد اليه وفي هذا الجبل معدن للحديد
وللزيبق واذا ارسلت النار فى حجره تفاوحت منه ارواح عطرة
وبين مدينة ارزوا هذه ووهران اربعون ميلا ومدينة وهران
حصينة ذات مياه سايحة وارحاء ماء وبساتين ولها مسجد جامع
وبنى مدينة وهران محمد بن ابى عون ومحمد بن عبدون وجماعة
من الاندلسيين البحريين الذين ينتجعون مرسى وهران باتفاق
منهم مع نفزة وبنى مُسقن وهم من ازداجة وكانوا اصحاب الفرشى
سنة تسعين ومايتين فاستوطنوها سبعة اعوام وفى سنة سبع
وتسعين ومايتين زحف قبايل كثيرة الى وهران يطالبون اهلها
باسلام بنى مسقن اليهم لدماء كانت بينهم فابى اهل وهران
من اسلامهم اليهم فنصبوا عليهم الحرب وحاصروهم ومنعوهم الماء
فخرج عنهم بنو مسقن ليلا هاربين واستجاروا بازداجة واجاروهم
وتغلّب على اهل مدينة وهران وخرجوا عنها مسلّمين فى انفسهم
واسلموا ذخايرهم واموالهم وخربت وهران واضرمت نارا وذلك
فى ذى الحجة من هذه السنة ثم عاد اهل وهران اليها فى السنة
بعدها سنة ثمان وتسعين ومايتين بامر ابى حُميد دوّاس بن
صولات ويقال داود عامل تاهرت وابتدوا بنيانها فى شعبان من
هذه السنة فعادت احسن مما كانت وولى عليهم داود بن صولات
اللهيصى محمد بن ابى عون فلم تزل فى عمارة وكمال وزيادة وحسن

حال الى ان وقع يعلى بن محمد بن صالح اليفرني بازداجة بجبل فيدر وبين جماعتهم وكانت الوقيعة بينهم يوم السبت للنصف من جمادى سنة ثلاث واربعين وثلاث مائة فدخل يعلى مدينة وهران وملكها ثم نقل اهلها الى مدينته المعروفة وذلك في ذى القعدة من العام المورخ وخرب مدينة وهران ثانية وحرقها وبقيت كذلك سنين ثم تراجع الناس اليها وبنيت ۞ وفي عمل وهران قرية اهلها موصوفون بعظم الاجساد ومعروفون بشدة الايد اخبرني غير واحد انه راى الرجل الكامل في الخلف المعهود يكون الى دون منكب الرجل منهم وانه كان منهم رجل يحمل ستة نعم ويخطو بهم خطوات يحمل على عاتقه اثنين وتابط اثنين ويحمل على ذراعيه اثنين وان رجلا منهم اراد عمل بيت فاقتطع الصخرة كالنخلة وحملها على ظهره وسوى منها بيتا تاما معرّشا ۞

۞ الطريق من وهران الى القيروان ۞

تخرج من وهران الى تانسالمت قرية لازداجة بها سوق وعين عذبة وهي في طرف جبل جَيْدَرْ ومنها الى جراوة لعْزيزوا وهي سوق عبيدون ابن سنّان الازداجي ومنها الى قصر ابن سنّان ثم للجادة على ما تقدم وهي خمس وعشرون مرحلة ۞

وطريق اخر من وهران الى القيروان على بلد قسطيلية ۞ من وهران كما ذكرنا الى قصر منصور بن سنان ثم الى العلويين وهي مدينة يعلى بن باديس عليها سور وهي على نهر كبير وداخلها عيون ومنها الى نهر سي بن دمر وهو نهر كبير عليه بساتين كثيرة ومنها الى احساء عقبة بن نافع القرشي وهي ابار

كثيرة مبنية بخشب العرعار وتعرف باَبار العسكر يريدون عسكر
عقبة ويسمى بالبربرية ارســـان ثم تمشى فى معاوز ربما نزلها بنـو
مغراوة ثلاث مراحل او اربعا الى سافية ابن خزر يسمونها ازمّرين
عليها قصر خراب حوله ثمار ونخيل الى مدن بنطيـوس وهى ثلاث
مدن يقرب بعضها من بعض وفى كل مدينة جامع فالاثنان لاهل السنة
والثالث لقوم من الخوارج يعرفون بالواصلية اباضية احداها يسكنها
قوم من العرس يعرفون ببنى جُرج وبغربيها نهر جار ينحدر اليها
من ناحيـة الجوف وهذا النهر يسقى الثلاث المدن والثانية يسكنها
المولدون والثالثة يسكنها البربر واكثر ثمارها النخـل والزيتـون
والثلاث المدن فى سهلة عريضة اريضة عليها كلها اسوار وخنـادق
وبغربيها صحراء بنطيوس تسقى بتلك النهر المذكور واذا لكل الرجل
فيها زريعته عرف مبلغ اصابته من الطعام لا يخطى وابارها ملحة وبقرب
منها قرى كثيرة وبجوف بنطيوس طولقة وهى ثلاث مدن كلها عليها
اسوار طوب وخنادق وحولها انهـار وهى كثيرة البساتين بالزيتون
والاعنـاب والنخل والشجر وجميع الثمار احداها يسكنها المولدون
والثانية يسكنها اليمن والثالثة يسكنها قيس ثم من بنطيوس الى
مدينة بسكرة وقد تقدم ذكرها ومنها الى مدينة تهوذا وتعرف
بمدينة السحر وهى مدينة اهلة كثيرة الثمار والنخيـــل والزرع
وتهوذا مدينة اولية بنيانها بالحجر ولهـــا اموال كثيرة وحولها
ربض قد خندق على جميعه واستدار بالمدينة وبها جامع جليـل
ومساجد كثيرة واسواق وفنادق ونهر ينصب فى جوفيهـــا من
جبل اوراس سكانها العرب وقوم من قريش وان كـــانت بينهم
وبين من يجـــاورهم حرب ارسلوا مـــاء النهر فى الخندق المحيط
بمدينتهم فشربوا منه وامتنعوا من عدوهم به وفى المدينة بيـــر

لاتنفزح اولية وابار كثيرة طيبة واعداؤهم هوّارة ومكناسة اباضية وهم بجوبيها واهل تهوذا على مذاهب اهل العراق وحولها بساتين كثيرة من اصناف الثمار وضروب البذر يجود بها البذور وحواليها ازيد من عشرين فرية ۞ وروى ابو المهاجر عن رجاله عن شهر ابن حوشب ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن سكنى هذه البفعة الملعونة التى يفال لها تهوذا ويفول انه سوف يُفتل بها رجال من امتى على الجهاد فى سبيل الله ثوابهم ثواب اهل بدر واهل احد ما بُدّلوا حتى ماتوا وكان شهر بن حوشب يفول واشوفاه اليهم وكان يفول سالت التابعين عن هذه العصابة فقالوا ذلك عفبة ابن نافع فتله البربر والنصارى بمدينة يفال لها تهوذا فمنها يحشرون يوم الفيامة وسيوفهم على عواتفهم حتى يفعوا بين يدى الله تعالى ۞ فال ابو المهاجر فدم عفبة بن نافع مصر وعليها عمرو ابن العاصى فى خلافة معوية فنزل منزلا من بعض فراها ومعه عمرو ابن العاصى وعبد الله بن عمرو وجماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع بين ايديهم سفرة فيها طعام فلما تناولوا من الطعام ضربت حداة على الطعام الذى بين ايديهم فاخذت منه عرفا فقال عفبة اللهم دُقّ عنُقها فال فافبلت الحداة منفضّة حتى ضربت بنفسها الارض فاندق عنفها فاسترجع عمرو فسمعه عفبة يترجع فقال ما بالك يابا عبد الله فال بلغنى ان نفرا من فريش يخرجون الى هذا الموضع فيستشهدون جميعا فقال عفبة اللهم وانا منهم ۞ ثم ان عفبة بن نافع خرج من عند يزيد ابن معوية فى جيش على غزو المغرب فمر على عبد الله بن عمرو وهو بمصر فقال له عبد الله يا عفبة لعلك من الجيش الذين يدخلون الجنة برحالهم ۞ وفال ابو المهاجر فبلغ عفبة بن نافع فى غزواته

10

الى السوس الادنى والسوس الاقصى والبحر المحيط وادخل فيه فرسه حتى بلغ الماء لبب فرسه وانصرف الى افريقية فلما دنا منها تفرق اصحابه عنه فوجا فوجا فلما وصل الى مدينة طبنة اذن لساير من بقي معه وبقي في عدة يسيرة وقال في طريقه امرّ الى مدينة تهوذا والى مدينة باديس اعرف ما يكفيهما من العدة والجيوش وكانا في ذلك الوقت من اعظم مداين المغرب فلما انتهى الى مدينة تهوذا اعتمد كسيلة بن لهزم في جيوش الروم واقبلت اليه عساكر البربر وقد علموا بافتراق عساكر عقبة فزحفوا اليه فكسر عقبة واصحابه اجفان سيوفهم وقاتلوا حتى قُتلوا جميعا وقبر عقبة معروف بمدينة تهوذا ولما اراد معد بن اسماعيل بن عبيد الله تحريف قبلة مسجد القيروان وقلع من محرابه اجرّا وذلك سنة خمس واربعين وثلاث ماية بلغه ان اهل القيروان يذكرون دعاء عقبة للقيروان وتاسيسه جامعها وانهم يقولون ان الله عز وجل يمنعه منه بدعاء صاحب نبيه له فامر معد لعنه الله بنبش قبر عقبة واحراق رمته بالنار وبعث الى مدينة تهوذا لذلك خمس ماية بين فارس وراجل فلما دنوا من قبره وحاولوا ما امرهم به هبت ريح عاصفة ولاحت بروق خاطفة وقعقعت رعود قاصفة كادت تهلكهم فانصرفوا ولم يعرضوا له ۞ ومنها الى مدينة باديس مرحلة ومدينة باديس حصنان لهما جامع واسوان وبسايط ومزارع جليلة يزدرعون بها الشعير مرتين في العام على مياه سايحة كثيرة عندهم ومن باديس الى قيطون بياضة وهو اول بلد سماطة ومنه يفترق الطريق الى بلاد السودان والى اطرابلس والى القيروان الى مدينة نفطة مرحلتان وهي مبنية بالصخر عامرة اهلة بها جامع ومساجد وحمامات كثيرة وهي كثيرة المياه السايحة وشرب جميع بلاد قسطيلية

بوزن الا نبطة فان شربها جزاب وجميع اهلها شيعة وتسمى الكوفة الصغرى الى مدينة توزر وهي اخر اقاليم بلاد قسطيلية وقد تقدم ذكرها وبينها وبين بسكرة خمسة ايام ثم تسير منها الى قفصة مرحلتان ومن مدينة قفصة الى فج الحمار وبه فنادق وماجل للماء الى الهروية وهي اخر قرى كورة قمونية الى مدينة مذكود وهي ام اقاليم بلاد قمونية بها جامع وحمامات واسوان ومساجد كثيرة وفنادق عدة وابار عذبة الماء بعيدة الرشاء وحولها ثمار كثيرة من جميع الاصناف اكثرها شجر التين وهو يعوف تين افريقية طيبا ومنها يحمل التين زبيبا الى القيروان فيكون اعلى من ساير التين ثمنا واكثر طلبا وهي في غابة من شجر التين لا تظهر لمن قصدها حتى يبلغها ومن مدينة مذكود الى جمونس الصابون قرية كبيرة اهلة وبها ابار عذبة وهي في سند جبل حولها رمل كثير وشجر الزيتون وبها جامع وسوق عامرة وحمام وفيها قصر كبير وهو مخزن لجماعة اهلها وبها غدير ماء كبير ولها قرى كثيرة عامرة مبيدة الى قرية مجدول اهلة كبيرة ايضا مثل التى قبلها صبغة ولها غدير يجري ببحيرة مجدول منه شربهم ولهم ابار كثيرة طيبة ومنها الى بنى دعام قرية جامعة عامرة الى مدينة القيروان وذلك من وهران الى القيروان على قسطيلية ثلاث واربعون مرحلة ۞ ومن اراد الطريف من تنس الى تاهرت فمن تنس الى الغُزّة على ما تقدم الى تاجموت على مضيف مكناسة الى عين الصُبحى عين كبيرة في سند جبل لمطماطة الى تاغريبت الى مدينة تاهرت ۞ ومدينة الخضراء على مقربة من تنس وهي مدينة كبيرة على نهر خرّار عليه الارحاء واذا جل دخل المدينة وحولها بساتين كثيرة ويكتنفها من قبايل البربر مدغرة وبنو دَمّر ومديونة وبنو واربعن

وهي بين مدينة تنس ومدينة اغزر وقد تقدم ذكرها وهي افزّونة متيجة ومدينة صطيف على مرحلتين من المسيلة تخرج من المسيلة الى غدير وارّوا يسكنه بنو يغمراسن من هوارة على عيون طيبة يعتدّون في سنين الغلا وقد تقدم ذكرها ومنها الى سطيف وهي مدينة كبيرة جليلة اولية كان عليها سور خربته كتامة مع ابي عبد الله الشيعي لانها كانت في الاول لكتامة ثم غلبتهم عليها العرب فكانوا يعشّرونهم اذا دخلوها وهي اليوم دون سور لاكنها عامرة جامعة كثيرة الاسواق رخيصة الاسعار وبين سطيف والقيروان عشر مراحل وبينها وبين افزّونة عشر مراحل ايضا ومدينة تاناجللت على مرحلة من مدينة صطيف وعلى مغربة من مدينة ميلة المذكورة قبل هذا وتانافللت مدينة لكتامة عامرة اهلة ليس بها مسجد وغدير وارّوا المذكور على مرحلتين من طبنة وبين تاناجللت ومدينة القيروان ثمان عشرة مرحلة وبين مدينة وهران وتلمسان ومرحلتان ۞

۞ ذكر مدينة تلمسان وما والاها الى المغرب ۞

وهي مدينة مسورة في سفح جبل شجره الجوز ولها خمسة ابواب ثلاثة منها في القبلة باب الحمام وباب وهب وباب الخوخة وفي الشرق باب العقبة وفي الغرب باب ابي قرّة وبها للاول اثار قديمة وبها بقية من النصارى الى وقتنا هذا ولهم بها كنيسة معمورة واكثر ما يوجد الركاز في تلك الاثار وكان الاول قد جلبوا اليها ماء من عيون تسمى لوريط بينها وبين المدينة ستة اميال وهذه المدينة تلمسان قاعدة المغرب الاوسط ولها اسواق ومساجد ومسجد جامع واشجار وانهار عليها الطواحين وهو نهر سطفسيف وهي دار مملكة زناتة

وموسطة قبايل البربر ومقصد لتجار الافاق ونزلهـا محمد بن سليمان بن عبد الله بن حسن بن على بن ابى طالب ومن ولده عيسى ابو العيش بن ادريس بن محمد بن سليمان الذى بنا جراوة وكان اميرها وبها توفي ولم تزل تلمسان دارا للعلماء والمحدثين وحملة الراى على مذهب ملك بن انس رحمه الله وفي الجنوب من تلمسان قلعة ابن الجاهل وهي قلعة منيعة كثيرة الثمار والانهار ويتصل بها جبل تارني وهو وما يليه جبال معمورة الى مدينة تيزيل وهي اول الصحراء ومنها يسافر الى مدينة سجلماسة والى وارجلن والى القلعة وهي مدينة معمورة فيها اثار للاول وبها مسجد وفي الشمال من تلمسان منزل يسمى باب القصر فوقه جبل يسمى جبل البغل ينبعث من اسفله نهر سطفسيف ويصب في بركة عظيمة من عمل الاول ويسمع لوقوعه فيه خرير شديد على مسافة ثم ينبثق منها بحكمة مدبرة الى موضع يسمى المهماز الى ولج الحنا الى جنان الحاج حتى يصب في نهر اسّر ثم ينصبّ في نهر تافنا وهو النهر الذى يصل الى مدينة ارشقول وهناك ينصب في البحر وارشقول ساحل تلمسان وبين مدينة ارشقول وتلمسان قصر زبدور طوله خمسة وعشرون ميلا ومدينة ارشقول على نهر تافنى يقبل من قبليها ويستدير بشرقيها يدخل فيه السفن اللطاب من البحر الى المدينة وبينهما ميلان وهي مسورة وبمدينة ارشقول جامع حسن فيه سبعة بلاطات وفي صحنه جب كبير وصومعة متقنة البناء وفيها حمامان احدهما قديم ولهـا من الابواب باب الفتوح غربي وباب الامير قبلي وباب مرنيسة شرقي محنية كلهـا عليها منابس وسعة سورها ثمانية اشبار وامنع جهاتهـا جوفيها وبها ابار عذبة لا تغور تقوم باهلها وبمواشيهم ولها ربض من جهة القبلة

وكيلهم ستون مدا بمد النبى صلى الله عليه وسلم ويسمونه محورة ورطلهم اثننان وعشرون اوقية ودرهمهم ثمـــانى خراريب والخروبـة اربعة حبات وكان يسكنها التجار ونزلهـا عيسى بن محمـــد بن سليمان المذكور فبل هذا ووليها وتوفى فيها سنة خمس وتسعـين ومايتين وولد له فيها ابراهيم بن عيسى الارشفولى ووليهـا بعده ابنه يحيى بن ابرهيم وهو الذى حبسه ابو عبد الله الشيعى سنة ثلاث وعشرين وثلاث ماية ويقابلها جزيرة فى البحر تسمى جزيرة ارشفول بينها وبين البر فدر صوت رجل جهير فى سكـون البحر وهى مستطيلة من القبلة الى الجوب عالية منيعة واليها لجا الحسن ابن عيسى بن ابى العيش صاحب جراوة وتخلى مما كان بيده لما غلبه على ذلك موسى بن ابى العافية على ما نبينه بعد هذا ان شاء الله تعالى فكتب موسى بن ابى العافية الى صاحب الاندلس عبد الرحمـــن ابن محمد يسئله نصرته عليه ويفرب له الماخذ واعـــانه على ذلك عبد الملك بن ابى حامة عند موسى بن محمد بن جُدَيْر فـــامر عبد الرحمن اهل بجانة وغيرهم من اهل السواحل بافامة خمسـة عشر مركبا حربية ثم جهزها بالرجال والسلاح والازودة والاموال فاحاطت بهذه الجزيرة وفتلوا كثيرا ممن كان فيها وحـــاصروهم حتى كادوا يهلكون عطشا لما نفدت مياه جبابهم حتى تداركهم الله بغيث وابل فلم يطمع فيهم اهل الاسطول حين سفوا وانصرفوا نافلين فوصلوا الى المرية فى شهر رمضان سنة عشرين وثلاث ماية ثم ظفر البورى بن موسى بن ابى العافية بالحسن بن عيسى الذى لجا الى ارشفول وبعث به الى عبد الرحمن بن محمد سنة ثمـــان وثلاثين وثلاث ماية ۞

۞ ذكر الحصون التي بساحل تلمسان ۞

سوى مدينة ارشقول مدينة ءاسلن وهي شرقي ارشقول حصينة وهي
مدينة قديمة عليها سور صخر وبها جامع وسوق يسكنهـا مغيلة
ولها نهر يصب في البحر من شرقيها يسقى منه بساتينهم وثمارهم
وهي مقطوعة منحوتة السور من كل ناحية بنهر ولهـا عين تجرى
بينها وبين البحر وكان عبد الرحمن افتتحها وبعث اليها محمدُ
ابن ابى عامر حُميدَ بن يزل ببناها وجددها ۞

واما الطريق من ارشقول الى القيروان فمنها الى مدينة اسلن ومن
اسلن الى قصر ابن سنان مرحلة لطيفة ثم الطريق على ما تقدم
من اسلن الى تاهرت اربع مراحل ومن تاهرت الى القيروان تسعـة
عشر ومنها الى حصن تانكرمت وهو ايضا على الساحل ستة اميال
وله مزارع واسعة وبسايط خصيبة وعلى مرحلتين من اسلن مدينة
بكان بينهما نهر سى وعليه المنزل في المرحلة الاولى ومدينة بكان
كانت سوقا قديمة من اسواق زناتة فمدّنها يَعْلَى بن محمد بن
صالح اليفرني وكان ابتداء تاسيسه لها سنة ثمان وثلاثين وثلاث
ماية وارتحل اليها اهل المعسكر من اهل تاهرت ويلل وشاطى بنى
واطيل ووهران وقصر الفلـــوس فعمرت وتمدنت وعظمت وهي في
صفح جبـــل اوشيلاس وهـو يجوبيها ولهذا الجبل شعراء غامضة
ويقبليها نهر سيره ومنبعثه من عيون بشرقيهـا عليه الارحــــاء
والبساتين من كلا ضفتيه وبغربى بكان اسفل بساتينهـا تجمع
الاودية وادى سيره ووادى سى ووادى هنـت وعلى مدينة بكـان
سور طوب وبها جامع وحمام وفنادق وبين هذا الحصـــن وحصن
مرنيسه البير ثلاثة اميال وهو حصن حصين ومنه الى حصـــن
ابن زيْنى ثلاثة اميال ايضا ولهذا الحصن نهر كثير الثمــار ومن

بنى زينى الى حصن العروس ميلان وهو على فنة جبل على ضفة البحر
ومنه الى حصن الوردانية ميلان وهو مثله على جبل بساحل البحر
ومن الوردانية الى حصن هُنَين اربعة اميال وهو على مرسى جيد
مفصود وهو اكثر الحصون المتفدمة الذكر بساتين وضروب ثمر
يسكنه فبيلة تسمى كومية وبين هذا الحصن ومدينة ندرومة
الجبل المعروب بتاجره ومسافة ما بين الحصن والمدينة ثلاثة عشر
ميلا ومدينة ندرومة هي في طرب جبل تاجرا وغربيها وشماليها
بسابط طيبة ومزارع وبينهـا وبين البحر عشرة اميال وساحلها
وادى ماسين وهو نهر كثير الثمار وله مرسى ماسون وعليه حصنان
ورباط حسن مفصود يتبرك به اذا سرق احد فيه او اتى بفاحشة
لم تتاخر عفوبته فد تعارفوا ذلك من بركته وحسن صنع الله
فيه ومدينة ندرومة مسورة جليلة لها نهر وبساتين فيها من
جميع الثمار وبين مرسى ماسين وترنانا عشرة اميال وهي مدينة
مسورة ولها سوق ومسجد جامع وبساتين كثيرة وبينها وبين
ندرومة ثمانية اميال ويسكن مدينة ترنانا فخذ من بنى دمر يسمون
بنى يلول وكان بها عبد الله الترنانى بن ادريس بن محمد بن
سليمان بن عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن ابى طالب
رضى الله عنهم وعلى ساحل ترنانا حصن تاونت وهو حصن منيع
في جبل منيف فد احاط به البحر من ثلاث جهاته وله مرتفى
وعر من ناحية الشرف لا يطمع فيه احد وينزله فبيل من البربر
يعرفون ببنى منصور وفي جبل الحصن معدن الاثمد وله بساتين
وشجر كثير يحمل من زبيب تينه الى ما يليه من النواحى وعلى
هذا الساحل ايضا حصن ابى جنون وحصن كاربيوا ۞

۞ ذكر المراسى ۞

فاما اتصال المراسى من مرسى اسلن الى الشرق فادنى المراسى اليه مرسى الماء المدفون والسكنى منه على مقربة وله عيون مـاء تسيل في البحر وبينهما ثلاثة عشر ميلا ويقـابله من بر الاندلس مرسى الراهب بينهما مجريان وثلث ويليه مرسى جبل وهران مرسى كبير مشتى من كل ريح بينهما ستة اميـــال ويقـابله من بر الاندلس مرسى اشكوبرش المرسى القديم الذى نزله البحريون قبـل نزولهم بجّانة وبينهما مجريان ونصف ويليه الى الشرق ايضا مرسى عيـــن فرّوج وهو مرسى شتوى مامون وله ابار ماء والسكنى منه على مقربة وبينه وبين وهران في البر اربعون ميلا ويقـابله من بر الاندلس مرسى ءافلة وهو مرسى مدينة لورقة وبينهما ثلاثة مجـار ويليه الى الشرق مرسى قصر الفلوس وهي مدينة على البحر غير مسكونة وبها ماء مجلوب واحساء مــاء ومرساها غير مـــامون ويوازيه من بر الاندلس مرسى قرطاجنة ويواليه مرسى مغيلة بنى هاشم وهـــو مرسى صيفي لا يكنّ من ريح وله رباط على ضفة البحر مسكون وماؤه كثير وبينه وبين قصر الفلوس خمسة وثلاثون ميلا ويقـابل من بر الاندلس فبطيل تُدْمير ويليه مرسى مدينة تنس وهـو صيفي يكن بشرقيه وغربيه وله ماء معين بينهمـــا مراس لطاف ويقابل مرسى تنس من بر الاندلس شنت بول ويلى مرسى تنس الى الشرق مرسى جزيرة وفور بينهمـــا ازيد من عشرين ميـلا وله نهر لطيف يصب في البحر والجزيرة قريبة من البر ويقـــابل من بر الاندلس مرسى لقنت ويقطع البحر بينهما في خمسة مجار ثم مرسى شرشال وعليه مدينة عظيمة للاول غير مسكونة وله احساء مـاء يكن بشرقيه

وغربيه ويقابل من بر الاندلس مرسى مديرة بينهما خمسة مجار ونصف وكانت لمدينة شرشال مينى ارتدم وفيها رباطات يجتمع اليها في كل عام خلف كثير ويليه جبل شنوة وله مرسى يسمى البطال وهو غير مسكون يكن غربيه وله ماء يسير ويقابل من عدوة الاندلس جبل فرون بينهما خمسة مجار ونصف ثم مرسى هور ثم الى انف الغناطر وهناك اثار فناطر قايمة ثم الى مرسى الدبان ويليه مرسى جنابية وله جزيرة وهناك مدينة للاول غير مسكونة لها نهر يريف في البحر ويقابل من بر الاندلس مرسى دانية وبينهما ست مجار ويليه مرسى الجزاير وتعرف بجزاير بنى مزغنّى وقد تقدم ذكر مدينتها وهو مرسى مامون مشتى بين جزيرة سطفلة من الشرق الى الغرب وبين البر وبالمرسى عين عذبة ويقابل من بر الاندلس مرسى بنشكله بينهما ست مجار ويلى هذا المرسى من المراسى المشهورة مرسى الدجاج وهو صيفى غير مامون ويقابل من جزيرة الاندلس جزيرة ميورفة ثم مرسى مدينة بجاية ازلية اهلة عامرة باهل الاندلس بشرقيها نهر كبير تدخله السفن محملة وهو مرسى مامون مشتى فد خرج عن محاذاة جزيرة الاندلس ثم مرسى بونة مرسى مامون ومرسى بجاية هو ساحل فلعة ابى طويل وعلى هذا المرسى في تلك الجبال فبايل كتامة وهي شيعة يكرمون من مال الى مذاهبهم ويبرون من وافف اعتفادهم وجزيرة جوبة فبل مرسى بجاية ثم يلى مرسى بجاية مرسى سبيبة وعلى مرسى سبيبة في جبال كتامة عين الاوفات معروف اذا كانت اوفات الصلوات جرى الماء فيه فاذا خرجت الاوفات فلص وانفطع ومن هذا المرسى تدخل السفن الى جزاير العافية ثم مرسى جيجل فيه اثار للاول وهو معمور اليوم وعلى هذه

المواضع كلها من جبال كتامة معادن النحاس ومنها يحمل الى افريقية وغيرها وبهذا الجبل حجر الازرود الطيب ومن هذا المرسى الى مرسى الزيتونة وقد تقدمت صفته وهذا المرسى اول حد الجبال التى تعرف بجبال الرحمن وهو جبل عظيم خارج في البحر يقابل جزيرة سردانية وهو كثير الثمار والانهار يسكنه قبايل من كتامة وغيرها وفيه مزارع كثيرة ومراع مريعة ومنه يحمل عود الخرط الى افريقية وما والاها وفيه اسوان كثيرة ومراس منها مرسى الخرّاطين ومرسى الشجرة وفي اخره مرسى الفلّ ومنه تسير الى مرسى استورة وهو مرسى مدينة تاسفدة وهي مدينة اولية قديمة فيها اثار للاول عجيبة ثم منه الى مرسى الروم وهو مشتى مامون الى جزيرة غمر الى مرسى تكوش مرسى مامون فيه قرى كثيرة يتصل به جبل كثير الفاكهة والخير ثم الى راس الحمراء ثم الى مرسى ابن الالبيرى ثم الى مرسى الخروبة ثم الى مرسى منيع وهو مرسى بونة وبقربه بير النثرة المذكورة وهي بير منقورة في صخرة من عمل الاول على ضفة البحر اذا ارتج البحر وصل اليها ومن مرسى بونة تخرج الشوانى غازية الى بلاد الروم وجزيرة سردانية وكرسقة وما والاها ثم مدينة مرسى الخرز ثم مرسى طبرقة ويلى طبرقة من المراسى المشهورة مرسى قرطاجنة وبينهما من المراسى الصغار مرسى ابن ابى خليفة فبالته جزيرة الاخوين ثم مرسى الروم ثم مرسى الغبة هو مرسى بنزرت وعلى مقربة منه جزيرة قملارية منها يقطع قواطع الطير من الاندلس وغيرها الى بلاد الروم وهناك ترتقب سكون الريح لطيرانها فتستعلى على اوطانها ثم مرسى راس الجبل وهو مشتى مامون ثم مرسى الثنية ثم رباط قصر ابى الصقر وقبالته جزاير الكُرّاث التى قتل فيها زيادة الله بمومنه واخوته ثـم مرسى رباط قصر الحجامين

ثم مرسى فرطاجنة ثم مرسى فصر الامير بينه وبين مدينة تونس ثمانية اميال في البر وهو متصل بهـا في البحيرة المحجورة وهذا الفصر على الخليج المحجور في البحر الى مدينة تونس ثم مرسى كبير يسمى رادس وفد تفدم ذكره وما ورد بيه عند ذكر مدينة تونس ويلي مرسى تونس الى الفبلة من المراسي الكبار مرسى سوسة وبينهما من المراسي الصغار رباط لحمة ثم جون النخلة ثـم مرسى بونة في فبالته جزيرتان احداها تعرب بالجامور الكبير والاخرى بالجامور الصغير وهي اصغر ثم جبل ادار يظهر منه جبل صفلية وفي هذا الجبل فوم متعبدون تخلوا عن الدنيا وسكنوا في هذا الجبل مع الوحش لباسهم البَردىّ وعيشهم من نبات الارض ومن صيد البحر يتناولون من ذلك ما يكون بلغة لهم اذا جاعوا والدعوة من اكثرهم مستجابة وهذا الجبل معروب بالتزام هولاء بيه منذ فتحت افريفية ثم جون الملّاحة ثم مرسى مدينة افليبية مدينة كبيرة اهلة ثم المرسى المدبون وهو بحر صعب كثيرا ما تعطب بيه السفن ثم مرسى مدينة ربهان ثم مرسى هرفلة ثـم مرسى فصر ابن عمر الاغلبي ثم مرسى مدينة سوسة ثم تسير من مرسى سوسـة الى ناحية الفبلة الى مرسى خفانص وهو مشتى عليه فصر كبير محرس رباط ثم الى مرسى مُحْرِس المنستير وليس بافريفية اجل من هذا المحرس وفد مضى ذكره وبفرب هـذا المرسى ملاحة لمطة وهي ملاحة كبيرة وملحها لايعوفه ملح ومنها يحمل الى ما جاورها من البلاد ثم الى مرسى فصر الفوريتين وهما جزيرتان في البحر كبيرتان تشف السفن بينهما ومنهما الى مدينة المهدية والمهدية على ساحل الفيروان ومحط للسفن لمن فصدها من جميـع الجهات واما سلوك السفن من المهدية الى الاسكندرية بمن مرسى المهدية الى مرسى

سنفطة وعليه فصر الى مرسى فبودية وهي فصور الى راس الجسر وهو
اول القصير الى الزرقاء الكبيرة والصغيرة وهي جزيرتان من تحت
الماء الى جزيرة فرقنة وهي جزيرة كبيرة فيها سبعة احباب وفيها
اثار قديمة ويدخل فيها اهل الساحل مواشيهم ويبذر اكثرها
وهي قبالة مدينة سفاقس ثم الى راس الرملة ثم الى الجرب ثم الى
قصر الروم وهو بحر ميت ثم الى مدينة قابس ثم الى جزيرة
جربة وهي جزيرة معمورة يسكنها قوم من البربر خوارج وهي كثيرة
الذهب وبينها وبين البر الكبير مجاز وهي اخر القصير الى الشرق
واهلها غدّارون شرّار لاتومن ناحيتهم وطول هذا القصير في البحر
نحو خمسين ميلا وفي داخل البحر من داخل القصير بنيان من
بنيان الاول فهو يسمى قُصير البيت وتجرى من قصير البيت الى
الشمال نحو خمسين ميلا الى جزيرة تموشت وجزيرة انبدوشت
ثم تخرج السفن من جزيرة جربة الى مرسى الاندلسيين ثم الى
فصر الدّرق وهو بحر ميت ثم الى عقُيْبلات يدخل اليها في مجله
في البحر ثم الى جبل فنطبير ۞ وجبل فنطبير المتقدم الذكر
هو موضع مخوف في البحر ثم الى مرسى مدينة اطرابلس ومرساها
مامون جيد ولها دار صناعة للاساطيل ثم تخرج منه الى راس
الشعراء ثم الى لبدة ثم الى راس فانان ثم الى قصر العبادى ثم الى
سرت ثم الى اجدابية ثم الى اليهودية ثم الى حجر عبدون ثم الى
عين ابى زياد ثم الى راس اوثان وفي راس اوثان قالة الشينى ثم الى سوسة
برفة ثم الى شقّة العلعل ثم الى شقّة التنيس ثم الى مرسى دَرْنى ثم
الى مرسى تينَى ثم الى طُبْرق ثم الى جزيرة القرشى ثم الى جزيرة
الطرفا ثم الى جزاير الحمام ثم الى وادى ملالى الى راس الملاحة
الى مرسى الزيتونة الى مرسى عمارة الى مرسى السُلّوم الى راس

العوسج الى الكنايس الى الشفر الى بوصير الى مينى الزجاج الى مينى الاندلسيين الى منار الاسكندرية ۞

۞ واما سلوك السفن من الاسكندرية الى انطالية ۞

وانها تخرج من مدينة الاسكندرية الى بوقير ثم الى دمياط ثم الى بحيرة تنيس ثم الى جزيرة دبقوا وهي التى يصنع فيها الثياب الدبيقية ثم الى تيدارميماس وفيها قصر مبنى للصحابة رضى الله عنهم ثم الى غزة ثم الى ملاحة الواردية ثم الى عسقلان ثم الى قيسارية ثم الى يافَى ثم الى راس الكرمان ثم الى حيفى ثم الى عكّى وفيها قنطرة مبنية للاول تدخل تحتها السفن بشرعها ثم الى مدينة صور وهي داخل البحر وهي ساحل بيت المقدس ثم الى صيدا ثم الى بيروت ثم الى اطرابلس الشام ثم الى اللادقية ثم الى انطاكية ثم الى انطالية ومن انطالية تدخل الى الجزاير المولعة بهذا مسلك المراكب من مدينة اصيلى على التوالي الى هذا الموضع وقد بقي في اقاصى المغرب مراسى نذكرها ان شاء الله حتى نوصلها باصيلة ۞

اخبر مومن بن يومر الهواري ان بجزيرة آوَى مرسى مشتى على ضفة البحر وهذه الجزيرة تمشى منها الرياب مواجهة للمشرق شهرين مشى الابل الى مدينة نول ومدينة نول اخر بلد الاسلام واول العمران من الصحراء وتسير السفن من ساحل نول الى وادى السوس ثلاثة ايام ثم من وادى السوس الى مرسى امغدول وهو مرسى مشتى مامون وهو ساحل بلاد السوس ثم الى مرسى فوز وهو رباط يعمرة الصالحون وهو ساحل اغمات ثم الى مرسى اسفى الى البيضاء وهو

راس جبل داخل في البحر ثم الى جزيرة بفضالة وهو ساحل بلد تامَسْنَى بلد برغْواطة ثم الى مرسى ماربين ثم الى وادى سـلَى وهناك مدينة اولية اثارها قايمة تسمى شَلَّة وفي ناحية الشرق من وادى سلى على البحر غار عظيم وفي اعلاه منافس كافواه الابار وظهر الغار مزروعة ثم الى وادى سَبُوا ثم الى وادى سَعْدد ولا يسكن بوادى سعدد ابيضُ اللون الا اعتل وقل ما يسلم من علته وانما يسكنه السودان واذا راوا رجلا ابيض اللون قد دخل عندهم ينادى بعضهم بعضا ميز ميز ثم من وادى سعدد الى حوض اصيلة ثم على ما تقدم ۞ قال ثم من مدينة ترنانا الى تاجريت عشرة اميال وهي مدينة مسورة على ساحل البحر لها مسجد جامع متقن البناء مشرف على البحر ولها اسواق جامعة وهي محط للسفن ومقصد لقوافل سجلماسة وغيرها ويسكنها من البربر مطغرة وهم اعدل من هناك من قبايلهم وفي الشرق من تاجريت مدينة مصكاك بينهما نحو ثلاثة اميال وهي مدينة مسورة على شاطى البحر ذات بساتين وسوقهم بتاجريت وهي اقدم من تاجريت وانما جدد مدينة تاجريت الحاج بن مرامر بعد العشرين والاربع ماية وتاجريت ساحل مدينة وجدة بينهما اربعون ميلا ومن تلمسان الى وجدة ثلاث مراحل فمن تلمسان الى الحمة ومن الحمة الى قرية يسمى بالشهبا ومنها الى مدينة وجدة ومد وجدة يسمى بالوجدات وهي مدينتان مسورتان احدث احداها يَعْلَى بن بلجين الورتغنينى بعد اربعين واربع ماية يسكن في المحدثة التجار وفيها اسواق والجامع خارج المدينتين على نهر قد احدقت به البساتين وهي كثيرة الاشجار والفواكه طيبة الغذا جيدة الهوا يمتاز اهلها من غيرهم في نضارة الوانهم ونعمة اجسامهم ومراعيها انجع المراعي

واصلحها للظلف والحافر ينتهى ثمن شاة من شياههم مايتى اوقية وعلى مقربة من تاجريت مدينة تابرجنّيت وهى ساحل جراوة وعلى مدينة وجدة طريق المارة والصادرة من بلاد المشرق الى سجلماسة وغيرها من بلاد المغرب والطريق منها الى سجلماسة تخرج من وجدة الى صاع وهى قرية ذات نهر وثمار ومزارع ومنها الى تاملت ومنها الى جبل بنى برنيبان ومنه الى فير ومنه الى الاحساء ومنها الى لامسلى ومنه الى دار الامير ومن دار الامير الى سجلماسة ۞

۞ والطريق من وجدة الى فاس ۞

تخرج منها ايضا الى صاع ومنها الى تابريدا ومنه الى مكناسة وهم اهل اخصاص ومنها الى عين الطين ومنها الى مدينة فاس فاما الطريق من وجدة الى مليلة فالى صاع ومنها الى اجرسيف مرحلة وهى قرية عامرة على نهر ملوية ياتيها من جانب مطغرة والمخاضة اليها من جهة القبلة ومن اجرسيف الى فلوع جارة وهى حصن منيع فى اعلى جبل لا متناول له ولا مطمع فيه ومنه الى مدينة مليلة وهى مدينة مسورة بسور حجارة وداخلها قصبة مانعة وفيها مسجد جامع وحمام واسواق وهى مدينة قديمة ويذكر ان بنى البورى بن ابى العافية المكناسى جددوها ويسكنها بنو ورتدى وهم يفترعون على من يدخل عندهم من التجار بمن اصابته فرعة الرجل منهم كان تجره على يده ولم يصنع شيئا الاتحت نظره واشرابه فيحميه ممن يريد ظلمه وياخذ منه الاجر على ذلك وياخذ منه الهدية لنزوله عنده وذكر محمد بن يوسف وغيره ان

عبد الرحمن الناصر لدين الله وفتحها سنة اربع عشــرة وثلاث ماية وبنى سورها معقلا لموسى بن ابي العافية وقال احمد بن محمد ابن موسى الرازى يذكر ذلك

والملك النــاصر دين الله | بيما يحوط الدين غير ساه
بــنى لموسى عُـدّة مدينةْ | منيعـة شــاهقة حصينـةْ
ذلّت لهـا تاهرت والادارفة | ولم يطف بنيانها العمالقة

وكيلهم يسمونه المد وهو خمسة وعشرون مدا بمد النبى صــلى الله عليه وسـلم ورطلهم مثل رطل نكور اثنتان وعشرون اوقية والاوقية خمسة عشر درهما وقنطارهم من جميع الاشياء بهذا الرطل والدراهم بها عدة قراريط كل قيراط خمســة اثمــان درهم ۞ ومن المراسى مرسى مليلة وهو صيفي ويوازيه من بـــر الاندلس مــرسى مدينة شلوبينة وسنذكر اتصال المراسى من نكور ءاخذا الى الشرق وما يحاذيها من مراسى الاندلس الى مرسى مليلة ومن مرسى مليلة الى الشرق مرسى مدينة جراوة وهومامون وله نهر يريف في البحر وبينه وبين جزاير ملوية في البر ثمــانية اميــال ويقابله من بر الاندلس فجلة بينهما مجريان ويليه الى الشرق مرسى مجرود وهــو مرسى صيفي يكن بغربيه وبيه ابار وهو مسكـــون ويوازيه من بـــر الاندلس مرسى دلاية بينهما مجريان ويليه الى الشرق مرسى ترنانة وعليه سكنى وله ابار ماء وبينه وبين مرسى مجرود عشرة اميــال ويحاذيه من برالاندلس مرسى مرية بجانة ويليه مرسى مدينة ارشقول بجوفي هذا المرسى ويقابل هذا المرسى من بر الاندلس قابطة بنى اسود بينهما مجريان ويليه الى الشرق اسلن ۞ باما الطريق من ارشقول الى القيروان فمنها الى مدينة آسَلَنْ ومن اسلن الى قصر سنان مرحلة لطيفة ثــم الطريق على مــا تقدم ومن اسلن الى

تاهرت اربع مراحل ومن تاهرت الى القيروان تسع عشرة مرحلة ۞
ذكر بلد نكور وحدّه يفتهى من جانب الشرق الى زواغة جراوة
الحسن بن ابى العيش ومسافة ذلك نحو خمسة ايام ويجاورهم من
هاهنا مطماطة واهل كبدان ولمرنيسة الكُدّية البيضاء وغساسة
اهل جبل هُرك وقلوع جارة التى لبنى ورتدّى وينتهى من جانب
الغرب الى قبيل من غمارة يعرفون ببنى مروان وبنى حُميد اليهم
تنسب الحميدية والى مَسطّاسة وصنهاجة ومن ورائهم اوربة حزب
برحون وبنو وليد وزناتة اهل تابريدا وبنو يرنيبان وبنو مراسن
حزب قاسم صاحب صاع والكدية المعروفة بتاوررت والمراسى
المنسوبة الى نكور مرسى ملوية وهرك وكَرط ومرسى الدار واوفتيس
من مراسى تمسامان وهو الجبل المعروف بابى الحسن الذى لجا اليه
بنو صالح ووادى البقر والمزمّة بينه وبين نكور خمسة اميال والمدينة
فى القبلة من المرسى ويقابله من بر الاندلس مدينة مالقة ويقطع
الغدير بينهما فى مجرى ونصف ومرسى باديس ومرسى بُقوية وبالش
مرسى صنهاجة وغيرها ۞ ومدينة نكور بين رواب منها جبل
يقابل المدينة يعرف بالمصلّى وبها جامع على اعمدة من خشب العرعر
وهو والارز اكثر خشبها ولها اربعة ابواب فى القبلة باب سليمان
وبين القبلة والجوف باب بنى ورياغل وفى الغرب باب المصلى وفى
الجوف باب اليهود وسورها من اللبن وبها حمامات كثيرة واسوان
عامرة معمورة وهى بين نهرين احدهما نكور ومخرجه من بلاد
كزنّاية من جبل بنى كَوين والثانى نهر غيس منبعثه من بلد
بنى ورياغل ومسافة مجرى كل نهر منها الى مصبه فى البحر مسيرة
يوم وبعض ثانى وعلى نهريه الارحاء ومن جبل كوين ايضا ينبعث
النهر المعروف بنهر ورغة وهو من مشهور انهار ارض المغرب ويجتمع

نهر نكور وغيس بموضع يقال له آكدال ثم يتشعب هناك جداول وفي طرب هذا الموضع رباط نكور وعلى نهر غيس بـنا سعيد بن صالح مسجدا على صفة مسجد الاسكندرية بمحارسه وجميع منافعه وعدوة غيس هذه يقال لها تاكراكرى وهي منيعة وفيها ينتاج كراع ءال صالح وبين مدينة نكور وبين البحر خمسة اميال وهو بجوفيها وهي كثيرة البساتين والفواكه لاسيما الكمثرى والرمان وقال ابراهيم بن ايوب النكورى

ابا املي الذى ابغي وسولي	ودنياى الذى ارجو ودين
اُحرم من يمينك رَيَّ نفسي	ورزق الخلف في تلك اليمين
وتحجب عن جبينك لحظ طرفي	ونور الارض من ذلك الجبين
وقد جبت المهامة من نكور	اليك بكل ناجية امـون

وكيل نكور يسمونه الصحفة وهي خمسة وعشرون مدا بمد النبي صلى الله عليه وسلم ويسمون نصف الصحفة السدس والرطل عندهم في جميع الاشياء اثنتان وعشرون اوقية وقنطارهم ماية رطل ودراهمهم عدد بلا وزن ۞ والذى اسسها وبناها سعيد بن ادريس ابن صالح بن منصور الحميرى وصالح هو المعروب بالعبد الصالح وهو الذى افتتحها زمن الوليد بن عبد الملك ودخل ارض المغرب في الافتتاح الاول فنزل مرسى تمسامان على البحر بموضع يقال له بدكون بوادى البقر وبين مرسى تمسامان ومدينة نكور عشرون ميلا وهو مرسى صيفي لا يكن ويقابله من بر الاندلس مدينة طونبانة وعلى يديه اسلم بربرها وهم صنهاجة وغمارة ثم ارتد اكثرهم لما ثقلت عليهم شرايع الاسلام وقدموا على انفسهم رجلا يسمى داود ويعرب بالرُّندى وكان من نفزة واخرجوا صالحا من البلد ثم تلافاهم الله بهداه وتابوا من شركهم وقتلوا الرندى واستردوا صالحا فبقي

هنالك الى ان مات بتمساماان ودفن بقرية يقال لها افطي على شاطي البحر وقبره بها يعرف الى اليوم وكان له من الولد المعتصم وادريس امهما صنهاجية وعبد الصمد فولوا المعتصم فمكث فيهم يسيرا ومات فولى سعيد بن ادريس وهو الذى بنى مدينة نكور على ما تقدم وقد كان صالح بن منصور انزل نفرا من البربر موضعا يحاذي مدينة نكور في الضفة الثانية من النهر وكانوا يقيمون هناك سوقا فنقلهم سعيد الى المدينة التى اسس وغزى المجوس لعنهم الله مدينة نكور سنة اربع واربعين ومايتين فتغلبوا عليها وانتهبوها وسبوا من فيها الا من خلصه الفرار وكان فيمن سبوا امة الرحمن وخنعولة ابنتا واقف بن المعتصم بن صالح ففداهن الامام محمد ابن عبد الرحمن واقامت المجوس بمدينة نكور ثمانية ايام وقامت البرانس على سعيد بن ادريس وقدموا على انفسهم رجلا يسمى سكن وتالبوا عليه من كل جهة وغزوه في عقر داره فاظهره الله عليهم وهزمهم وقتل رئيسهم وافترق جمعهم ورجع من بقي منهم الى الطاعة ومات سعيد بن ادريس بعد ان ملكهم سبعة وثلاثين عاما وولى ابنه صالح بن سعيد وكان لسعيد من الولد منصور وجهود وصالح وزيادة الله والرشيد وعبد الرحمن الشهيد ومعوية وعثمان وعبد الله وادريس وكان عبد الرحمن فقيها بمذهب مالك وحج اربعا وعبر الى الاندلس للجهاد فقطع عليه ابن حفصون الطريق فقتل من كان معه وتخلص عبد الرحمن على فرسه وحضر غزاة ابي العباس القايد واستشهد فيها وقام على صالح اخوه ادريس في بني ورياغل وكزناية فالتقوا بجبل كزناية المعروف بكوين فانهزم صالح وانتهب ادريس معسكره واستمر الى مدينة نكور ليدخلها فامتنع عليه مخلف صالح فقال له ان صالحا قد قتل

بمال اذا صح عندى ذلك لم اداقعك بها لم يجد عنده ما يريد نزل الجبل المطل على المدينة واتى صالح فى جوف الليل فى خاصة من اصحابه فدخل المدينة ولما كان من الغد اقبل ادريس على فرسه وعليه درعه وهو لا يعلم بامر اخيه فادخلوه المدينة وارجلوه فتبان صالح عن دابته واتوا به صالحا اخاه فامر بحبسه فى داره ثم اشار عليه قاسم الوسنانى صاحب صاع والكدية بقتله [والح عليه فى ذلك فامر الموالى بقتله فامتنعوا فامر فتى من فتيانه يقال له عسلون فقتله وامتنعت مكناسة عن صالح وحبسوا مغارمهم فكتب اليهم يوعدهم وختم الكتاب وادخله فى مخلاة وشدها على حمارة وبعثه مع ثقة من ثقاته وقال اذا توسطت بلاد مكناسة فاترك الحمار بما عليه وانصرف ففعل فاصابت مكناسة حمار صالح وكان معروفا بينهم واخذوا المخلاة فلما قرءوا الكتاب ايتمروا على عقر الحمار والتمادى على امتناعهم ثم انصرف رايهم الى جمع ما كان عليهم لصالح فجمعوه وجللوا الحمار بملحفة مروية واتوا صالحا بالحمار مجللا ومغارمهم موفاة واستعتبوه فاعتبهم ومات صالح بن سعيد بعد ان ملك ثمانية وعشرين عاما فولوا ابنه سعيدا وكان اصغر ولده فلما توطد له الامر واستوسق دخل عليه عبيدهم الصقالبة فسالوه العتق فقال لهم انتم جندنا وعبيدنا وانتم كالاحرار لا تدخلون فى المواريث ولا تجرى عليكم المغاسم فما طلبكم للعتق فالحوا عليه فى ذلك فابى فناله منهم جفاء وغلظة فقدموا اخاه عبيد الله وعمه الرضا المكنى بابى على وزحفوا بهما الى القصر فحاربهم سعيد من اعلى القصر بالعتيان والنساء حتى انهزموا وقامت عليهم العامة فاخرجوهم الى قرية جوف المدينة تعرف بقرية الصقالبة فتحصنوا بها سبعة ايام وحشر

سعيد فخرج اليهم وظفر بهم بعد حرب شديدة وكان الرضا عمه وصهره كانت ابنته طالت تحته فحبسه مع اخيه عبيد الله وقتل من خرج معهما من بني عمه منهم الاغلب وابو الاغلب ثم وكل باخيه عبيد الله من اوصله الى مكة فاقام بها حتى مات وامتعض سعادة الله بن هارون وهو ابن عم الاغلب لقتل ابن عمه وقال قتل سعيد ابن عمي وابني عمه واخاه وذنبهما واحد فالب عليه بني يصلبتن اصحاب جبل ابي الحسن وعقد امره معهم وسعادة الله مع سعيد بنكور وهو لا يعلم فلما اعلن بنو يصلبتن بالخلاف على سعيد جمع اصحابه وخرج اليهم ومعه سعادة الله فلما التحمت الحرب تحيز سعادة الله بمن تبعه الى بني يصلبتن وخذل سعيدا فانهزم واخذت بنو يصلبتن بنوده وطبوله وقتلوا من مواليه نحو الف رجل واتوا مع سعادة الله حتى حاصروه بنكور وكانت لسعيد الكرة عليهم فهزمهم واسر ميمون بن هارون اخا سعادة الله وقتله وسار سعادة الله الى تمسامان وحرق سعيد دوره واخربها ثم صالح سعيدا فانصرف الى نكور وكان شجاعا بئيسا وخرج بعد ذلك في خاصته الى بلاد بطوية وبني ورتدي فادخلوه قلوع جارة ونهد بهم الى مرنيسة وزناتة فقتل واستفاد له جميع ذلك البلد وانصرف سعادة الله الى مدينة نكور فاقام بها مصافيا لسعيد ۞ تزوج احمد بن ادريس بن محمد بن سليمان ابن عبد الله بن الحسين بن الحسن بن علي بن ابي طالب اخت سعيد ام السعد بنت صالح وابتنى بها وسكن معها مدينة نكور الى ان مات ولما تغلب عبيد الله الشيعي كتب الى اهل المغرب يدعوهم الى الدخول في طاعته والتدين بامامته وكتب بمثل ذلك الى سعيد بن صالح وكتب في اسفل كتابه ابياتا كثيرة منها

فان تستفيموا استفم لصلاحكم وان تعدلوا عنى ارى فتلكم عدلا
واعلو بسيفى فاهرا لسيوفكم وادخلها عفوا واملوها فتـــلا

فاجاب رجل من شعراء الاندلس من اهـل طليطلة امرة يوسف
ابن صالح وتلفب بالاحمس وكان شاعر ال صـــالح في ذلك العصر
بابيات كثيرة منها

كذبت وبيت الله لا تحسن العدلا ولا علم الرحمن من فولك الفضلا
فما كنت الا جاهـــل ومنافف تمثـــل للجهال في السنة المثلا
وهمتنـــا العليـــا لدين محمـــد وفد جعل الرحمن همتك السفلا

فكتب عبيد الله الشيعي الى مصالة بن حبوس عامله على تاهرت
يامره بالمسير الى بلد نكور ومحـــاربة سعيد بن صالح فخرج مصالة
لذلك من تاهـرت في غرة ذى الحجة سنة اربع وثلاثماية فنزل من
مدينة نكور على مسيرة يوم بموضع يفال له نسافت فخرج اليـــه
سعيد بن صالح فحاربه ثلاثة ايام مكافيا له وكان مع سعيد رجل
من شجعان البرابر واعلامهم يفال له حمد بن العيـــاش من بـنى
يطوفت دعته نفسه الى ان يفصد محلة مصالة فيفتـــك به فوافى
المحلة في سبعة فوارس وافتحم على مصالة فتصايح الناس وكاثروهم
فاخـذ حمد اسيرا ومن معه فامر مصالة بضرب اعنافهم ففال حمد
ليس مثلى يفتل فـال مصالة ولم فـال لانك لا تطمع بسعيد الا فى
وعلى يدى فاستبفاه وفربه والطف مكانه حتى انس به ثم اعطاه
فطعة من العسكر ففصد بها من جانب كان يعلم الغرة به حتى
دخل عسكر سعيد من المـامن ومن حيث لا يظن ففرق جمعـــه
وغشى سعيدا ما لم يتاهب له وتتابعت عليه العساكر فنظر امرا
لا يستطيع المفام عليه فبعث الى مدينة نكور فاخرج كل من كـان
في فصره وما معهم وصاروا بجزيرة في مرسى نكور ومعهم صالح بن

سعيد وادريس والمعتصم ابنا سعيد اخواه وظاهر سعيد بين درعين هو وفتيانه وخاصته وقاتل حتى قتل واستبيح عسكره ودخل مصالة مدينة نكور يوم الخميس لثالث خلون من المحرم سنة خمس وثلاث ماية وانتهب مدينة نكور وسبى النساء والذرية وبعث بالفتح الى عبيد الله وبعث براس سعيد بن صالح ومنصور ابن ادريس بن صالح وغيرهم من بنى صالح بن منصور فطيف بها في مدينة القيروان ونصبت بمدينة رقادة وفي ذلك يقول ابو جعفر احمد بن المروذى في ارجوزة له

لما طغى الارذل وابن الارذل ... في عصبة من الطغام الجهّل
قال نكور دون ربى معقلى ... اتاه مختوم القضاء الفيصل
من الاله كالحريق المشعل ... تحل ارضا طال ما لم تحلل
حطّم اهل كفرها بالكلكل ... وجاء راس راسها المبذّل
على القنا من الرماح الذبّل ... ذو لمّة شاعثة لم تغسل
ولحيـة غبراء لم ترجّل

وركب من نجا من ذرية سعيد بن صالح واهله البحر من مرسى نكور ونزلوا مالقه وبجانة بامر عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله بانزالهم والتوسع لهم وحباهم بالكساء الرفيعة والصلات الجزلة وخيرهم بين المقام بدار مملكته او المقام بمالقة فاختاروا المقام بمالقة لقربها من بلدهم ورجائهم الفية اليه وتكرر مصالة في البلد نحو ستة اشهر ثم استخلف عليه رجلا من اصحابه يقال له دلول وانصرف الى تاهرت فافترق عن دلول من كان معه من المشارقة وبقي في قل من اصحابه فلما صحت الانباء بذلك عند بنى سعيد ازمعوا الانصراف الى بلدهم ثقة بمحبة رعيتهم لهم وميلهم اليهم فاتفقوا على ركوب البحر في مراكب مختلفة فمن وصل منهم قبل

صاحبيه فالولاية له وهم ادريس والمعتصم وصالح فركبوا البحر من ذلك الموضع في ليلة واحدة ووقت واحد وريح واحد فوصل اصغرهم سنّا صالح بن سعيد الى مرسى نكور من ليلته واصبح له بالمرسى المعروف بوادي البقر بتمسامان فتسامع البربر بقدومه فتسارعوا اليه من كل جانب واتوه من كل جهة وعقدوا له الامرة ولقبوه باليتيم لصغره وزحفوا الى دلول فاخذوه وجميع اصحابه فصلبوا اجمعين على ضفتي نهر نكور وكتب صالح بالفتح الى عبد الرحمن بن محمد فقرئ كتابه بجامع قرطبة ونسخه في ساير بلاد الاندلس وامر بامداد ال صالح بما يجل من الاخبية الشريفة والالة العجيبة والكساء الرفيعة والسروج والحلى والبنود والطبول والدروع وجميع السلاح حتى عوضهم الله عز وجل اكثر مما زال عنهم فتوطد الملك لصالح بن سعيد واعتاق البحر اخويه شهرين يترددان فيه ثم وصلا بعده الى نكور سالمين فسلما له الامر ومات صالح بن سعيد بعد ان ملك عشرين سنة ولم يزل ال صالح في السنة والجماعة والتمسك بمذهب مالك بن انس رضي الله عنه وكان سعيد وابوه صالح يصليان بالناس ويخطبان ويحفظان القرءان فولى الامر المويد بن عبد البديع بن صالح بن سعيد بن ادريس بن صالح بن منصور فزحف اليه موسى بن ابي العافية محاصره حتى تغلب عليه فقتله واستباح المدينة وانتهبها وهدم اسوارها وخرب ديارها ونسف اثارها وتركها بلاقع تسفي عليها الرياح وتعاوى فيها الذياب وبلغ منها ما لم يبلغ بعضه مصالة بن حبوس وذلك سنة سبع عشرة وثلاث ماية ثم ولى ابو ايوب اسمعيل ابن عبد الملك بن عبد الرحمن بن سعيد بن ادريس بن صالح فبنى المدينة القديمة التي اسسها صالح بن منصور وعمرها واعاد

السوق فيها وسكنها الى سنة ثلاث وعشرين وثلاث مـــاية ففيها
اخرج ابو القاسم صاحب افريقية صندلا الفـــتى الاسود الى ارض
المغرب مددا لمنصور الفتى اذ ابطـا خبره عليه فخرج صنـدل من
المهدية في جمادي الاخرة سنة ثلاث وعشرين وثلاث ماية فوصل
جراوة لحسن بن ابى العيش فاستراح بها اياما ثـم سار الى هَرّاس
وكتب الى اسمعيل بن عبد الملك صاحب نكـــور يامره بالقدوم
عليه وقد كان خرج من نكور وصار بقلعة اكرى فبعـث اليه
رسلا وكتب انه في الطاعة ولم يرض صندل بذلك وبعث اليه رسلا
يستحثونه في المسير اليه فقتلهـم اسمعيـل عن اخرهم فلمـــا اتى
صندلا خبر قتلهم زحف الى قلعة اكرى فنزل قريبا منها بموضع
يقال له نسافت وهو الموضع الذى قتل فيه مصالة بن حبوس سعيد
ابن صالح فغلب صندل على القلعة بعد قتال ثمـانية ايام ومعـارك
قتل في اخرهـا اسمعيل واكثر اصحابه وذلك يوم الجمعة في شوال
من السنة المذكورة وغنم صندل كل ما كان في القلعة من نسـاء
اسمعيل وقرابته واخذ له ولدين طفلين وولى على المدينة رجـلا
من كتامة اسمه مَرْمازوا وصار الى صـاحبه ميسور وهـو على فاس
يحاصرها وكان موسى بن المعتصم بن محمد بن قرة بن المعتصم
ابن صالح بن منصور وموسى هو المعروف بابن رومى بجبل ابى الحسن
مع بنى يصليتن فلما زال صندل تراجع اهـــل نكور وقدموا على
انفسهم ابن رومى وقتلوا مرمازوا وجميع من كان معه وبعثوا براس
مرمازوا الى امير المومنين عبد الرحمن بن محمـد وقـام على موسى
ابن رومى عبد السميع بن جرثم بن ادريس بن صالح بن ادريس
ابن صالح بن منصور فاخرجه من بلد نكور وذلك سنة اربع وعشرين
وثلاث ماية فصار موسى الى الاندلس ونزل بجانة باهله وولده ومعه

اخوه هرون بن رومى ونزل بمالقة ابنا عمه جرثم بن احمد ومنصور ابن الفضل ثم استدعى اهل نكور جرثم بن احمد بن محمد بن زيادة الله بن سعيد بن ادريس بن صالح فعبر البحر اليهم فولوه على انفسهم وذلك سنة ست وثلاثين وثلاث ماية وكان بها الى ذى الحجة سنة سنين وتوالت الولاية هناك في بنى جرثم الى سنة عشر واربع ماية فغلبت عليهم ازداجة وانتقل بنو جرثم الى مالقة ثم انتقلت ازداجة الى بلدهم بناحية وهران ورجع بنو جرثم الى بلد نكور وهي مدينة المزمّة ثم غلب على بلد نكور يعلى ابن الفتوح الازداجي واخرجوا بنى جرثم من جميع بلاد نكور وهي اليوم بايدى ذرية يعلى بن الفتوح وذلك سنة ستين واربع ماية ۞ ويلى مرسى تمسامان المذكور الى الشرق مرسى كَرَط وهو غير مكن وفيه ابار بينهما خمسة عشر ميلا ويقابله من الاندلس مرسى قرية بلّش ويقطع الغدير بينهما في يوم وليلة ويليه الى جانب الشرق طرف هرك وبينهما عشرة اميال تشتى فيه المراكب الصغار وله احساء ويقابله من بر الاندلس مرسى شاط ويقطع الغدير بينهما في مجرى ونصف ويليه الى الشرق جون بين طرف هرك ومدينة مليلة ويقابل هذا الجون من بر الاندلس مرسى المنكّب بينهما مجريان ويليه الى جانب الشرق مرسى مليلة ونهرها يريق في البحر وبينه وبين طرف هرك مسيرة اميال ويقابله من بر الاندلس مرسى مدينة شلوبينية ۞

فاما الطريق من مدينة نكور الى مدينة القيروان فمن نكور الى بنى يصليتن على نهر تمسامان ومنها الى نهر كرط مرحلة ثم الى فلوع جارة مرحلة الى وادى ملوية مرحلة الى مدينة جراوة مرحلة فذلك ست مراحل ثم الطريق كما تقدم ۞

وبجاور بلد نكور بلد غمارة ومنه مُجْكَسَة وتنبّا بذلك الصقع ابو محمد حاميم بن من الله بن حَريز بن عمرو بن وجبوال بن وزروال الملقب بالمفتري وببلد مجكسة جبل حاميم المنسوب اليه وهو على مغربة من مدينة تيطاوان واجابه بشر كثير افروا بنبوته وجعل لهم الصلاة صلاتين عند طلوع الشمس وعند غروبها يسجدون على بطون اكفهم ووضع لهم قرءانا بلسانهم ومما ترجم منه بعد تهليل يهللونه ۞ حُلّني من الذنوب يا من يجـــل البصر ينظر في الدنيا حلني من الذنوب يا من اخرج موسى من البحر ۞ ومنه ۞ امنت بحاميم وبابي خلف ۞ يريدون ابا حاميم وكذلك كان يكنّى ۞ وامن راسي وعقلي وما اكنّه صدري وما احاط به دمي ولحمي وامنت بتانفيت ۞ وهي عمة حاميم اخت ابي خلف من الله وكانت كاهنة ساحرة وكانت لحاميم ايضا اخت تسمى دجّـو وكانت ساحرة كاهنة من اجمل الناس وكانوا يستغيثون اليها في كل حرب وضيف ويزعمون انهم يجدون نفعهــا وفرض عليهم صوم يوم الخميس كله وصوم يوم الاربعاء الى الظهر فمن اكل فيهما غرم خمسة اثوار لحاميم ووضع لجميعهم صوم سبعة وعشرين يوما من رمضان وابقى فرض صوم ثلاثة ايام والفطر الرابع وجعل عيدهم في الثاني من الفطر وفرض زكاتهم العشر من كل شيء واسقط عنهم الحج والطهر والوضوء واحل لهم اكل لحم الخنازير وقال ۞ انما حُرّم ذكورها وذلك في قرءان محمد ۞ صلى الله عليه وســلم وحرّم عليهم الحوت حتى يذكّى وحرم عليهم البيض من جميــع الطير وانشد ابو العباس فضل بن مفضل بن عمر المذحجي لعبد الله بن محمد المكفوف الطنجي يهجو حاميم ويذكر فسقه

وقالوا افتراء ان حاميم مرسل اليهم بدين واضح الحق باهر

بفلت كذبتم بدد الله شملكم فما هو الا عاهر وابن عاهر
فان كـان حاميم رسولا فانني بارسـال حاميم لاول كافر
رووا عن عجوز ذات افك بهيمة تعاون في اسحارها كل ساحر
احاديث افك حاك ابليس نسجها يسرونها والله مبدى السرائر

وفتل حاميم المفترى بمصمودة الساحل من احواز طنجة سنـة خمس عشرة وثلاث ماية وكان له من البنين محمد وبه كان يكنى وعبد الله وعيسى ودخل عيسى الاندلس زمن عبد الرحمن بن محمد ولعيسى في بلادهم فدر ويعرف بابن المفترى وبنـو وجبوال رهط حاميم ينزلون على نهر راس وهو على ثلاثة اميال من مدينة تيطاوان وكان في بعض جبال مجكسة رجل من السحـرة المهرة يعرف بابن كسية وكان اهل موضعه يسمعون منه ولا يعصونه طرفة عين واذا عصاه احد او خالفه حول كسـاه التي يلتحف بها فتصيب ذلك الرجل عاهة لحينه اوجايحة وان كانوا جماعة اصابهم مثل ذلك وكان يخيل اليهم كانّ برفة تلوح من تحت كسائه ولبنيه وعقبه حتى الان في تلك الناحيـة منزلة ومرية وحظوة على سواهم ومن اعاجيب بلد غمارة امرء بوحلاوت وكان في بنى شداد منهم وكان معه عدل مملوة برءوس الحيوان وانيابها من بريها وبحريها فد نظمها في حبل واتخذها كالسبحة فاذا ساله احد عن شيء من الحدثان وما هو كاين علف منه ذلك السبحة وفلده اياها ثم فلفلها عليه واتنزعها وجعل يشمها فطعة فطعة الى ان تمسك في يده ما امسك منها ثم طفف يخبره خبره وما الذى سال عنه وعما يدورله من مرض اوموت او ربح او خسران او افبال او ادبار او عبرة او غير ذلك فلا يكاد يخطى ومن اعاجيب بلد غمارة ان عندهم قومـا يعرفون بالرقّادة وهم في وادى لو عنه

بنى سعيد وعند بنى فطيطن وعند بنى يروتن يغشى على الرجل منهم يومين وثلاثة فلا يتحرك ولا يستيقظ ولو بلغ به اقصى مبلغ من الاذى ولو قطع قطعا فاذا كان بعد ثلاثة من غشيته استيقظ كالسكران ويكون يومه ذلك كالواله لا يتجه لشيء فاذا اصبح في اليوم الثاني اتى بعجايب مما يكون في ذلك العام من خصب او جدب او حرب او غير ذلك وهذا امر مستفيض لا يخفى واخبرنى غير واحد انه راى بمرسى بادس رجلا قصير القامة مصفر اللون يكرمه اهل ذلك الموضع ويقدمونه ويذكرون انه ينبط المياه في المواضع التى لم يعهد فيها ماء عيونا وابارا وانه يخبر بقرب الماء وبعده وانه انما يستدل على ذلك باستنشاق هواء ذلك الموضع لا غير والموارية عند اهل غمارة كلها متعارفة يفخر بها نسوانهم وذلك ان الرجل اذا دخل بامراته البكر واربها شباب اهل ناحيتها فاحتملوها وامسكوها عن زوجها شهرا واكثر ثم يردونها وربما فعل ذلك بها مرارا على قدر جمالها ومقدار الرغبة فيهـا تفضل لذاتها ولا يتم اكرام الضيف عندهم الا بان يونسوه بنسائهم الايامى منهن يبيت الرجل مع ضيفه اخته الثيب او بنته او من لم تكن ذات زوج من نسائه ولا يتركون ذا عاهة يستقر ببلدهم ويقولون انه يفسد النسل وهم يرغبون في الرجل الجميل النخاع وهم مخصوصون بالجمال ولهم شعور يسدلونها كشعور النساء ويتخذونها ضفاير ويطيبونها ويتعممون بها ۞

۞ ذكر مدينة سبتة ۞

وهي على ضفة البحر الرومى وهو بحر الزقاق الداخل من البحر

المحيط وهي في طرف من الارض داخل من الغرب الى الشرق ضيق جدا والبحر محيط بها شرقا وشمالا وقبلة ولو شاء ساكنوهــــا ان يوصلوه من ناحية الشمال لوصلوه فتكـــون جزيرة منقطعة وقد حفر من تقدم في ذلك الموضع نحـــو غلوتين وهي مدينة كبيرة مسورة بسور صخر محكم البناء بناه عبد الرحمن الناصر لدين الله وحماماتها يجلب اليها الماء على الظهر من البحر وبمدينتها حمام قديم يعرف بحمام خالد ولها ربض من جانب الشرق فيه ثلاثة حمامات وجامعها على البحـر القبلي المعروف ببحر بسول له خمسة بلاطات وفي صحنه جبّان ولها مقبرة في الجبل ومقبرة اخرى بجوفيها على بحر الرملة واهلها عرب وبربر فعربها تنسب الى صدف وبربرها من ناحية اصيلة والبصرة ولم تزل دار عـلم وفي شرقيها جبـل منيف كان محمد بن ابي عامر ابتدا فيه بناء سور لم يتم وهذا الجبل مطل على الربض المذكور الذي فيه الحمامات وما بينها كروم ودار الامارة في جوفي المدينة وطولها من السور الغربي الذي يدخل منه المدينة قاطعا الى اخر الجزيرة خمسة اميال والمدينة في الجانب الغربي منها ولسورها الغربي تسعة ابراج والبـــاب في البرج الاوسط وبين يدى هذا السور سور لطيف يستتر الرجـــل ويتصـــل به خندق عريض عليه قنطرة خشب امامهـــا بستان وابار ومقبرة والسور القبلي على اجراف عالية والشرقي والجوفي فيه تطامن ولها باب ثان مما يلي الجوف في برج يعرف ببرج سابق يدخل منه الى دار الامارة وذرع المدينة من السـور الغربي الى الشرقي العبـــان وخمس ماية ذراع وذرع مـا ياخذه تقاب الربض المتصـــل بالسور الغربي سبعة الاف واربع ماية ذراع وهي مدينة قديمة سكنها الاول وبها اثارهم بقايا كنايس وحمامات ومـــاؤه مجلوب من نهـر اويات

مع ضفة البحر القبلي في فنا الى الكنيسة التي هي اليوم الجامع وكان صاحبها اليان وهو الذى اجاز طارق بن زياد واصحابه الى الاندلس فلما غزا عقبة بن نافع القرشي ارض المغرب وصار الى سبتة خرج اليه اليان بهدايا وتحف ورغب اليه في الامان فامنه واقره في موضعه ثم دخلها العرب بعد ذلك بالصلح وعمروها ثم قام عليهم بربر طنجة فاخرجوهم منها واقفروها فبقيت خرابا يعمرها الوحش مدة ثم دخلها رجل من غمارة يسمى ماجكن وكان مشركا فعمرها واسلم وراس فيها ثم وليها بعد هلاكه ابنه عصام ثم ابن ابنه مجبر بن عصام وفي دولتهم دخلها قوم كثير من اهل قلسانة ايام المحل فاشتروا من البربر وبنوا فيها واستوطنوها وكانوا مع ذلك يودون الطاعة الى قريش العدوة من الحسنيين حتى افتتحها عبد الرحمن الناصر لدين الله وواليها الرضى بن عصام بعد موت اخيه مجبر ودخلها عامله وقايده فرج بن عفير يوم الجمعة في صدر ربيع الاول سنة تسع عشرة والمسلك من سبتة الى طنجة على طرق وهي مساكن قبايل مصمودة كلها ۞

۞ ذكر طنجة ۞

فاما كورة طنجة فهي مساكن صنهاجة وطريق الساحل من مدينة سبتة الى طنجة تخرج من المدينة في بسيط تعمره نحو ميل ثم تدخل في حد بني سمغرة وهم اهل جبل مرسى موسى ثم تخرج الى وادى مدينة اليمّ والقصر الاول وبطون مصمودة تتشعب من اربع قبايل دغاغ واصادة وبنى سمغرة وكتامة وبطون صنهاجة تفترق من قبيلتين من فار بن صنهاج وحزمار بن صنهاج

وفي القصر الاول سكنى بني طريف وحوله غراسات كثيرة وتدخل المراكب في هذا الوادي الى حايط القصر وبين مخرج هذا الوادي وموقعه في البحر نحو سكتين ومن سبتـة الى هذا القصر مرحلة ومن القصر الى طنجة مرحلة قـال محمـد بن يوسف اذا خـرج الخارج من طنجة الى سبتة في البحر فانه ياخذ الى جانب الشرق واول ما يلقى جبل المغارة ثم مرسى باب اليم وهو غير مكـن وفيه سكنى ورباط وواد لطيف يريق في البحر وبين طنجة وبينه ثلاثون ميلا في البر وفي البحر نصف مجرى ويقابل باب الـيم من جزيرة الاندلس مرسى جزيرة طريف وبينهما ثلث مجرى ثم يلقى بعد باب اليم وادي زلول عليه ثمار وعمارة كثيرة ثم وادي باب اليم يصب في البحر حوله بساتين وعليه سكنى وعمارة لمصمودة ثم حجر نابت في البحر يعرف بالمبخة ثم مرسى موسى وهو مرسى مـامون مشتى الا من اللبش وفيه نهر يريق في البحر وكان عليه حصن هدمه بنو محمد ومصمودة سنة اثنتين وثلاث ماية ثم بناه امير المومنين الناصر فهدموا ايضـا سنة اربعين وحول هذا الحصن في غربيه قبايل من البربر في ساحل رمل فيه ماء طيب وهو متصيد اهل سبتة وبين مرسى موسى ومرسى باب اليم في البر ثمانية اميال وبازاء مرسى موسى من الاندلس مرسى بورت لـب ويقطع الغدير بينهما في نصف مجرى ومرسى موسى اكثر بقع الارض قردة وهي تحكي ما ترى من فعل من يمر بها من الناس فاذا راءت النواتي يجذفون في القوارب اخذت عيدانا وجعلت تحكي عملهم ويليه مرسى جزيرة تورة وفي بره قرية تعرف بتورة فنسبت الجزيرة والمرسى اليهـا وهي جزيرة في البحر كهيئة جبـل منقطعة من البر يقابلها في البر على شاطئ البحر اجراف عالية والمرسى بينهـا وبين تلك الاجراف ثم

مرسى بليونش وبليونش قرية كبيرة اهلة كثيرة الفواكه وبغربيها نهر يريف في البحر عليه الارحاء وبينه وبين مرسى جزيرة تورة في البر خمسة اميال ثم موضع يعرف بالقصر على خندق يجرى فيه ماء كثير في الشتاء ويقل في الصيف وبهذا القصر اثار للاول من افنباء وغير ذلك ثم موضع يعرف بماء الحياة عيون على ضفة البحر منبعة بين احجار من تحت شرف رمل طيبة عذبة يصل اليها الموج وينبط الماء العذب في هذا الرمـــل بايسر حفر ويذكر ان بهذا الموضع نسى فتى موسى الحوت ويوجد في ذلك الموضع خــاصة دون غــيره حوت ينسب الى موسى عرضه مقدار ثلثي شبر وطـوله اكثر من شبر لحمه في احد جانبيه والجانب الاخر لا لحم فيه انما جلدته على الشوك ولحمه طيب نافع من الحصاة مقو للباه ثم مرسى لطيف يعرف بمرسى دنّيل بازائه في البر قرية تعرف بهوارة عامرة بها عيون عذبة ثم حجر نابت في البحر يعرف بحجر السودان ثم مدينة سبتة ۞ وطريف البر من سبتة الى موقع وادى المناول في البحر القبــلي من سبتة ستة اميال ثم الى وادى نجروا ومخرجه من جبـل ابي جميل وعليه مساكن بنى عجان بن خلف وعلى هذا النهر الموضع المعروف بالقصر وهو قصر للاول قايم فيه حمــام وعلى هذا النهر اثار للاول كثيرة ثم الى نهر اسمير ومنبعثه من جبل الدرفة وجريته من الغرب الى الشرق وعلى ضفته قرارات لبـنى كترات من مصمــودة ثم الى الموضع المعروف بقَبْ مُنْت وهو الجبل الداخــــل في البحــر بقبلى سبتة يسكنه ايضا بنو كترات وبنو سكين ثم الى نهر اليلى ومنبعثه ايضا من جبل الدرفة ثم الى موضــع يعرف بتاورص قرية عبد الرحمن بن نحل من بنى سكين من مصمودة لهـــا مزارع وارضون ثم الى مدينة تطاوان وهي بصدع جبـل ايشفار وهو متصل

بجبل الدرفة ويبلغ الى جبل راس الثور الى مـــرسى موسى بالبحر
الغربي ومدينة تطاوان على اسفـــل وادى راس وفال محـــد وادى
مجكسة وهذا النهر يتسع هناك وتدخله المراكب اللطاب من
البحر الى ان تصل تطاوان ومساقة ما بين البحر وبينهـــا عشرة
اميال وهى فاعدة بنى سكين بهـــا فصبة للاول ومنار وبهـــا مياه
كثيرة سايحة عليها الارحاء وبجوبيها جبل يعرب ببلاط الشوك
يركب لبنى سكين ماية بارس وبين مدينة تطاوان وجبل الدرفة
سكة وهو فاعدة بنى مرزوف بن عون من مصمودة وسكناهم منه
بموضع يقال له صدينة فرية ذات مياه ســـايحة وهى اطيب تلك
البلاد مزارع وهذا الجبل في غاية المنعة وفي اعلاه مسارح واسعة
ومروج خصبة للماشية وهذه الفرية المذكورة في فبلى الجبل وبين
الفبلة والغرب منه الجبل المنسوب الى حاميم المفترى المتفدم الذكر
وجبل الدرفة يتصل ببلاد غارة ويسكن اخره من غارة بنو حسين
ابن نصر ثـــم الى نهر راس ومنبعثه من موضع يعرب بتيطّسوان
من جبل بنى حاميم ثـــم الى سوف بنى مغراوت وهو اخر بلد
مجكسة في غـرب راس ويجتمع هذا السوف يوم الثلاثاء وهى جامعة
ثم الى فج الفرس وبـه فرارات لفبايل من مصمودة ويركـب لهـم
مايتا بارس ثـــم الى مدينة وبنافام وهى كانت فاعدة حـــود بن
ابراهيم وهى في صفح جبل ولها ثمـــار ومياه كثيرة وهى على نهر
مسهور وهو بلد طيب ومنبعث مسهور من جبل تامورات وهـــو
من مساكن متنة من صنهاجة وبين وبنافام وجبل الدرفة ميلان
وهو ما بين الغرب والفبلة من المدينة وهو الجبـــل الذى يمتنع
بيه صنهـاجة اذا خالعوا على الملوك وبجبل الدرفة يتصل جبـل
حبيب بن يوسف الفهرى وبين الدرفة وطنجة سكتان ۞

بمسب الطريف من سبتة الى مدينة تيفيساس فالى وادى راس كما تقدم ثم تدخل ارض غمارة فتنسير فى بنى جبو ثم فى بنى نيفاوة وهم من بنى حُميد من غمارة ايضا وهم على وادى لاو وهو نهر كبير تجرى فيه السفن ولهم نتاج معروب وخيلهم معروفة بالحميدية ثم الى بنى مسارة وهم السكان حول تيفيساس وهم ايضا من بنى حميد ومن المواضع المشهورة والمنازل المعمورة ما بين سبتة وطنجة نهر اليان وقصر اليان فيه اثار للاول كثيرة وفى غربى هذا النهر موضع يعرب بكروشت وهو اخر غمارة ومصمودة ويتصل بهم هناك متنة من صنهاجة ونهر الخليج وهو شرقى طنجة وموفعه فى البحر تدخله المراكب وجبل راس الثور يسكنه قبايل كثيرة من مصمودة ونهر مجاز العروق نهر كبير جدا ونهر فرميول وعنصرة من جبل عين الشمس وجبل مترارة وهو جبل وعر كثير الشجر والمياه ومن هذا الجبل الى البحر المعروب بالزقان وادى الرمل وهو كثير الثمرة طيب المزارع وعين الشمس عين ثرة فى قرية نصر ابن جرو عامرة اهلة بها جامع وبساتين كثيرة ويوم سوقها يوم الجمعة ومن سبتة اليها مرحلة ويتصل بعين الشمس جبل تارمليل قاعدة بنى راسن لها قرارات حسان وبساتين ومسجد جامع وفى وسط بلد مصمودة وهذا الموضع يقابل تيطاوان ويتصل هذا الجبل الى مدينة باب اليم الى البحر الغربى ومجاز فكان وهو موضع ملوثة يركب لهم خمس ماية فارس وهنالك الموضع المعروب بالرصافة وكدية تافوغالت وفيها قرارات كثيرة لمتنة يركب منها نحو ثمانين فارس ونهر اوربة وعنصرة من قرية تعرب بالافولس وحواليه ارضون كثيرة الربيع طيبة الزرع وفى قنبانية طنجة ومدينة طنجة تعرب بالبربرية وليلى افتتحها عقبة بن نافع وقتل رجالها

وسبا من بها وهي على شـــاطئ البحر المعروف بالزقاق مسورة متقنة البنـــاء وهي محط للسفن اللطاف لان الريح الشرقية تؤذى فيه وهي طنجة البيضاء القديمة المذكورة في التواريخ وفيها اثار للاول كثيرة قصور واقباء وغيران وحمام وماء مجلوب في قنا ورخام كثير وصخر منجور وتحتفر خرايبها فيوجد فيها اصناف الجواهر في قبور اولية وغيرها من المواضع وهي اخر حدود افريقية في الغرب وقيـــل ان عمل طنجة مسيرة شهـــر في مثله وان ملوك المغرب كانت دار مملكتهم طنجة وان ملكا من ملوكهم كان في عسكره ثلثون فيلا ومسافة ما بين مدينة القيروان وطنجة الف ميل وقد غلب على مدينة طنجة القديمة الرمل والعمارة اليوم فوقها وهناك جـامع حسن وسوق عـــامرة وبازاء طنجة في البحر المحيط وازا جبــل ادلنت الجزاير المسمـــاة فرطناتش اى السعيدة سميت بذلك لان شعراءها وغياضها كلها اصنـــاف الفواكه الطيبة العجيبة دون غراسة ولا عمارة وان ارضها تحمل الزرع مكان العشب واصنـــاف الرياحين العطرة بـــدل الشوك وهي بغربي بلـــد البربر مفترقة متقاربة في البحر المذكور ۞

۞ الطريق من مدينة طنجة الى مدينة فاس ۞

من مدينة طنجة الى قلعة ابن خرّوب مرحـلة وهي مدينة كبيرة على ظاهر لها ثمر وشجر وهي كثيرة الزرع والضرع وهي لكتامة من بطون مصمودة وبقرب هذه القلعة قرية كبيرة لعرب خـــولان اهلة كثيرة الخيم وهي على نهر زلول وهذا النهر تلقاه قبل الوصول الى قلعة ابن خروب وبالقرب منها ايضا دمنة عشيرة بلد طيب

لصنهاجة ثم قرى متصلة لكتامة الى حــاضرة سوق كتامى وهى قاعدة ادريس بن القــاسم بن ابراهيم كبيرة شريفة على نهر واولكس لها سوق عامرة وجامع ثم تسير الى قصر دنهاجة وهو على تل وتحته نهر عظيم وفيه اثار للاول وبه كــان ينزل ملوك المغرب فى قديم الدهر وجبل صرصر بقبــلى هــذا القصر ينزله بطون كتامة واصادة ثم تسير من هذا القصر الى مدينة البصرة وهى مدينة كبيرة واسعة وهى اوسع تلك النواح مرعا واكثرها ضرعا ولكثرة البانها تعرف ببصرة الذبان وتعرف ايضـا ببصرة الكتان كانوا يتبايعون فى بدء امرها فى جميع تجاراتهم بالكتـان وتعرف ايضا بالحمراء لانها حمراء التربة وسورها مبنى بالحجارة والطوب وهى بين شرفين ولها عشرة ابواب وجامعها سبــع بلاطات وبها حامان ومقبرتها الكبرى فى شرقيها فى جبل ومقبرتها الغربية تعرف بمقبرة قضاعة وماء المدينة زعاق وشرب اهلهـا من بير عذبة على باب المدينة تعرف ببير ابن ذلفاء وخارجها فى جنانها عيون كثيرة وابار عذبة ونساء البصرة مخصوصة بالجمال الفايق والحسن الرايق ليس بارض المغرب اجمل منهن قــال احمد بن فتح المعروف بابن الخراز التاهرتى يمدح ابا العيش بن ابراهيم بن القاسم

فـــتن الاله اللهـــو الا فتنة بصريـــة فى حمرة وبيـــاض
الخمر فى لحظاتهـــا والورد فى وجناتهـــا والكشح غير مفاض
فى شكـــل مرئ ونسك مهاجر وعبـــاب سنى وسمـت اباض
ناهرت انـــت خلية وبرية عوضتُ منك ببصرة فاعتـاض
لا عذر للحمراء فى كلـــفى بها او تستعيـــض باجم وحياض
ما عذرها والبحر عيسى ربها ملـــك الملوك ورايض الرواض

ومدينة البصرة محدثة ايضا اسست فى الوقت الذى اسست فيه

اصيلة او قريبا منه ومن مدينة البصرة الى نهر ردات مرحلة وهو في اصل جبل وفي اعلى الجبل مدينة تسمى كُرت وهي اليوم خربة ومن كرت الى موضع يقال له حنّاوة قال محمد جنيارة ويعرف بالجبل الاشهب وهي قرى كثيرة عامرة ومنه الى قرية صغيرة على نهر عظيم يسمى سبوا مرحلة ومنه الى مدينة فاس مرحلة ۞ ومن اخذ من طنجة على اصيلة فمن طنجة على مدينة اصيلة مرحلة ثم الى سوق كتامى المذكور قبل هذا ۞ ومن مدتنة البصرة طريق اخر الى فاس فمنها الى وادى ورغة ثم الى مدينة ماسنة مرحلة وهي مدينة عيسى بن حسن الحسنى المعروف بالحجام وهي على نهر كبير ثم الى مدينة سداك في بلد مغيلة وهي قاعدة خلوف بن يحمد المغيلى ثم الى مدينة فاس فذلك سبعة ايام ۞ ومدينة اصيلة اول مدن العدوة من جانب الغرب وهي في سهلة من الارض حولها رواب لطاف والبحر بغربيها وجوفيها وكان عليها سور له خمسة ابواب وجامعها خمسة بلاطات واذا ارتج البحر بلغ الموج الى حايط الجامع وسوقها حافلة يوم الجمعة وماء ابار المدينة شريب وبخارجها ابار عذبة بير عدل وبير السانية وابار كثيرة ومقبرتها في شرقيها ومرساها مامون والمدخل اليه من الشرق ويستدير بالمرسى من ناحية الجوف جسر من حجارة مخلوقة تكف عن السفن المرفاة فيها هيجان البحر ومدينة اصيلة محدثة وكان سبب بنيانها ان المجوس خرجوا في مرساها مرتين فاما الاولى فاتوا قاصدين وزعموا ان لهم بها اموالا وكنوزا فاجتمع البربر لقتالهم فقالوا لم نات بالحرب وانما لنا كنوزا في هذا الموضع فكونوا ناحية حتى نستخرجها ونشاطركم فيها فرضى البربر بذلك واعتزلوا وحفر المجوس موضعا فاستخرجوا دخنا كثيرا عفنا

فنظر البربر الى صفرته فظنوه ذهبا فبدروا اليه وهرب المجوس الى مراكبهم واصاب البربر الدخن فندمــوا ورغبوا المجوس في الخروج واستخراج المال فابوا وقالوا قد نقضتم عهدكم بلا نثق بعذركم وساروا الى الاندلس فحينئذ خرجوا باشبيلية وذلك سنة تسع وعشرين ومايتين في ايام الامام عبد الرحمن بن الحكم واما خروجهم الثاني هنــاك فان الريح قذفتهم في ذلك المــرسى من الاندلس وعطبت لهم على باب المرسى من ناحيـة الغرب مراكب كثيرة ويعرف ذلك الموضع بباب المجوس الى اليوم فاتخذ الناس موضع اصيلة رباطا فانتابوه من جميع الامصار وكانت تقوم فيه سوق جامعة ثلاث مرات في السنة وهو وقت اجتماعهم وذلك في شهر رمضان وفي عشر ذي الحجة وفي عاشوراء وكــان الموضع ملكا للواتة فابتنى فيه قوم من كتامة واتخذوه جامعا وتسامع الناس امرها من الاندلس واهل الامصار فقصدوها في الاوقات المذكورة بضروب السلع وخيموا فيها ثم بنوا شيئا بعد شيء فعمرت فقدمها القاسم بن ادريس بن ادريس فملكها وبنى سورها وقصرها وبها قبره ووليها ابراهيم ابنه ثم حسين بن ابراهيم ثم القاسم بن حسين ثم صار امرها الى حسن الحجام منهم حتى استولى عليهم ابن ابي العافية على ما تقدم وكـــان الحجام يستعمل عليها الولاة قالــوا وتعبير اصيلة جيدة وبقبــلي اصيلة قبــايل لواتة وبنو زياد من هوارة زلول وبغربيها هوارة الساحل وغار كبير على البحر اذا مد وصل اليه وبين القبلة والغرب منها عين تعرف بعين الخشب ثرة وبقبليها خندق يعرف بخندق المعزة وخندق اخر يعرف بخندق السرادن وبغربيها خندق يعرف بناشت فيه مراعي مواشي اهلها ۞ وكيلهم يسمى مدا وهو عشرون مدا بمد النبي صلى الله عليه وسلم مثل

القفة القرطبية وكيل الزيت يسمونه قليلة وهي ماية واثنتا عشرة اوقية وفي القنطار عشرون قليلة ۞ واصيلة بغربي طنجـــة واول ما يلقى الخارج من مدينة اصيلة واديها وهو يخاض ثم مسجد عن يمين الطريق ثـــم وادى نبرش يخاض ايضا وهي قرية اهلة عامرة كثيرة الثمـار والعيون وهي للواتة بينها وبين البحر قدر نصف ميل ثم ساحل رمل ثم نهر كبير يعبر في المراكب عليه سكنى اهل تاهدارت وهي قرية كبيرة عامرة بهـا ملاحة ثم ساحل رمل ثم بركة عذبة وهي بركة قدر مايتى ذراع فيها ماء عذب بينها وبين البحر نصف ميل في قبليها حجارة عـــالية يهب من هذه البركة ريح عاصفة شديدة تؤذى المراكب وتقلبها اذا غفل ركابها ثـم ساحل يقابله بلد سطة ثم جرفة يصعد منها الى قرية كفمارية بها يقطع الطواحن عامرة لصنهاجة ثم جبل اشبرتال داخـل في البحر متصل بالبر فيـــه عيون عذبة ومسجد رباط وبين الجبـل ومدينة اصيـلة ثلاثون ميلا واذا اخرمت المراكب من اشبرتال بالريح الشرقية لم يكن لهـا بد من البحر المحيط الا ان تدور الريح الغربية ويقابل جبل اشبرتال من الاندلس جبـل الاغر على سمت واحد ويقطع الغدير بينهما في ثلثى تجرى بالريح القبلـية من ذلك البـر ومن الاندلس بالريح الجوفية ثـــم تسير من هذا الموضع الى موضع يعرف بالغالة ثـــم الى مدينة طنجة ومن جبل اشبرتال الى مدينة طنجة اربعة اميال ۞

۞ الطريق من سبتة الى فاس ۞

من سبتة الى دمنة عشيرة المذكورة مرحلة ومنها الى موضع يعرف

بالكنيسة فرية معيدة على ظاهر لكتامة ثم الى وادى مغار لكتامة
ايضا فرار كبير بلد للزرع والضرع الى الجسر المعروب بجسر النسر
فاعدة بنى محمد في الغرب منه بلد رهونة وفي الشرف بنو فتركان
من غمارة وتفترف الطريف من الجسر فمن تيامن ياخذ الى افتنس
مدينة حنون بن ابراهيم لكتامة وهي مدينة صالحة كثيرة الخير
وهي من الجسر غربا وهي على نهر واولكس المذكور فبل هذا وجريته
من الشرف الى الغرب وهو يلفيه عند افتنس اليها ثم يهبط الى
مدينة سوف كتامى فيسمى هناك واولكس ثم الى مدينة تشومّس
مدينة ميمون بن الفاسم وهي مدينة اولية عليها سور صخر كبيرة اهلة
كثيرة المياه والثمار ويسمى بذلك الموضع بسهدد وينسع هناك وعليه
رباط يعرب برباط حارة الاحشيس وهي فرية اهلة يتصل بها فحص
مديد يعرب بفحص ابى شيار ثم تسير من افتنس الى زجوكة
مدينة ابراهيم بن محمد ومنها فام ابراهيم وبنوه وملكوا دار
طنجة الى حد سبتة وهي لزرهونة وبعدها مدينة تُجّاجين مدينة
جيدة معيدة على نهر عذب بها جامع واسواق وحمام ويعرب
بالجبل الاشهب وهو على نهر سوسف نهر كبير كنهر فرطبة وهي
من بلد جنيارة وفيها عيون وهي لجنون بن محمد سكانها بنو
مسارة من مصمودة وبعدها مدينة اصادة فيها اثار للاول ذات
اعناب واشجار كثيرة وهي بغبلى تجاجين بينهما ستة اميال
ويجاورها على الطريف اربعة اصنام ثم تاتى مجاز للخشبة على وادى
ورغة في بلد شريف وفرارات كثيرة شبيهة بالمدن ثم فرى
متصلة اكبرها فرزاوة بنى حُصين الى بلد مغيلة فترفى عفبة
الابارف وتلفى حصن زالغ على يسار الطريف ثم فلعة ورطيطة ثم
فحص محلّى ثم فرية خندن سدّرواغ يفترف من هناك الطريف

الى كلتى عدوتى فاس وذلك من مدينة سبتة الى فاس ستة ايام ۞
وطريف اخر الى فاس من سبتة الى تيطاوان مرحلة اول ما يلقى الخارج
من سبتة وادى اويات يجرى فى خندن عليه ارحاء شتوية وبينه
وبين المدينة ميلان ومنه جلب اليان المـاء الى سبتة على ازاج
وبعضها فايم فى تلك الخنادن الى اليوم ثـم الى وادى نكرة ثم
الطريف كما تقدم من سبتة الى طنجة حتى تاتى فج العرس ثم الى
فج الصارى بطرف جبل حبيب بن يوسف وهو جبل كثير العيود
وبسند هذا الفج مما يلى الجوب حارة تعرب بمراد وبين هذا الفج
ومدينة افتس مرحله ثم من افتس كما تقدم انعا وبين الفج
وافتس فلعتان احداها فلعة ابن خروب المذكورة ۞

۞ ذكر مدينة فاس ۞

ومدينة فاس مدينتان مفترنتان مسورتان وبينهما نهر يطرد وارحاء
وفناطر وعدوة الفرويين فى غربى عدوة الاندلسيين وعلى باب دار
الرجل فيها رحاه وبستانه بانواع الثمر وجداول الماء تخرف داره
وبالمدينتين ازيد من ثلاث مائة رحا وفيهما نحو عشرين حمامـا
وهى اكثر بلاد المغرب يهودا يختلفون منها الى جميع الافاق ومن
امثال اهل المغرب ۞ فاس بلد بلا ناس ۞ وكلتـا عدوتى فاس فى
سفح جبل والنهر الذى بينهمـا مخرجه من عين غزيرة فى وسط
مرج ببلاد مطغرة على مسيرة نصف يوم من فاس واسست عدوة
الاندلسيين فى سنة اثنتين وتسعين ومـاية وعدوة الفرويين فى
سنة ثلاث وتسعين ومائة فى ولاية ادريس بن ادريس ومات ادريس
بمدينة وليلى من ارض فاس على مسافة يـوم من جانب الغرب

وكانت وفاته سنة ثلاث عشرة ومايتين في شهر ربيع الاول ولعدوة الاندلسيين من الابواب باب الفتوح قبلى منه يخرج الى القيروان وباب الكنيسة شرقي يقابل ربض المرضى وباب ابى خلوف شرقي وباب حصن سعدون جوفي وباب الحوض غربى يقابل عدوة القرويين وباب سليمان مثله ومن هذين البابين يخرج اهل هذه العدوة الى الحرب اذا كان بينهم اختلاف وتقوم الحرب حينئذ بموضع يعرف بكدية البول وباب العوارة وبها جامع حسن فيه ستة بلاطات طولها من الشرق الى الغرب وعدة ارجل كذان وله صحن فسيح فيه اصول جوز وشجر وسانية تعرف بسانية مصمودة غزيرة الماء وبهذه العدوة تفاح حلو يعرف بالاطرابلسى جليل حسن الطعم يصلح بها وله غلة ولا يصلح بعدوة القرويين وسميد عدوة الاندلسيين اطيب من سميد القرويين لحذقهم بصنعته وكذلك رجال عدوة الاندلسيين انجع وانجد من القرويين ونساؤهم اجمل من نساء القرويين ورجال القرويين اجمل من رجال الاندلسيين ولعدوة القرويين من الابواب باب الحصن الجديد قبلى يخرج منه الى زواغة وباب السلسلة شرقي يخرج منه الى عدوة الاندلسيين وباب القناطر شرقي وباب سياج يحيى بن القاسم جوفي يخرج منه الى المخاض والى وشتاتة ومغيلة وباب سوق الاحد غربى يخرج منه الى زواغة وبها جامع فيه ثلاثة بلاطات طولها من الشرق الى الغرب بناه ادريس بن ادريس وله صحن كبير فيه زيتون وشجر وله سقايف وبها نحو من عشرين حماما وهي اكثر بساتين ومياها وعدوة الاندلسيين يجرى الماء عليهم اولا ويجود بهذه العدوة الاترج ويعظم ولا يجود بعدوة الاندلسيين وكلتا العدوتين جليلة الخطر عظيمة القدر وموقع وادى فاس بوادى سبوا وفي غربى عدوة

الفرويين في بلده مغيلة موضع يقال له السيج ساخ باهله ومن هذا الموضع انهزم البوري بن ابي العافية سنة احدى واربعين وثلاث ماية هزمه بنو محمد واحتووا على معسكره وبفهم فاس الحوت المعروف بالليبس كثير وقال محمد بن اتحف المعروف بالبجلي

يا عدوة القرويين التى كرمت لازال جانبك المحبور ممطورا

ولا سرى الله عنك ثوب نعمته ارض تجنبت الاثام والزورا

وانشد ابراهيم بن محمد الاصيلي والد الفقيه ابي محمد المفضل ابن عمر المذحجي

دخلت فاسا ولي شوق الى فاس والجبن ياخذ بالعينين والراس

فلست ادخل فاسا لو حبيت ولو اعطيت فاسا بما فيها من الناس

وقال احمد بن فتح قاضي تاهرت في كلمة له

اسلح على كل فاسي مررت به في العدوتين معا لا تبقين احدا

قوم غذوا اللوم حتى قال قايلهم من لا يكون لئيما لم يعش رغدا

ومدهم يسع من الطعام ثمانين اوقية ومديهم يسمونه اللوح وفيه من هذا المد ماية وعشرون مدا وجميع الماكولات من الزيت والعسل واللبن والزبيب يباع عندهم بالاوان ۞ وحواليها من قبايل البربر ترهنة ومغيلة واوربة وصدينة وهوارة ومكناسة وزواغة ۞ ولما وصل موسى بن نصير الى طنجة مال عياض بن عقبة الى قلعة يقال لها سقوما على مغربة من فاس ومال معه سليمان بن ابي المهاجر وسالا موسى الرجوع معهما فابى وقال هولاء قوم في الطاعة فاغلظا له القول حتى رجع فقاتل اهل سقوما فكان لهم على العرب ظهور ثم تسور عليهم عياض بن عقبة من خلفهم في قلعتهم فانهزم القوم واشتد القتل فيهم فبادوا وقلت اوربة الى اليوم فذكر ابن ابي حسان ان موسى لما افتتح سقوما كتب الى

الوليد بن عبد الملك ان صار اليك يامير المومنين من سبي سفوما
ماية الف راس فكتب اليه الوليد ويحك اظنها من بعض كذباتك
فان كنت صادقا فهذا محشر الامم ۞ وفاس هي دار مملكة بني
ادريس بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه وكان نزول ادريس عند دخوله المغرب بوليلي
ووليلي وهي طنجة بالبربرية وذكر محمد ان وليلي على مسافة يوم
من فاس وفيها مات ادريس بن ادريس فهذه غير طنجة وهي بغربي
مدينة فاس مدينة عظيمة اولية فنزل على اكحف بن محمد بن
عبد الحميد الاوربي المعتزلي فتابعه على مذهبه وذلك في سنة
اثنتين وسبعين ومائة وخرج الى ماسنة في شعبان سنة ثلاث
وسبعين ومائة وخرج ايضا الى تازى وهو موضع من اعمال بني
العافية يوجد في جبل منه الذهب وهو اعتق الذهب واجوده
وكان خروجه اليها في جمادى الاخرة سنة اربع وسبعين ومائة
ومات بوليلي ۞ وذكر ابو الحسن علي بن محمد بن سليمان النوفلي
عن ابيه وغيره في خروج ادريس الى ارض المغرب غير ما ذكره
المورخون قال ان ادريس بن عبد الله انهزم فيمن انهزم من وقعة
حسين صاحب فخ وكانت وقعة فخ يوم السبت يوم التروية سنة
تسع وستين ومائة فاستتر مدة والح السلطان في طلبه فخرج به
راشد وكان عاقلا شجاعا ايدا ذا حزم ولطف في جملة الحاج
متحاشا عن الناس بعد ان غير زيه والبسه مدرعة وعمامة غليظة
وصيره كالغلام يخدمه وان امره ونهاه اسرع في ذلك فسلما
حتى دخلا مصر ليلا فبينما هما متحيرون يمشيان في بعض طرقها
لاهداية لهما بالبلد اذ مرا بدار مشيدة يدل ظاهرها على باطنها
ونعمة اهلها فجلسا في دكان على باب الدار فرآهما صاحب

الدار فعرف فيهما الحجازية وتوسم في خلفتهما الغربية فقال احسبكما غريبين قالا نعم قال واراكما مدنيين قالا نعم نحن كما ظننت فاذا الرجل من موالي بني العباس فقام اليه راشد وقد توسم فيه الخير فقال له يا هذا قد اردت ان القي اليك شيئا ولست افعل حتى تعطيني موثقا ان تفعل احدى خلتين اما اويتنا وتتقرب الى الله بالاحسان الينا وحفظت فينا نبيك محمدا صلى الله عليه وسلم وان كرهت ما القيته اليك سترته علينا فاعطاه على ذلك موثقا فقال له هذا ادريس بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن ابي طالب خرج من موضعه مع حسين بن علي فسلم من القتل وقد جيت به اريد بلاد البربر فانه بلد ناء لعله يامن فيه ويعجز من يطلبه فادخلهما منزله وسترهما حتى تهيا خروج رفقة الى افريقية فاكترى لهما جملا وزودهما وكساهما فلما عزم القوم على الشخوص قال لهما ان لامير مصر مسالح لا يجوز احد الا فتشوه وهاهنا طريق اعرفها لا يسلكها الناس فانا احمل هذا الفتى معي يعني ادريس في هذه الطريق الغامضة البعيدة فالقاك به يقول لراشد في موضع كذا وهنالك تنقطع مسالح مصر فركب راشد في احد شقي المحمل ووضع متاعه في الشق الاخر ومضى مع الناس في القافلة وخرج الرجل على فرس له وحمل ادريس على فرس اخرى فمضى به في الطريق الغامضة وهي مسيرة ايام حتى تقدم الرفقة واقاما ينتظرانها حتى وردت فركب ادريس مع راشد حتى اذا قربا من افريقية تركا دخولها وسارا في بلاد البربر حتى انتهيا الى بلاد فاس وطنجة فاقام ادريس بين ظهراني البربر حتى انتهى الى الرشيد خبره فكربه وشكا ذلك الى يحيى بن خالد فقال انا اكفيك خبره يا امير المومنين

فارسل الى سليمان بن حريز الجزرى وهو رجل من ربيعة وكان متكلما ممن يرى راى الزيدية وكان حلوا شجاعا احد شياطين الانس وكانت له امامة في الزيدية اذ كان متكلمهم وهو الذى جمع الرشيد بينه وبين هشام بن الحكم حين ناظره في الامامة فارغبه يحيى بن خالد في مال ووعده عن نفسه وعن الخليفة بمواعد عظيمة ودعاه الى قتل ادريس والتلطف في ذلك فاجابه فاعطاه مالا جزلا ووجه معه رجلا يثق به وبشجاعته ودفع الى سليمان فارورة فيها غالية مسمومة فانطلق مع صاحبه فلم يزالا يتغلغلان حتى وصلا الى ادريس وكان ادريس عالما بسليمان ورياسته في الزيدية فلما وصل اليه قال انما جيتك وحملت نفسى على ما حملته عليه لمذهبى الذى تعرفنى به وان السلطان طلبنى هذا لمحبتى في الخروج معكم اهل البيت فجيئتك لامن في ناحيتك وانصرك بنفسى فسره قوله وقبله واحسن مثواه واكرم نزله وانس به وكان سليمان يجلس في مجالس البربر ويظهر الدعاء الى ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتج لاهل هذه المقالة كاحتجاجه بالقران فاعجب ذلك ادريس منه فمكث عنده مدة وهو يطلب غرته ويرصد الفرصة في امره ويرمق باب الحيلة عليه حتى غاب راشد مولاه غيّبه في بعض اموره فدخل عليه ومعه القارورة فلما انبسط اليه وخلا وجهه فقال جعلنى الله فداك في هذه القارورة غالية حملتها معى وليس ببلدك من الطيب ما يتخذ هذا منه فجيئتك بها لتطيب بما فيها ووضعها بين يديه ففتحها ادريس وتغلف منها وشمها وانصرف سليمان الى صاحبه وقد اعدا فرسين قبل ذلك مضمرين فركباها وخرجا مركضين يطلبان النجاة فلما وصل السم الى دماغ ادريس وكان في خياشمه سقط مغشيا عليه

لا يعقل ولا يدري من يختص به ما شانه فبعثوا الى راشد خباء
مسرعا وتشاغل بمعالجته والتخبر في امره وقطع سليمان وصاحبه
على فرسيهما بلادا في مدة ذلك واقام ادريس في غشيته عامة نهاره
وعروقه تضرب ثم مات وتبين راشد امر سليمان بن حريز فركب
في طلبه في جماعة من اصحابه فجعلت الخيل تنقطع تحت اصحابه
ويتخلفون لشدة السير وحث الطلب حتى لحقه راشد فانحرف
اليه سليمان ليمنعه من نفسه فخبطه راشد بالسيف فكنع يده
وضربه بالسيف على وجهه وراسه ثلاث ضربات كل ذلك لا يصيب
مقتلا مع دفع سليمان عن نفسه وما كان عليه من الجنة وقام فرس
راشد لشدة حمله عليه ونجا سليمان بحشاشة نفسه وصاحبه قد
خذله فلم يغن عنه شيئا ولم يكن عنده الا الهرب ثم نزل
سليمان بعد ان امن الاتباع وعصب جراحه قال ابو الحسن النوفلي
فحدثني من رآه بعد قدومه العراق مكنعا وذكر احمد بن الحارث
ابن عبيدة اليماني نحو رواية النوفلي قال ان ادريس بن عبد الله
افلت من وقعة فخ فوقع بمصر وعلى بريدها يومئذ واضح مولى صالح
ابن المنصور وكان يتشيع فحمله على البريد فوقع بارض طنجة
فوجه اليه الرشيد رجلا من مواليه يقال له الشماخ في هيئة
المتطبب وكان بادريس وجع فخذه في اسنانه فوضع الشماخ في
ذلك الموضع ذرورا مسموما وخرج من ساعته فقتل السم ادريس
وطلب الشماخ فلم يظفر به حتى اتى الرشيد فولاه بريد مصر
وقال غيره انما اسره ان يستعمل ذلك الذرور والسنون في السحر
وقيل هو في جوف الليل قال محمد بن ابراهيم بن محمد بن القاسم
الصحيح عندنا انه سمه في دلاعة قطعها بسكين قد سم احد
جانبيه فلما قطعها ناوله الذي باشر السم واكل هو الآخر وكان

واضح مولى صالح بن المنصور يميل الى ال ابى طالب فبلغ الرشيد ما صنع بادريس فامر بضرب عنقه وصلبه قال النوفلى وكانت مدة ادريس التى اجابته فيها البربر الى ان مات بوليلى سنة خمس وسبعين ومائة ثلاثة اعوام وستة اشهر وقال غير هولاء ان داود ابن القاسم بن اسحق بن عبد الله بن جعفر بن ابى طالب هو الذى افلت من وقعة فخ وهرب الى المغرب وذرية داود هذا بفاس وبنو ادريس يناكحونهم وانصرف داود الى المشرق فانه انما فرحين خرج اخواه على المنصور قال على النوفلى اخبرنى عيسى بن جنون قاضى ارشقول لادريس بن عيسى ودخل الاندلس غازيا ان سليمان ابن عبد الله بن حسن بن حسن دخل المغرب ايضا ونزل تلمسان وبه نسل عدد ولد عبد الله بن حسن ستة لانهم محمد وابراهيم وادريس وعيسى ويحيى وسليمان كما ذكروا قال فولد سليمان بن محمد بن سليمان فمن ولده محمد ويحيى وسليمان كل قرشى فى القبلة قال النوفلى ومات ادريس ولا ولد له وجارية من جواريه حبلى فقام راشد بامر البربر حتى ولدت غلاما فسماه باسم ابيه ادريس وقام بامره وادبه واحسن تاديبه وكان مولده فى ربيع الاخر سنة خمس وسبعين ومائة وتوفى راشد سنة ست وثمانين ومائة ولهذا التبنى والاتصال قال محمد بن السمهرى يهجو القاسم بن ادريس بن ادريس

قل للزنيم زنيم طنجة عش بها لا يحسدنك فى بلادك حاسد
منّتك نفسك ان تكون خليفة هيهات هذا من حديثك بارد
لما رايتك للئام مصافيا ايقنت حقّا ان جدّك راشد

وقيل ان راشد مولى عيسى بن عبد الله اخ ادريس بن عبد الله فقام بامر الغلام ابو خالد يزيد بن الياس واخذ بيعة البربر له

يوم الجمعة السابع من ربيع الاول سنة سبع وثمانين وماية وهو ابن احدى عشرة سنة وفتل ابا ليلى اسحق وهو الفايم به وبابيه يوم السبت لست خلون من ذى الحجة سنة اثنتين وتسعين ومـــاية وبعث راسه الى المشرق مع احمد وسليمان ابنى عبد الرحمن ثم نزل مدينة باس ي عدوة الاندلسيين وافام بها شهرا وذلك سنة اثنتين وتسعين وماية وكانت عدوة الفرويين غياضا ى اطرافها ابيات من زواغة بارسلوا الى ادريس بدخل عندهم باسس مدينة الفرويين سنة ثلاث وتسعين ثم خرج الى نفّيس ي المحـــرم سنة سبع وتسعين ثم غزا نفزة وتلمسان ورجع سنـــة تسع وتسعين وماية فال داود بن الفاسم بن اسحق بن عبد الله بن جعفر كنت مع ادريس بن ادريس ي المغرب فخرجت معه يوما الى فتال الخوارج فلفيناهم وهم ي ثلاثة اضعاى عددنا بفاتلناهم فتالا شديدا باعجبنى ادريس ذلك اليوم وجعلت اديم النظر اليه ففال ويحك لمَ توالى النظر الىّ فلت لخصال اما اولها فانك تبصف بصافا مجتمعـــا وانا اطلب فليل ماء ابل به حلفي فلا اجده فال ذلك لاجتماع فلبى وذهاب بصافك لذهاب عفلك فال فلت والثانية لما ارى من منتك فال ان النبى صلى الله عليه وســـلم صلى علينا فلت والثالثة لما ارى من حركتك وفلة فرارك على الدابة فال ذلك زمـع الى الفتال فلا تحسبه رعبا وانا الذى افول

اليس ابونا هاشــــم شـــد ازره   واوصى بنيه بالطعان وبالضرب
فلسنــا نملّ الحرب حـــتى تملنا   ولا نشتكى ما يوول من النصب

وتوفي ادريس بوليلى سنة ثلاث عشرة ومــــايتين وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة بحبة عنب غص بها فـــلم يزل مفتوح الفم ســـايل اللعاب حتى مات وولد ادريس محمدا واحمد وعبيد الله وعيسى

وادريس وجعفرا وحمزة ويحيى وعبد الله والقاسم وداود وعمر وتولى الامر بعد ابيه منهم محمد وفرق البلاد على اخوته برأى جدته كنزة ام ادريس واتخذ محمد بن ادريس مدينة فاس قرارا فولى القاسم اخاه البصرة وطنجة وما والاها وولى عمر صنهاجة وغمارة وولى داود هوارة فاسلمت وولى يحيى داى وما والاها وولى عيسى وازقور وسلى وولى حمزة الاودية بغرب وليلى وولى عبد الله لمطة وما والاها وتصاغر الباقون من اخوته ان يقسم لهم فصاروا مع اخوتهم فقام عليه عيسى اخوه صاحب وازقور ونكث طاعته فكتب الى القاسم يامره بمحاربة عيسى اخيهما اذ كان يحاذيه في البلد فابى القاسم من ذلك وخالف امر محمد فكتب محمد الى اخيه عمر بمثل ذلك فاجابه وسارع الى نصرته وخرج يريد عيسى بمعسكره فلما قرب من احواز فاس كتب الى محمد يستمده ومضى لوجهه فاوقع باخيهما عيسى فبل لحاق مدد محمد واخرجه عن بلد وازقور وهرب الى سلى ثم امر محمد اخاه عمر بمحاربة القاسم اخيهما فحاربه وتغلب على ما كان بيده فتزهد القاسم وبنى مسجدا على ضفة البحر باصيلى ولزمه وتوفي عمر بن ادريس بغرب ذلك ببلد صنهاجة بموضع يقال له الفرس وكان منفية له ونقل الى مدينة فاس فدفن بها وهو جد الحموديين الفاطميين بالاندلس على ما نذكره بعد هذا ان شاء الله ثم هلك محمد بن ادريس وولى الامر بعد محمد ابنه على باستخلافه له ثم هلك فولى الامر بعده ابن اخيه يحيى بن يحيى بن محمد بن ادريس ثم ان يحيى بن يحيى دخل على يهودية في الحمام يقال لها حنّة وقد راودها على نفسها فتغير عليه اهل فاس ووثب عبد الرحمن بن ابى سهل الجذامى وهو جد احمد بن بكر بن عبد الرحمن الذى هو صاحب فاس

فاخرجه من مدينته فاس فهرب الى عدوة الاندلسيين فمات
بها من ليلته وكانت زوجة يحيى بن يحيى هذا عاتكة بنت علي
ابن عمر بن ادريس فلم تخرج مع زوجها يحيى بن يحيى فاتى علي
ابن عمر ابوها بجنده فدخل عدوة القرويين وملكها وانتقل الامر
عن بني محمد بن ادريس الى بني عمر بن ادريس ثم قام على بن
عمر عبد الرزاق الخارجي وكان صفريا ويقال انه من ثغر الاندلس
وكان قيامه من جبل مديونة وهو بقبلي فاس فدارت بينهم
حروب كانت الدبرة فيها على علي فهزمه الخارجي واخرجه عن
مدينة فاس وفر علي الى بلد اوربة واجاب عبد الرزاق اهل عدوة
الاندلسيين ولم يجبه اهل عدوة القرويين وبعثوا الى يحيى بن القاسم
الذي يعرف بالعدام فولوه على انفسهم فلم يزل بها حتى قتله
ربيع بن سليمان في سنة اثنتين وتسعين ومايتين فتقدم يحيى
ابن ادريس بن عمر بن ادريس الى مدينة فاس فدخلها ورجع
الامر الى بني عمر فلم يزل بيد يحيى الى ان قدم مصالة بن حبوس
سنة سبع وثلاث ماية على ما ذكرنا قبل هذا فلما اجلى بني صالح
عن بلد نكور وتقدم الى مدينة الزيتون وهي كانت قاعدة يحيى
ابن ادريس بن عمر قبل دخوله فاس وكانت موئله الذي يعتد
به ويعول عليه خرج اليه يحيى مدافعا له فانهزم يحيى وانفض
جمعه ولم تقم له قائمة بعد الى ان هلك سنة اربع وثلاثين وثلاث
ماية وكان هلاكه بالمهدية ايام حصار ابي يزيد لها وكان اعلى
بني ادريس قدرا بالمغرب لم يبلغ احد منهم مبلغه قال النوفلي
وكان مصالة بن حبوس لما قدم المغرب حركته الاولى سنة
خمس وثلاث ماية ابتدى موسى بن ابي العافية بالاحسان وقدّمه
في المغرب وكان موسى كلما رجا بالظهور عزه يحيى بن ادريس

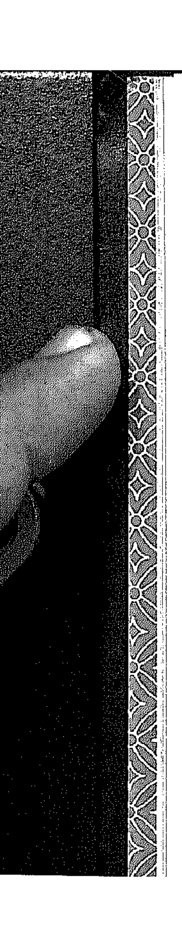
وقطع به عن امله فلما رجع مصالة بن حبوس الى المغرب ثانية سنة عشرة وثلاث ماية سعى موسى بيحيى عنده فاجمع مصالة على القبض عليه وطمع فيما له وما عنده فلم يزل يتحيل له حتى اقبل الى معسكره فقبض عليه وانتزع جميع ما اتى به وامره باستجلاب ما عنده من الاموال فاحضره مالا عظيما واخرجه عن بلده وصار ما كان بيده من البلدان الى حسن بن محمد الحجام والى موسى بن ابى العافية قال القاضى محمد بن عمر الصدفي لما اجلى مصالة بن حبوس يحيى بن ادريس النائث به الحال وانفض جمعه ومن كان معه ثم اخذه بعد ذلك موسى بن ابى العافية فخرب مدينته وسجنه دهرا طويلا بمدينة لكاى ثم اطلقه ثم نزع بنفسه الى اصيلى وسكنه واقطعه بنو ابراهيم شيئا يقوم منه معاشه قال وكان ابوه ادريس قد دعا الله بان يميته الله بارض غربة جوعا فلما كان فى سنة احدى وثلاثين وثلاث ماية توجه نحو المهدية فوافق قيام ابى يزيد وفعل الشيعة بانفسهم فلم يصل اليهم ومات جوعا فى حصار ابى يزيد ۞ وقدم مصالة بن حبوس على فاس ريحان بن على الكتامى وذلك سنة سبع وثلاث ماية فاقام بها الى سنة ست عشرة وثلاث ماية فقام حسن بن محمد بن القاسم بن ادريس الذى تعرف بالحجام فنفاه ودخلها وملكها عامين ۞ وانما سماه حجاما عمه احمد بن القاسم بن ادريس الكرتى وذلك انه جرى بينهما امر افضى بهما الى الاختلاف والتدابر حتى زحف كل واحد منهما الى الاخر فالتقيا بموضع يعرف بالمدالى من بلد صنهاجة فحمل حسن على غلام لعمه فدعسه بحربة اثبتها فى مكان المحجم فاخبر عمه بفعله ثم شد على اخر فاصابه فى ذلك الموضع وقيل لاحد ايضا وضرب ثالثا فوافق ذلك

الموضع فقال احمد صار ابن اخي حجّاما فلزمه ذلك ولذلك قال شاعر من شعرائهم

وسميت حجاما ولست بحاجم   ولاكن لضرب في مكان المحاجم

وكان حسن الحجام في اخر بلد المدالى يملك فاسا فاوقع بموسى ابن ابى العافية رجلٍ من روساء البربر وقعية شنعاء لم يكن بالمغرب بعد دخول ادريس فيه اعظم منها اجلت هزيمته له عن ازيد من الفى قتيل وقتل في جملتهم ابنا لموسى يسمى منهل فغدرة على اثر ذلك بفاس حامد بن حمدان الهمدانى ويعرف باللوزى نسب الى قرية بافريقية فحبسه عند نفسه واغلق ابواب المدينة دون عسكره وذلك كان شان اهل فاس لا يتركون عسكر رئيس يدخل مدينتهم فلما صار في سجن حامد ارسل الى موسى بن ابى العافية فاتاه ودخل فاسا وتغلب على عدوة القرويين وتغلب بعد ذلك على العدوة الاخرى ثم جعل يلحف على حامد في قتل حسن الحجام بابنه منهل وحامد يدافعه عنه ويكره المجاهرة بقتله فسمه حامد واخرجه على السور ليلا فسقط عنه واندلقت سافه وجاز الى عدوة الاندلسيين فمات بها وقتل موسى عبد الله بن ثعلبة بن محارب الازدى وقتل معه ابنيه محمدا ويوسف وهرب ابنه محارب ابن عبد الله فلحق بقرطبة وقيل بالمهدية واراد ايضا قتل حامد ابن حمدان الهمدانى فهرب الى المهدية واستولى موسى بن ابى العافية على جميع المغرب واجلى ال ادريس اجمعين عن مواضعهم وانحاشوا عن البلد وصار جميعهم في حجر النسر مقهورين وهو حصن بناه ابراهيم بن محمد بن القاسم بن ادريس بن ادريس سنة سبع عشر وثلاث ماية واعتزم موسى على محاصرتهم واستيصالهم حتى عذله في ذلك اكابر اهل المغرب وقالوا قد اجليتهم وافقرتهم

اتريد ان تقتل ال ادريس اجمعين وانت رجل من البربر فانكسر عن ذلك ولاذ عنهم بعسكره وتخلف لمرافقتهم ومنعهم من التصرف فايدا جليلا كان عنده يكنى ابا فتح وكانت محلة ابى فتح بتاوينت واستخلف موسى ابنه مدين بفاس حتى قدم حميد ابن يصلى فى سنة احدى وعشرين وثلاث ماية الى المغرب ومعه حامد بن حمدان الهمدانى فلما ايقن مدين بقدومهما هرب من فاس وولى حميد حامدا على فاس وتظاهر بنو ادريس على ابى فتح فهزموه وغنموا اكثر عسكره فالوا فبذلك سموا ذلك الموضع الكوم وتفالوا به وجعلوه شعارا بينهم ووثب بفاس احمد بن بكر ابن عبد الرحمن بن ابى سهل الجدامى فقتل حامدا وبعث براسه وولده الى موسى بن ابى العافية فبعث بهما موسى الى قرطبة مع سعيد بن الزرّاد وكان صار حميد بن يصلى عن موسى وعن المغرب بغير عهد فهو كان سبب سجنه بافريقية حتى هرب الى الاندلس ۞ ثم قدم ميسور الفتى الى المغرب فى سنة ثلاث وعشرين وثلاث ماية على ما تقدم قبل هذا فخرج احمد بن بكر صاحب فاس يومئذ الى معسكره فحبسه ميسور ووجه به الى المهدية فقدم اهل فاس على انفسهم حسن بن قاسم اللواتى وحارب ميسور مدينة فاس سبعة اشهر ثم قفل عنهم فلم يزل حسن واليا عليها الى ان قدم احمد بن بكر منطلقا من المهدية فتخلى له حسن عما كان بيده وذلك سنة احدى واربعين وثلاث ماية ولما ورد ميسور الى المغرب حاصر موسى بن ابى العافية وتولى معاظم تلك الحروب بنو ادريس حتى جلى موسى بن ابى العافية الى الصحراء وصار ما كان بيده الى ال ادريس والرياسة منهم فى بنى محمد ابن القاسم بن ادريس بن ادريس وهم حسن وجنون وابراهيم بنو



محمد بن القاسم وكان محمد متخلفا في اخوته وعشيرته لا قدر له ثم صارت النباهة والقدر لبنيه وابراهيم بن محمد هو المعروف بالرهونى وكان الذى يلزم صخرة النسر منهم جنون وحنون ابنا ابراهيم واسم جنون القاسم ولمحمد بن اتحف الشاعر المعروف بالتحيلى في جنون هذا اهاج كثيرة مقذعة وذلك انه غلب على ام ولد كانت له فهويها جنون وصارت عنده فاستعان عليه بابن عمه احمد بن القاسم بن ادريس فكتب اليه يرغب ان يصرفها اليه واعلمه بما يلحقه في فعله من قبح الاحدوثة فلم يلتفت الى مقالته ولا انتفع محمد بن اتحف بشفاعته فاستاذن محمد بن اتحف احمد بن القاسم في هجائه فاذن له في ذلك وعاهده ان لا يرى منه على هجائه له مكروها ابدا فمما هجاه به

اترى سلاحك اذ كدتك قصيدتى	ينفيه سيل قد طما من سبدد
او بحر طنجة في عصوبات الصبى	...............فردد
او نيل مصر اذا ارتمى اذيه	تعلو سواحله بموج مزبد
جنون يزعم انه متلوط	وهو المنيك اذا خلا بالامرد
ابنى محمد الزنيم لانتم	شر الورى ممن يروح ويغتدى
ان كان جنون من ال محمد	فانا كفور بالنبى محمد

وقد ذكرنا خبر سبدد واختلاف اسماء هذا النهر باختلاف المواضع فاما قوله ۞ اوبحر طنجة في عصوبات الصبى ۞ فان الريح الشرقية تؤذى فيه اشد اذاية وكذلك في حربيه ۞ وكان اعلى بنى محمد كلهم ايدا ابو العيش بن جنون بن محمد وكان له من البلد ما بين اجاجن وهو بقبلى حجر النسر الى مدينة فاس وكان احمد بن ابراهيم بن محمد عالمهم كان يحفظ السير والتواريخ وكان نسّابة عاقلا حليما وكان مبجلا لعلمه وكان يعرف احمد

الفاضل وكان له ما جرّ من اجاجن الى مدينة سبتة وكان شديد الميل الى خلفاء بنى امية وكثير التشيع فيهم وهو الذى استشار محمد بن عبد الله بن ابى عيسى قاضى الجماعة فى سنة اثنتين وثلاثين فى دخول الاندلس والغزو مع امير المومنين عبد الرحمن فلما اعلم عبد الرحمن بذلك امره بمخاطبته واستحثاثه فى القدوم وان يعلمه انه لا ينزل محلة من الاندلس ما بين نزوله بالجزيرة الخضراء الى نزوله بمحلة بلاط حميد من اقصى الثغر وذلك ثلاثون محلة الا امر امير المومنين ببنيان قصر فى كل محلة ينزله ينفق فيه الف مثقال ليكون اثر اقباله بالاندلس باقيا مع الايام ولم يكن فى بنى ادريس من شهر بالعلم شهرته الا احمد الاكبر ابن القاسم ابن ادريس بن ادريس وهو المعروف بالكرتى كان له علم وقدر بالمغرب وهو الذى استجلب بكر بن حماد ووفد على امير المومنين عبد الرحمن منهم حسن بن القاسم المعروف بجنون وعيسى بن جنون ابن محمد بن القاسم وذلك يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شوال سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مائة فاقاما فى كرامته الى شهر صفر من العام الذى يليه ثم انصرفا الى بلدهما ولما دخلت سنة ثمان وثلاثين وثلاث مائة اجمع بنو محمد بن القاسم على هدم مدينة تطاوان فهدموها ثم تعقبوا ما فعلوا وارادوا بنيانها فضج اهل مدينة سبتة من بنيانها وزعموا انها تضرّ بمدينة سبتة وتقطع عنها مرافقها فاعجل عبد الرحمن امير المومنين اخراج الجيوش اليهم وتجهيز العساكر نحوهم وذلك سنة احدى واربعين وثلاث مائة والقايد احمد بن يعلى حتى وصل الى مدينة سبتة ونفذ عهد عبد الرحمن الى حميد بن يصلى وكان والى تيجيساس بالتقدم الى سبتة والتضافر باحمد بن يعلى على حرب بنى محمد

واجتمع العسكران فسعى حميد بن يصلى الى بنى محمد على بن معاذ فاجابوه الى التخلى عن مدينة تطاوان على أن يبعثوا بابنائهم الى امير المومنين بقدم احمد بن يعلى عليه بحسن بن احمد الفاضل بن ابراهيم بن محمد وبمحمد بن عيسى بن احمد ابن إبراهيم ووصلا الى قرطبة يوم السبت لتسع خلون من رجب سنة احدى واربعين وثلاث مائة وعيسى هو ابو العيش فبعث حسن في ابنه يحيى وبعث محمد في ابنه حسن فوصلا الى قرطبة يوم الاربعاء لاربع بقين من ربيع الاخر سنة اثنتين واربعين فمكثا بقرطبة وصدر ابواها الى بلادها بالحباء والكرامة المجددة وولد ليحيى وحسن بقرطبة البنين ثم هلكا هلك يحيى سنة تسع واربعين وهلك حسن سنة خمسين ودفنا بمقبرة الربض وصلى عليهما منذر بن سعيد القاضى وتخلف يحيى ابنا يسمى حسينا وتخلف حسن ابنين يسميان محمدا وحسينا ايضا فلم يزالوا مستقرين بقرطبة الى خلافة المستنصر بالله فبعث بهم اعلاما من ثقات اهل مملكته وذلك في رجب سنة اربع وخمسين وثلاث مائة فوصلوا بهم الى احمد وحسن ابنى ابراهيم بن محمد بن القاسم ويحيى بن احمد ابو هذا الغلام قد هلك فانزل احمد بن ابراهيم ابن ابنه حسين بن يحيى على ما كان لابيه فاما ذرية عمر بن ادريس بن ادريس جد الناجمين بالاندلس فان عمر ولد عليا بسرية وادريس امه زينب بنت عبد الله بن داود بن القاسم الجعفرى وعبيد الله لجارية يقال لها ربابة ومحمدا فاما على فانه اعقب من الذكور اثنى عشر ذكرا وابنة واحدة وهي عاتكة التى تقدم ذكرها امراة يحيى بن يحيى بن محمد بن ادريس واكثر عقب هولاء باوربة ومنهم بمدينة فاس ومنهم بكتامة وحمزة بن على

منهم فتله موسى بن ابي العافية بيده ظفر به بمدينته التي كانت تدعا بني عوسجة وفتل معه ولديه هرون ويحيى وكان حمزة هذا فد حضر مع حسن بن محمد الحجام هزيمته لموسى وحضر فتـــل منهل ابنه وكان حمزة فد علف منهلا على بابه ببني عوسجة بفتلهم بثاره وحسن بن عبيد الله بن على منهم ابتلى بالجدام وجنـون ابن ادريس بن على اجلاه موسى الى زناتة فسبتـه برغواطـة فعفبه هناك عندهم وعفب ابي العيش بن على منهم بالاندلس واما ادريس ابن عمر بن ادريس فهو لباب ولد عمر بن ادريس وبولده تكرر الامر الى ان كثرهم بنو محمد بن الفاسم ومحمد بن ادريس بن عمر هو المعروب بابن ميالة ويكنى ابا العيش ولم يزل مواليا للناصر عبد الرحمن رحمه الله وفد ذكرنا خبر ابنه يحيى بن ادريس وملكه لمدينة فاس وانه كان اعلى بني ادريس حالا بالمغرب وذكرنا موته بالمهدية فال على النوفلي كـان يشهد مجلس يحيى بن ادريس العلمـاء والشعراء وكان ابو احمد الشافعي من جلسائه وممن يتكلم عنده في العلم وكان ينسخ له عدة الورّافين وينتجعه الناس من الاندلس وغيرها فيحسن الى جميعهم وينصرفون عنه أكرم منصرب وكـان لادريس ابن عمر خمسة من الولد الذكور غير هذين ولهـم عفب كثير فاما عبيد الله بن عمر بن ادريس فولد حمزة والفاسم وابا العيش لم يسم لنا اكثر وامهم ملوكــة بربرية وعليا وابراهيم ومحمدا ويفال لمحمد الشهيد امهم زواغية فاما حمزة فكان شجاعا جوادا متفدما وله عفب كثير ببلد غمارة وزناتة واما على بن عبيد الله فلم يعفب من ولده الا جنون وهم بكورة الجزيرة واما ابراهيم فكان عفبه بجر النسر واحد بنيه اعفب ببلد زناتة واما الفـاسم بن عبيد الله فله عفب كثير ببلد زناتة ومحمد الشهيد عفبه ايضا

فبلد زناتة واما ابو العيش بن عبيد الله فولد حمودا ويحيى فاما يحيى فله بنون بتازغدرا واما حمود فولد القاسم وعليا وفاطمة فاما على فولى الخلافة بالاندلس سنة سبع واربعماية واغتاله فتيان من الصقالبة فى حمام بقصر قرطبة فقتلاه ثم قتلا به وكان له من الولد يحيى وادريس وولى عهده منهما يحيى وكان صاحب المغرب وكان ادريس اخوه صاحب مدينة مالقة فلما قتل على استدعى البربر القاسم اخاه وادخلوه القصر وبايعه الناس وخطب له بالخلافة فانف من ذلك ابن اخيه يحيى لما تقدم من عهد ابيه له وتضافر مع ادريس اخيه على تمهما لتصوره عليهما فى خلافة ابيهما واتفقا على ان يعبر يحيى الى مالقة لطلب حقه ويعبر ادريس الى المغرب فجاز يحيى الى اشبيلية سنة اربع عشرة واربعماية واستمر الى قرطبة فاستخلف يحيى بقرطبة وتسمى بالمعتلى وخطب له بالخلافة ثم ان البربر اضطربوا عليه ففر من قرطبة الى مالقة ورجع عمه القاسم الى قرطبة مرة اخرى وتسمى بالمامون ثم عزله ابن اخيه يحيى فخرج من قرطبة الى اشبيلية ومكث بها الى ان اخرجه محمد بن عبّاد وصار بشريش فحصر بها ابن اخيه يحيى حتى اخذه وبينه هنالك فسجنهم واستوسق الامر ليحيى بن على حتى قتل فى المحرم سنة سبع وعشرين واربعماية فلما وصل الامر الى اخيه خطب له بالخلافة فى سبتة وتسمى بالعزيز بالله ثم عبر البحر الى مالقة فتسمى بالمتايد بالله وخطب له بالخلافة بمالقة واعمال البربر بالاندلس وبالمرية واعمالها وتوفى يوم الاثنين لاربع عشرة ليلة بقيت للمحرم سنة احدى وثلاثين واربع ماية وكان ولى عهده حسن بن يحيى صاحب سبتة فتسمى بالمستنصر بالله فجاز الى الاندلس وبويع له بمالقة ونواحيها وبغرناطة وجهاتها

الى ان توفي سنـــة اربع وثلاثين واربعماية فولي ادريس بن يحيى اخوه وبويع له يوم الخميس لست خلون من جمادى الاخرة سنـة اربع وثلاثين واربع ماية وتسمى بالعـــالى وخطب له بذلك بمالقة وغرناطة وقرمونة واعمالها الى ان خلع سنة ثمان وثلاثين واربعماية وقام محمد بن ادريس بن على وتسمى بالمهدى وخطب له بالخلافة هنالك الى ان توفي سنة اربع واربعين واربعماية وقام بالامر بعده ابن اخيه ادريس بن يحيى بن ادريس بن على وتســـمى بالموفق ولم يخطب له بالخلافة وبقى اشهرا يسيرة ثـــم دخل عليه العالى ادريس بن يحيى وبويع له مرة ثانية بمــالقة وبقى الى ان توفي سنة ست واربعين واربع ماية وقام بالامر بعده ابنه محـــد بن ادريس وتسمى بالمستعلى ولم يخطب له بالخلافة فاقام بمالقة الى ان تغلب عليها باديس بن حبوس بن ماكسن في صدر سنة سبع واربعين واربع ماية فانقطعت دولة بنى على بن حمود من يومئذ ثم استُدعي محمد ابن ادريس هـــذا من مدينة مليلة وهـــو مستقر بالمرية لا يعرف مكانه لخمول ذكره فعبر اليها وذلك في شهر شوال سنـــة تسع وخمسين واربع ماية فقام به جماعة بنى ورتدى بمليلة وبقلوع جارة ونواحيهما وهو هنالك باق على ذلك الى وقتنا هذا وهو اخر سنة ستين واربع ماية ۞

۞ ذكر ممالك بَرَغْواطة وملوكهم ۞

أخبر ابو صالح زمّور بن موسى بن هشـــام بن وارديزن البرغواطى وكان صاحب صلاتهم حين قدم على الحكم المستنصر رسولا من قبل صاحب برغواطة ابي منصور عيسى بن ابي الانصار عبد الله

ابن ابى غُفَير محمد بن معاد بن اليسع بن صالح بن طريف وكان وصوله الى قرطبة فى شوال سنة اثنتين وخمسين وثلاث ماية وكان المترجم عنه بجميع ما اخبر به الرسول الذى قدم معه وهو ابو موسى عيسى بن داود بن عشرين السطاسى من اهل شلة مسلم من بيت خيرون بن خير فاخبر زمور ان طريفا ابا ملوكهم من ولد شمعون بن يعقوب بن اسحق وانه كان من اصحاب ميسرة المطغرى المعروب بالحقير ومغرور بن طالوت والى طريف نسبت جزيرة طريف فلما قتل ميسرة وافترق اصحابه احتل طريف ببلد تامسنى وكان اذ ذاك ملكا لزناتة وزواغة فقدمه البربر على انفسهم وولى امرهم وكان على ديانة الاسلام الى ان هلك هنالك وتخلب من الولد اربعة فقدم البربر ابنه صالحا منهم قال زمور وكان موت صالح بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم بماية عام سوا قال وحضر مع ابيه حروب ميسرة للحقير وهو صغير قال وكان من اهل العلم والخير فتنبّا فيهم وشرع لهم الديانة التى هم عليها الى اليوم وادعى انه نزل عليه قرءانهم الذى يقرءونه الى اليوم قال زمور وهو صالح المومنين الذى ذكره الله عز وجل فى قرءان محمد عليه السلام فى سورة التحريم وعهد صالح الى ابنه الياس بديانته وعلمه شرايعه وفقهه فى دينه وامره ان لا يظهر ذلك الا اذا قوى وامن فانه يدعوا الى ملته ويقتل حينئذ من خالفه وامره بموالاة امير الاندلس وخرج صالح الى المشرق ووعد انه ينصرف اليهم فى دولة السابع من ملوكهم وزعم انه المهدى الاكبر الذى يخرج فى اخر الزمان لقتال الدجّال وان عيسى بن مريم يكون من اصحابه ويصلى خلفه وانه يملا الارض عدلا كما مليت جورا وتكلم لهم فى ذلك كلاما كثيرا نسبه الى موسى الكليم عليه السلام والى سطيح

الكاهن والى ابن عباس وزعم ان اسمه في العربي صالح وفي السرياني مالك وفي الاعجمي عالم وفي العبراني وربيا وفي البربرية ورياوري اي الذي ليس بعده شيء فتولى اليـــاس الامر من بعـد خروج ابيه بظهر ديانة الاسلام ويسرّ الذي عهد اليه بـه ابوه خوفا وتقية وكان طاهرا عفيفا لم يلتبس بشيء من الدنيا الى ان هلـــك بعد ان ملك خمسين سنة وولد الياس جماعة منهم يونس فتولى الامر بعد ابيه فاظهر دياناتهم ودعـــا اليها وقتل من لم يدخل فيها حتى اخلى ثلاث ماية مدينة وسبعا وثمانين مدينة جـعل جميع اهلها على السيف لمخالفتهم اياه وقتل منهم بموضع يقال له تاملوكاف وهو حجر نابت عالي في وسط السوق سبعة الاف وسبع ماية وسبعين قتيلا وقتـــل من صنهاجة خاصة في وقعة واحدة الف وغـد والوغد عندهم المنفرد الوحيد الذي لا اخ له ولا ابن عم وذلك في البربر قليل وانما احصوا الاقل ليستدل به على الاعظم الاكثر قال زمور ورحل يونس الى المشرق وحج ولم يحج احد من اهل بيته قبله ولا بعده ومات يونس بن اليـــاس بعد ان ملك اربعا واربعين سنة وانتقل الامر عـــن بنيه بقيام ابي غفير محمد بن معاد بن اليسع بن صـــالح بن طريف عليهم فاستولى على الملك بدين ابائه واشتدت شوكته وعظم امره وكانت له وقايع كثيرة في البربر مشهورة لا تنسى مع الايام منها وقيعة تيمغسن وكانت مدينة عظيمة اقام القتـــل في اهلها ثمانية ايام من الخميـس الى الخميس حتى شرفت دورهم ورحـــابهم وسككهم بدمـائهم ومنها وقعة بموضع يقال له بهت عجز الاحصاء عـــن عد من قتل فيها وكانت لابي غفير من الزوجات اربع واربعون زوجة كان له منهن من الولد بعددهن ومات ابـو غفير بعد ان ملك تسعا وعشرين

سنة وذلك عند ثلاث مائة من الهجرة وولي الامر بعده من بنيه عبد الله ابو الانصار وكان سخيا ظريفا يفي بالعهد ويحفظ الجار ويكافي على الهدية باضعافها وكان افطس شديد ادمة الوجه ناصع بياض الجسم طويل اللحية وكان يلبس السراويل والملحفة ولا يلبس القميص ولا يعتمّ الا في الحرب ولا يعتم احـــد في بلده الا الغرباء وكان يجمع جنده وحشمه في كل عام ويظهر انه يغزو من حوله فتهاديه القبايل وتستالفه فاذا استوعب هداياهم والطافهم فرق اصحابه وسكنت حركته فملك في دعة اثنتين واربعين سنة ودفن بامسلاخت وبها قبره وولي بعده من بنيه ابنه ابو منصور عيسى ابن ابي غفير وهو ابن اثنتين وعشرين سنــة وذلك سنة احدى واربعين وثلاث مائة فسار بسيرة ابيه ودان بديأناتهم واشتدت شوكته وعظم سلطانه وكان ابوه قد وصّــاه قبل موته موالاة صاحب الاندلس وكذلك يوصي جميعهم المرشّح للملك بعده قال زمور وقال له يا بنيّ انت سابع الامراء من اهـــل بيتك وارجو ان يانيك صالح بن طريف كما وعد ۞ انتهى كلام زمور وقال ابو العباس فضل بن مفضل بن عمرو المذحجي ان يونس القايم بدين برغواطة اصله من شذونة من وادي برّبط وكان قد رحــل الى المشرق في عام واحد مع عباس بن ناصح وزيد بن سنـــان الزناتي صاحب الواصلية وبرغوت بن سعيد التراري وجدّ بـــني عبد الرزاق ويعرفون ببني وكيل الصفرية ومناد صاحب المنادية المنسوب اليه القلعة المعروفة بالمنادية قريبا من سجلماسة واخر ذهب عـــني اسمه فاربعة منهم فقهوا في الدين وادعا ثلاثة منهم النبوة منهم يونس صاحب برغواطة قال وكـان يونس شرب دواء الحفظ فلقن كل ما سمع وحفظه وطلب عـــلم النجوم والكهانة والجانّ ونظر في

الكلام والجدال واخذ ذلك عن غيلان ثم انصرب يريد الاندلس
فنزل بين هولاء القوم من زناتة فلما راى جهلهم استوطن بلدهم
وكان يخبرهم باشياء قبل كونها مما تدلّ عليه النجوم عندهم
فتكون على ما يقول او قريبا منه فعظم عندهم فلما راى ذلك منهم
وعرف ضعف حلومهم وسخافة عقولهم اظهر ديانته ودعا الى نبوته
وسمى من اتبعه بربطى لما كان من بَرْبَط ثم احالوه بالسنتهم وردّوه
الى لغاتهم فقالوا برغواطي ۞ قال فضل بن مفضّل وقال سعيد بن
هشام المصمودى في وقعة بهت قصيدة طويلة اخترنا منها ابياتا

قفى قبل التفرق فاخبرينا وقولى واخبرى خبرا مبينا
قوم برابر خسروا وضلوا وخابوا لا سُقوا ماء معينا
الايم امة هلكت وضلت وزاغت عن سبيل المسلمينا
يقولون النبى ابو غفير باخزى الله امّ الكاذبينا
الم تسمع ولم تر يوم بهت على اثار خيلهم رنينا
رنين الباكيات فبين ثكلى وعاوية ومسقطة جنينا
سيعلم قوم تامسنى اذاما اتوا يوم النشور مهيمنينا
هنالك يونس وبنو بنيه يقودون البرابر مهطعينا
أذا ورباورى زمّت عليه جهنمُ فايد المستكبرينا
فليس اليوم ردّتكم ولكن ليالى كنتمُ متميسرينا

هذا البيت يصدّق قول زمور البرغواطى ان طريفا كان من اصحاب
ميسرة ويشهد له واما هذا الضلال الذى شرع لهم فانهم
يقدمون مع الاقرار بالنبيين الاقرار بنبوة صالح بن طريف ونبوة
من تولى الامر بعده من ولده وان الكلام الذى الف لهم وحى من
الله تعالى لا يشكّون فيه تعالى الله عن ذلك وصوم رجب واكل شهر
رمضان وخمس صلوات في اليوم وخمس صلوات في الليلة والتضحية

في اليوم الحادى عشر من المحرم وفي الوضوء غسل السرة والخاصرتين ثم الاستنجاء ثم المضمضة وغسل الوجه ومسح العنق والقفاء وغسل الذراعين من المنكبين ومسح الراس ثلاث مرات ومسح الاذنين كذلك ثم غسل الرجلين من الركبتين وبعض صلواتهم ايماء بلا سجود وبعضها على كيفية صلاة المسلمين وهم يسجدون ثلاث سجدات متصلة ويرفعون جباههم وايديهم عن الارض مقدار نصف شبر واحرامهم ان يضع احدى يديه على الاخرى ويقول ابسمن ياكش تفسيره بسم الله مقر ياكوش تفسيره الكبير الله ويضعون ايديهم مبسوطة في الارض طول ما يتشهدون ويفرقون نصف قرءانهم في وقوفهم ونصفه في ركوعهم ويقولون في تسليمهم بالبربرية الله فوقنا لم يغب عنه شيء في الارض ولا في السماء ثم يقول مقر ياكش خمسا وعشرين مرة اجن ياكش مثل ذلك ومعناه الواحد الله وزدام ياكش مثل ذلك ومعناه لا احد مثل الله وهم يجمعون يوم الخميس ضحا وصيام يوم من كل جمعة فرض من فروضهم ويصوم الجمعة الاخرى التى تليه ابدا ويأخذون العشر في الزكاة من جميع الحبوب ولا يأخذون من المسلمين شيئا ويتزوج من النساء ما استطاع على مباعلتهن والانفاق عليهن بلا حد عدد وان لا يتزوج من بنات عمه الا ثلاثة جدود ولا يتسرون ولا ينكحن للمسلمين ولا ينكحون بيهم ويطلقون ويراجعون ما احبوا ويقتل السارق بالاقرار او بالبينة ويرجم في الزناء عندهم وينفى الكاذب ويسمونه المغيّر والدية عندهم مائة من البقر وراس كل حيوان عليهم حرام والحوت لايوكل الا ان يذكّى والبيض عندهم حرام والدجاج مكروهة الا ان يضطر عليها وليس عندهم اذان ولا اقامة وهم يكتفون في معرفة الاوقات بزقاء الديوك ولذلك

حرموها وكان يبصف في ايديهم فيلعفونه تبركا به ويحملون بصافه الى مرضاهم يستشفعون به وصارت برغواطة اعلم الناس بالنجوم واحذفهم بالفضاء بها وكانوا اجمل الناس رجالا ونساء واشدهم ايدا كانت الجارية البكر منهن تثب ثلاث حمر مصطفة ولا يمس ثوبها شيئا من الحمر ولا تغدر على ذلك ثيب ۞ وفرءانهم الذى وضع لهم صالح بن طريف ثمانون سورة اكثرها منسوبة الى اسماء النبيين من لدن ادم اولها سورة ايوب واخرها سورة يونس وفيها سورة فرعون وسورة فارون وسورة هامان وسورة ياجوج وماجوج وسورة الدجّال وسورة العجل وسورة هاروت وماروت وسورة طالوت وسورة نمرود وما اشبه هذه من الافاصيص وسورة الديك وسورة الجل وسورة الجراد وسورة الجمل وسورة الحنش وكان يمشى على ثمانية ارجل وفيها سورة غرايب الدنيا وهناك العلم العظيم عندهم ۞ ذكر كلمات مترجمة من اول سورة ايوب وفي استفتاح كتابهم ۞ بسم الله الذى ارسل به الله كتابه الى الناس هو الذى بين لهم به اخباره فالوا علم ابليس الفضية اى الله ليس يطيف ابليس كما يعلم الله سل اى شيء يغلب الالسن في الافولة ليس يغلب الالسن في الافولة الا الله بفضائه باللسان الذى ارسل الله بالحف الى الناس استفام الحف انظر محمدا وعبارة ذلك بلسانهم ايمنى مامت بمامت محمد ۞ كان حين عاش استفام الناس كلهم الذين محبوه حتى مات بفسد الناس كذب من يفول ان الحف يستفيم وليس ثم رسول الله وهي سورة طويلة ۞ فال زمور ان بنى صالح بن طريف يركبون وفت اخبارة في ثلاثة الاف ومايتى فارس وان فبايل برغواطة الذين يدينون لهم وهم على ملتهم جراوة وزواغة والبرانس وبنو ابى ناصر

ومنجصة وبنو ابى نوح وبنو واغمر ومطغرة وبنـــو بورغ وبنو دمّـر ومطماطة وبنو وزكسيفت وعددهم ينتهى ازيد من عشـــرة الاب فارس وممــن يدين لهم من المسلمين وينضاب الى مملكتهم زنانـة الجبل وبنو يليت ونمالتة وبنو واوسيفت وبنـــو يعرن وبنو ناغيت وبنو النعمان وبنو ابلّوسة وبنو كونة وبنو يسكر واصّادة وركـــانة وايزمين ومنادة وماسينة ورصانة وترارتة ومبلغ عددهم نحو اثنى عشر الب فارس فال زمور وليس فى عسكرهم طبول ولا بنود وعدد زمور من انهار بلادهم الجارية ازيد من ماية نهر اعظمها نهر ماسنات وهو يجرى من الفبلة الى الجوب وبيــن عنصره وموفعـــه فى البحر مسيرة ستة ايام ونهر وانسيفن يفع فى نهر سلة تحـــت الرباط فى البحر المحيط ولم تزل برغواطة فى بلادها معلنة بدينها وبنو صالح ابن طريف ملوكها الى ان فام فيهم الامير تميم اليفرنى وذلك بعد عشرين واربع ماية من الهجرة فغلبهم على بلادهم وسباهم وجلا من بفى منهم واستوطن ديارهم وانفطع امـــرهم وعفـــا اثارهم ولم يبف لضلالتهم بافية ولا من اواصر كفرهم اصرة وتميم هذا كان ذا جد وايثار للعدل وهو الذى فتل احد بنيه لاغتصابه جـــارية من التجار بوادى سلة وجميع بلاد برغواطة اليـوم على ملة الاسلام ۞

۞ الطريف من مدينة فاس الى مدينة الفيروان ۞

وهى اربعون مرحلة نذكر مشهورها اول ما تخرج من فـاس على باب الفتوح من عدوة الاندلس الى مرج ابن هشـــام الى وادى سبـوا وهو على نحو اربعة اميال من فاس عليه فرى كثيرة ثم تسير منه الى موضع يعرب بعفبة البفر الى خندى العول لمكنــاسة وفى فرى

متصلة وعمارات غير منفصلة وانهار كثيرة لازداجة وغيرها الى فلعة جُرماط وكانت معقل ابى منفذ بن موسى بن ابى العافية وكان بها جامع واسواق وحمام وفى الجوب منهـا على عشرة اميال مدينة تسول المعروفة بعين اتخف فاعدة موسى بن ابى العافية وكانت على ثلاثة اجبل وبها جامع واسواق وحمام وعين عذبة بنى عليها موسى فبة تخربها ميسور فايد الشيعى ومن باس الى فلعة جرماط يسكنها اليوم مطغرة مرحلتان وفال محمد مرحلة الى مدينة جراوة ست مراحل وفال محمد ثمان منها اثنتان فى الصحراء فمن جرماط الى فرية وليلى وبها كان يسكن زاوى ابن اخ موسى ابن ابى العافية الى فج تازا لمكناسة الى وادى وارُجّين نهر ملح لمكناسة ثم الى وادى صاع ثم الصحراء الى مدينة جراوة وهى فى سهل من الارض كان عليها سور مبنى بالطوب وداخلها فصبة وحولها ارباض من جميع جهاتها وعيون ملحة وداخلها ابار عذبة وخمس حمامات احدها ينسب الى عمرو بن العاصى وجامع من خمسة بلاطات على عدة حجارة اسسها ابو العيش عيسى بن ادريس بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن حسن بن حسن سنة تسع وخمسين ومايتين وكان لها بابان شرفيان وثالث غربى ورابع جوفى وحواليها بسايط عريضة للزرع والضرع وجبل مما يلوا فى فبليها وفيه حصن بناه الحسن بن ابى العيش حواليه بساتين ومياه تطرد وبينه وبين المدينة اربعة اميال ويتصل بالحصن فى اسعل الجبل شعارى اشبة لا تسلك وحول جراوة عدة فرى لفبايل من البربر مطغرة وبنى يفرن وودانة ويغمر الجبل وبنى راسين وبنى باداسن وبنى وريمش وغيرهم وكان لابى العيش ومن خلفه مدينة تلمسان ايضا وما والاها واسر ابن ابنه الحسن فى الحصن المذكور

البورى بن موسى بن ابى العافية سنة ثمان وثلاثين وثلاثماية وكان قد انتقل الى الحصن من جراوة باهله وماله وولده وفي ذلك يقول بكر بن حماد في شعر طويل

سايل زواغة عن فعال سيوفه ورماحه في العارض المتهلل
وديار نفزة كيف داس حريمها والخيل تمرغ بالوشيج الذبّل
حتى مغيلة بالسيوف مذلّة وسقى جراوة من نقيع الحنظل

ولجراوة مرسى تافرجنيت ومن جراوة الى ترنانة وهي سوق عامرة مرحلة ومنها الى مدينة تلمسان مرحلة يسكنها زناتة وقد تقدم ذكرها الى مدينة تافدة وهي مدينة كبيرة اهلة على نهرين احدها جنة ومنه شربهم وعليه ارحاؤهم ثم الى قصر ابن سنان الازداجي حوله بساتين كثيرة على نهر كدال الى مدينة يلل وهي كبيرة اهلة كثيرة الاشجار يسكنها هوارة وبها مسجد جامع الى مدينة الغزة يسكنها مكناسة وهي مدينة شريفة على نهر شلب كثيرة البساتين يسكنها هوارة وبها مسجد جامع ومنها الى مدينة تاهرت وقد مر ذكرها ثلاث مراحل الى حصن تامغيلت مرحلتان وهي مبنى بالطوب على نهر له ربض وسوق يسكنه بنو دمر من زناتة الى ايزمامة حصن له سوق وفيه فنادق تسكنه لواتة ونفزاوة الى مدينة هاز على نهر شنتوى وهي خالية اجلى اهلها زيرى بن مناد الصنهاجي الى بورة نهر جار يسكن حوله بنو يرناتن وهم كانوا اصحاب هاز وبورة كثيرة العقارب وبها سويقة ومنها الى حصن مورية وبقرب هذا الحصن قصر من بنيان الاول بالصخر يعرف بقصر العطش حوله ماء مالح ومدينة عظيمة للاول ايضا خالية مبنية بالصخر يعرف بالجليل تسمى مدينة الرمانة تنفجر تحتها عيون ثرة طيبة تسيل الى المدينة المسيلة ،مدينة للاول

ايضا خالية تسمى بالبربرية تاورست تعسيرة الحمراء وهي مبنية بالصخر على نهر عذب ومن حصن موزية الى مدينة المسيلة وقد تقدم ذكرها ومنها الى مدينة ءادنة وهي خالية اخربها على بن حمدون المعروف بابن الاندلسى في سنة اربع وعشرين وثلاثماية في رجوع ميسور الفتى من المغرب وبلد ءادنة بلد كثير الانهار والعيون العذبة هناك عين الكتان عين عذبة في مفازة عليها اربع نخلات بينها وبين المسيلة مرحلة وبشرقيها وادى مغرة عليه سبع قرى منها قرية يكسم وزيتها اطيب الزيوت وبين عين الكتان وادنة نهر سهر ونهر النساء ونهر ابى طويل وعين الغزال وبين نهر سهر ونهر النساء ثلاثة اميال وسمى بذلك لان هوارة اغاروا على نساء ادنة وذهبوا بهن فادركهم اهل ادنة واستنقذوا النساء هناك والغنيمة وقتلوا جماعة من هوارة ومن ادنة الى مدينة طبنة مرحلتان وقد تقدم ذكر مدينة طبنة وحواليها بنو زنداج ومنها الى نهر الغابة ثم تمشى ثلاث مراحل في مساكن العرب وهوارة ومكناسة وكبينة وورفلة يطل عليها وعلى ما والاها جبل اوراس وهو مسيرة سبعة ايام وفيه قلاع كثيرة يسكنها قبايل هوارة ومكناسة وهم على راى الخوارج الاباضية ومن هذا الجبل قام ابو يزيد مخلد بن كيداد النفزى الزناتى على ابى القاسم بن عبيد الله وفي هذا الجبل كان مستقر الكاهنة الى مدينة باغاية وهي حصن صخر قديم حوله ربض كبير من ثلاث نواح وليس فيما يلى الناحية الغربية ربض انما يتصل بها بساتين ونهر وفي ارباضها فنادقها وحماماتها واسواقها وجامعها داخل الحصن وهي في بساط من الارض عريض كثير المياه وجبل اوراس مطل عليه ويسكن فحص هذه المدينة قبايل مزاتة وضريسة وكلهم اباضية وهم يظعنون في زمن

الشتاء الى الرمال حيث لا مطر ولا ثلج خوفا على نتاج ابلهم والى
مدينة باغاية لجا البربر والروم وبهـــا تحصنوا من عقبة بن نافع
القرشي فدارت بينهم حروب عظيمة وكانت الدبرة فيها على اهل
باغاية فهزمهم عقبة بن نافـع وقتلهم قتالا ذريعا ولجا فلهم الى
الحصن وغنم منهم خيلا لم يروا في مغاربهم اصلب ولا اسرع منها
من نتاج خيل اوراس فرحل عنهم عقبة ولم يقم عليهم كراهة
ان يشتغل بهم عن غيرهم واهلهـــا كلهم اليوم على راى الاباضيـة
وكيل الطعام بباغاية بالويبة وهي اربعة وستون مدا بمد النبى صلى
الله عليه وســلم وهو قفيز ونصف قفيز قرطبى وقفيز الزيت قروى
وهو خمس ربع قرطبى ورطل اللحم عندهم عشرون رطلا فلفلية ومن
باغاية الى مدينة مجانة وهي كبيرة عليها سور طوب وبها جامــع
وحمامات ومعادن كثيرة منها معدن فضة للواتة يسمى الوريطسى
وتعرف بمجانة المعادن ولها قلعة مبنية بالحجر فيها ثلاثماية وستـون
جبا قد تقدم ذكرها وهذه المدينة للعرب وحولها لواتة وهذه
القلعة تعرف بقلعة بشر بن ارطاة افتتحها عنوة بعثه اليهـا موسى
ابن نصير وبعث خمس غنيمتها اليه وبين باغاية ومجـــانة فندق
مسكيانة ووادى ملاّن وهو واد صعب كثير الدهس وعر المخايض
وتسير من مجانة الى مرماجنة وهي مدينة لطيفة بها جامع وفندق
وسوق وهي في بساط مديد وهــذه طريق الصيف فاما طريـــق
الشتاء فتاخذ من مسكيانة الى مدينة تبسّـــا لان وادى ملاق
يتسع من سلوك تلك الطريق ومدينة تبسا مدينة كبيرة كثيرة
الفواكه اولية مبنية بالصخر الجليل اخرب بعض سورها ابـو يزيد
مخلد بن كيداد وهي على نهر كبير كثير الفواكه والاشجار لاسيما
الجوز فان المثل يضرب بجلالته هناك وبكبره وطيبه وفيهـا افباء

يدخلها الرفاق بدوابهم في زمن الثلج والشتاء يسع القبو الواحد الفي دابة واكثر ومنها الى مدينة سبيبة ازلية مبنية بالصخر لها جامع وحمامات تطرد فيها المياه العذبة تطحن عليهـا الارحي وهي كثيرة البساتين ويجود في ارضها الزعفران وحواليها جبال كثيرة يسكنها من العرب قوم يعرفون ببني المغلس وبني الكسلان وحولهم قبايل من البربر كثيرة من هوارة ومرنيسة وفي الطريق الى سبيبة مرصد يعرف بعين التينة وعين يعرف بعين اربان مـاء يجرى من فني للاول وبشرقي هذا العين جبل منيف محدد فيه شـف وفي ذلك الشف رجل مذبوح معروف هنالك قبل فتوح افريقية لم يحل منه قليل ولا كثير ولا نال منه سبع ولا دابة ويقال انه من الحواريين وقد تقدم ذكره ومن مدينة سبيبة الى قريـة الجهنيين كبيرة اهلة كثيرة الفنادق والحوانيت ولها اشجار وفواكه بينهـا وبين القيروان مرحلة وعليها جبل يسمى ممطور لان معوية بن حديج نزله فاصابه مطر فقال جبلنا ممطور ومنها الى منزل يقال له الهري يجاورة مرصد ومنه الى كدية الشعير الى مدينة القيروان وقـال محمد بن يوسف من مدينة سبيبة الى ساقية ممس قرية عـامرة اهلة بها مسجد وفندق ثـم قرية المستعين كبيرة اهـلة بها ماجلان وبير طيبة عمقها ثلاثون قامة ثـم قصر الخير فيه مـاء شريب ثـم قصر الزرادية ويعرف بالخطارة عامر اهل ثـم مدينة القيروان

۞ الطريق من مدينة فاس الى سجلماسة ۞

من مدينة فاس الى مدينة صفروى مرحلة وهي مدينة مسورة ذات

انهار واشجار ومنها الى الاصنام مرحلة ومنها الى موضع يقال له المزى مرحلة وهو بلد مكلاتة ومنها الى تاسغمرت مرحلة وهي قرية على نهر ومنها الى موضع يقال له امغاك مرحلة كبيرة نحـــو الستين ميلا ومنها تدخل في عمل سجلماسة بين انهار وثمار ثلاث مراحـل الى مدينة سجلماسة ۞ وطريق اخر من سجلماسة الى مدينة فاس ذكرها محمد بن يوسف ۞ من مدينة سجلماسة الى موضـع يقال له ارفود جبل موت لا عمارة حوله فيه حمة مرحلة ومنـه الى موضع يقال له الاحساء رمل يحفر فيه فينبعث المـــاء على ذراع ونحوه في بلد زناتة مرحلة ومنه الى حصن بزارة عامر اهل به سوق وجامع وله جدول ماء وهو بلد يحسن فيه الغنم ويقال ان اصول اغنامهم من فيس من ارض فارس وصوفها من اجـــود الاصواف ويعمل منه بسجلماسة ثياب يبلغ الثوب منها ازيد من عشرين مثقالا مرحـلة ومنه الى جبل درن المعروف بسنجفوا وقد ذكرناه في عدة مواضـع من هذا الكتاب وهو كثير الصنوبر والارز والبلوط مرحلة ومنـــه الى مطماطة امسكور بلد كبير على نهر ملوية هو منه في قبليه وهو بلد كثير الزرع سقي كله من نهر ملوية كثير البقر والغنم وبها جامع وسوق مرحلة ومنه الى موضع يقال له سوق لميس فيه سوق ومسجد وحواليه مياه سائحة عامر اهل كـــان لمدين بن موسى ابن ابي العافية مرحلة ومنه الى مغيلة ابن تجامان قرار لقوم من الصفرية له ربض كبير وبنو تجامان على السنة والجماعة ساكنون في ربوة تلاصف ربضهم مرحلة وتسير منهـا في جبـــال شامخة الى مغيلة الغاط حصن كبير له جامع وسوق كثير الانهـــار والثمار معظم شجره التين ومنه يحمل زبيبا الى فاس مرحلتان الى لواتة مدين وقصبة لواتة منيعة لا ترام على نهر سبوا مرحلة الى فاس ۞

۞ ذكر سجلماسة ۞

ومدينة سجلماسة بنيت سنة اربعين ومائة وبعمارتها خلت مدينة ترغه وبينهما يومان وبعمارتها خلت زيز ايضا ومدينة سجلماسة مدينة سهلية ارضها سبخة حولها ارباض كثيرة وفيها دور رفيعة ومبان سرية ولها بساتين كثيرة وسورها اسفله مبنى بالحجارة واعلاه بالطوب بناه اليسع ابو منصور بن ابى القاسم من ماله لم يشركه فى الانفاق عليه احد انفق فيه الف مدى طعام وله اثنا عشر بابا الثمانية منها حديد وكان بنا اليسع له سنة تسع وتسعين ومائة وارتحل اليها سنة مائتين وقسمها على القبايل على ما هى عليه اليوم وهم يلتزمون النقاب فاذا حسر احدهم عن وجهه لم يميزه احد من اهله وهى على نهرين عنصرها من موضع يقال له اجلف تمده عيون كثيرة فاذا قرب من سجلماسة تشعب نهرين يسلك شرقيها وغربيها وجامعها متقن البنا بناه اليسع فاجاد وحماماتها ردية البنا غير محكمة العمل وماؤها زعاق وكذلك جميع ما ينبط من الماء بسجلماسة وشرب زروعهم من النهر فى حياض كحياض البساتين وهى كثيرة النخل والاعناب وجميع الفواكه وزبيب عنبها المعرش الذى لا تناله الشمس لايزبب الا فى الظل ويعرفونه بالظلى وما اصابته الشمس منه زبب فى الشمس ومدينة سجلماسة فى اول الصحراء لا يعرف فى غربيها ولا قبليها عمران وليس بسجلماسة ذباب ولا يتجذم من اهلها احد واذا دخلها مجذم توقفت عنه علته واهل سجلماسة يسمنون الكلاب وياكلونها كما يصنع اهل مدينة قفصة وقسطيلية وياكلون الزرع اذا اخرج شطاه وهو عندهم مستطرب والمجذمون عندهم هم الكنّافون والبنّاون

عندهم يهود لا يتجاوزهم هذه الصناعة ومن مدينة سجلماسة تدخل
الى بلاد السودان الى غانة وبينهـــا وبين مدينة غـــانة مسيرة
شهرين في صحراء غير عامرة الا بقوم ظاعنين ولا تطمئن بهم منزل
وهم بنو مسّوفة من صنهاجة ليس لهم مدينة ياوون اليها الا وادى
درعة وبين سجلماسة ووادى درعـــة مسيرة خمسة ايام وملك بنـو
مدرار سجلماسة ماية وستين سنة وكان فيه ابو القاسم سمجوا بن
واسول المكناسي ابو اليسع المذكور وجد مدرار لقي بافريقية عكرمة
مولى ابن عباس وسمع منه وكان صاحب ماشية وكثيرا ما ينتجع
موضع سجلماسة فاجتمع اليه قوم من الصفرية فلما بلغوا اربعين
رجلا قدموا على انفسهم عيـــسى بن مزيد الاسود وولوه امرهم
فشرعوا في بنيان سجلماسة وذلك سنة اربع ومائة وذكر اخرون ان
مدرارا كان حدادا من ربضية الاندلس خرج عند وقعة الربض
فنزل منزلا بقرب سجلماسة وموضع سجلماسة اذ ذاك براح يجتمـــع
فيه البربر وقتا ما من السنة يتسوقون فقرب فكـــان مدرار يحضر
سوقهم بما يعده من الات الحديد ثم ابتنى بهـــا خيمة وسكنها
وسكن البربر حوله فكان ذلك اصل عمارتها ثم تمدنت والاول اصح
في عمارتها واما مدرار فلا شك فيه انه كـــان حدادا لان ولده
القايمين بامر سجلماسة قد هجوا بذلك فاول من وليهـــا عيسى بن
مزيد ثم انكر اصحابه الصفرية عليه اشياء فقال ابو الخطاب يوما
لاصحابه في مجلس عيسى السودان كلهم سراق حتى هذا واشار الى
عيسى فاخذوه وشدوه وثاقا الى شجرة في راس جبل وتركوه كذلك
حتى قتله البعوض فسمي ذلك الجبل جبل عيسى الى اليوم ووليهم
خمسة عشر عاما ثـــم ولوا ابا القـــاسم سمغو بن مزلان بن نزول
المكناسي فلم يزل واليا عليهم الى ان مات فجاءة في اخر جمادة من

صلاة العشاء سنة ثمان وستين فكانت ولايته ثلاث عشرة سنة
ووليها ابنه ابو الوزير الياس بن ابي القاسم الى ان قام عليه اخوه
ابو المنتصر اليسع فخلعه سنة اربع وسبعين وماية فولي ابو المنتصر
فكان جبارا عنيدا فظا غليظا فظفر بمن عانده من البربر
وذللهم واخذ خمس معادن درعة واظهر الصفرية وبنا سور سجلماسة
على ما تقدم وتوفي سنة ثمان ومايتين وولي ابنه مدرار المنتصر بن
اليسع ومدرار لقب فلم يزل واليا الى ان اختلف الامر بين ولديه
ميمون المعروف بابن اروى بنت عبد الرحمن بن رستم وابنه ميمون
ايضا المعروف بابن تقية فتنازعا الامر بينهما وتقاتلا ثلاثة اعوام
ومال مدرار مع ابنه ميمون ابن الرستمية فاخرج ميمون بن
تقية من سجلماسة وولي ابن الرستمية وخلع اباه ثم قام عليه اهل
سجلماسة فخلعوه وارادوا تقديم ميمون بن تقية فابى ان يتامر على
ابيه فاعادوا اباه مدرارا ثم انس اهل سجلماسة انه قد استدعى
ابنه ابن الرستمية فيمن اطاعه من درعة ليوليه فحاصروا مدرارا
وخلعوه وقدموا ابنه ابن تقية وهو المعروف بالامير فلم يزل عليهم
واليا الى ان مات سنة ثلاث وستين ومايتين وفي امرته مات
مدرار ابوه مخلوعا ووليها محمد بن ميمون الامير الى ان توفي في
صفر سنة سبعين فوليها اليسع بن المنتصر بن ابي القاسم الى ان
فرعنها لما تغلب عليها ابو عبد الله الشيعي في ذي الحجة سنة سبع
وتسعين ومايتين وولي عليها الشيعي ابراهيم بن غالب المزاتي فقتله
اهل سجلماسة ومن كان معه من رجال الشيعي بعد خمسين يوما
ووليها واسول وهو الفتح ابن الامير ميمون وذلك في ربيع الاول سنة
ثمان وتسعين وتوفي في رجب سنة ثلاث ماية فوليها اخوه احمد
الى ، حاصره فيها مصالة بن حبوس وافتتحها عنوة فقتله وذلك

في المحرم سنة تسع وثلاثماية وولّى مصالة امرها المعتز بن محمد ابن سارو بن مدرار الى ان توفي سنة احدى وعشرين وثلاث ماية ووليها ابنه محمد بن المعتز الى ان توفي سنة احدى وثلاثين وثلاث ماية ووليها ابنه ابو المنتصر سمغوا بن محمد وهو ابن ثلاث عشرة سنة تدبر امره جدته فمكث كذلك شهرين وقام عليه ابن عمه محمد بن الفتح بن الامير فحاربه وتغلب عليه واخرجه وتملك سجلماسة وكان محمد بن الفتح سنيا على مذهب المالكية يحسن السيرة ويظهر العدل الا انه تسمى بامير المومنين سنة اثنتين واربعين وتلقب بالشاكر لله وضربت بذلك الدراهم والدنانير فمكث كذلك الى ان قربت منه عساكر ابي تميم معد مع فايده جوهر الكاتب فخرج عن سجلماسة باهله وماله وولده وخاصته وصار بتاجدالت حصن منيع على اثنى عشر ميلا من سجلماسة ودخل جوهر سجلماسة وملكها وذلك سنة سبع واربعين وثلاث ماية وخرج محمد من الحصن في نفر يسير من اصحابه الى سجلماسة ليتعرف الاخبار مستترا فعرفه قوم من مطغرة في بعض الطريق فاخذوه واتوا به الى جوهر في رجب من ذلك العام ۞ ويزرع بارض سجلماسة عاما ويحصد من تلك الزريعة ثلاثة اعوام لانه بلد معرط الحر شديد القيظ فاذا يبس زرعهم تناثر عند الحصاد وارضهم متشققة فيرتفع ما تناثر منه في تلك الشقوق فاذا كان في العام الثاني حرث بلا بذر وكذلك في الثالث وقمحهم رقيق صيني يسع مد النبي صلى الله عليه وسلم خمسة وسبعين الف حبة ومديهم اثنا عشر قنقلا والقنقل ثماني زلّابات والزلابة ثمانية امداد بمد النبي ۞ ومن الغرايب عندهم ان الذهب جزاب عدد بلا وزن والكرات يتبايعونه وزنا لا عددا ۞ ومن سجلماسة الى مدينة القيروان

ست واربعون مرحلة وقال محمد بن يوسف ثلاث وخمسون مرحلة فمن سجلماسة الى فرار الامير لبنى مدرار الى حصن ابن مدرار الى جبل اكسرايغ الى مدينة امسكور لمطماطة وهم على مداراة لصاحب سجلماسة وقد تقدم ذكرها وبينها وبين سجلماسة خمس مراحل ومنها الى مدينة جراوة ست مراحل في عامر وغامر منها موضع يعرف بالصدور ومنها مخرج الطريق الى مليلة وهو موضع معروف قريب من العمارة على ماء طيب ثم من جراوة الى القيروان كما تقدم ۞ واما الطريق من سجلماسة الى مدينة مليلة فمن سجلماسة الى الصدور كما ذكرنا ثم الى اجرسيف قرية عامرة على نهر ملوية الى جرواو موضع كثير ما ينزله بالاخصاص ويروى (بياض مقداره ثلاث كلمات) سيعمرونه الى فلوع جارة وهي مدينة عامرة في جبل على ماء ملح وقد تقدم ذكرها الى مدينة مليلة وذلك خمس عشرة مرحلة وقد تقدم ذكر مليلة ۞

۞ الطريق من سجلماسة الى اغمات ۞

من سجلماسة الى تيكمامين يومان وفي تيكمامين معدن للنحاس ومن تيكمامين الى وادي درعة يومان وعلى وادي درعة شجر كثير وثمار عظيم وهناك شجر التاكوت يشبه شجر الطرفاء وبهذا التاكوت يدبغ الجلد الغدامسي وعلى وادي درعة سوق في كل يوم من ايام الجمعة في مواضع مختلفة منه معلومة وربما كان عليه في اليوم الواحد سوقان وذلك لبعد مسافته وكثرة الناس عليه طول عمارته المتصلة سبعة ايام ومن وادي درعة الى موضع يقال له اذامست ومنه الى وززازات يومان وهو بلد هسكورة وتمشي في بلد هسكورة اربعة ايام

الى منازل فبيل يقال له هزرجة وهناك جبل يقال له جبل هزرجة فيه اجناس من الياقوت المتناهي في الجودة وحسن اللون يتكون على حجارة الجبل الا انه خشن ضرس كالسبن لا ياخذه العمل ولا ينفعل للسنادج وهو كثير موجود ثمة ومن هناك مسافة يوم الى اغمات ۞

۞ ذكر مدينة اغمات ۞

وهي مدينتان سهليتان احدها تسمى اغمات ايلان والاخرى اغمات وريكة وبها مسكن رئيسهم وبها ينزل التجار والغرباء واغمات ايلان لا يسكنها غريب وبينهما ثمانية اميال ولها نهر لطيف جريته من القبلة الى الجوف ماؤه زعاق يقال له تافيروت وحولها بساتين ونخل كثير وهو بلد واسع يسكنه قبايل مصمودة في قصور واجشار وهو راخي الاسعار كثير الخير يحمل اليه من مدينة نفيس تفاح جليل يباع منه وقر بغل بنصف درهم الا انه وخم الهواء الوان سكانها مصفرة كثير العقارب القتالة التي لا يداوي سليمها وبها اسواق جامعة بسوق اغمات وريكة يقوم يوم الاحد بضروب السلع واصناف المتاجر يذبح فيها اكثر من ماية ثور والف شاة وينفد في ذلك اليوم جميع ذلك وكانت امرة اهل اغمات دولا بينهم يتولى الرجل سنة ثم يديلونه باخر منهم عن تراض واتفاق كذلك ذكر محمد بن يوسف القيرواني وساحل اغمات رباط قوز على البحر المحيط وفيه تنزل السفن من جميع البلاد ولا تخرج منه السفن صادرة الا في زمان الامطار وتكدر الهواء واغبرار الجو فحينئذ تصعدن لهم الرياح البرية فان تمادى ذلك لهم سلموا وان اصحى

الجو وصفا الهواء هبت لهم الرياح البحرية من الغرب فيهيج عليهم البحر وفذبهم في البرارى فقلّ ما يسلمون ۞

۞ والطريق من مدينة اغمات الى رباط فوز ۞

من وريكة الى نفيس خمسة وثلاثون ميلا ومن نفيس الى شفشاون ثلاثون ميلا ومنها الى مرامر ثلاثون ميلا ومنها الى رباط فوز خمسة وعشرون ميلا وذلك عشرون ومائة ميل ۞

۞ الطريق من مدينة اغمات الى مدينة فاس ۞

من اغمات الى موضع يعرف بابواب عبد الخالق بن سى وهي احقاف رمل مرحلة ومنها الى حصن ابيج فسيح يعرف بحصن نزار ونزار بالبربرية الغربال شبه به لانه مدور وهو موضع محبوب مرحلة ومنه الى وادى وانسيفن واد كبير انبعاثه من موضع يقال له حدود بين بلد زواغة ومدغرة ويقع في البحر المحيط ويعبر على الزفان المنفوخة مرحلة ومنها الى حصن يماللوا مديد واسع مرحلة ومنه الى موضع يعرف ببنى وارث وهو كثير شجر العربيون وهي شجرة صغيرة شوكاء لها عساليج يسيل منها لبن مسهل مرحلة ومنه الى بلد زواغة مرحلة ومنها الى حصن داى وهو في وسط غيضة كبيرة من اجناس الشجر وله سوق حافلة يجتمع فيها ركان فاس والبصرة وسجلماسة بضروب الامتعة والمتاجر مرحلة ومنه الى وادى درنة نهر كبير يقع في نهر وانسيفن المذكور مرحلة و منه الى مغيلة وكان مقدمهم موسى بن جليد وكان شديد الايد يمسك

بذنب الفرس الجواد ويهمزه بارسه فلا يكون له حراك مرحلة ومنه الى موضع يعرف باوزقور كان يسكنه قوم يعرفون ببنى موسى من ربضية الاندلس فاستفسدوا الى من جاورهم واساووا عشرتهم فحاربوهم فغلب الاندلسيون وقتل منهم كثير وافترق باقيهم ببلاد اغمات وبقى منهم باوزقور نفر يسير بالامان فهم بها الى اليوم مرحلة ومنها الى سوق فنكور سوق عامرة حافلة يعمل بها برانس سود حصينة لا ينفذها الماء مرحلة ومنها الى ولهاصة مرحلة الى كزناية مرحلة الى مدينة ورزيغة مرحلة وهى اهلة كثيرة المياه والثمار والخير يباع فيها العب حبة اجاص بربع درهم فتل ميسور الفتى اهلها وسبى نساءها بعد زواله عن مدينة فاس سنة اربع وعشرين وثلاث مائة ومن ورزيغة الى مدينة اغيغى ومعنى اغيغى حجارة يابسة لانها مبنية بالحجر بغير طين وهى اليوم خالية وكان القوم الذين بنوها وسكنوها من ربضية الاندلس ايضا اجلاهم البربر عنها الى وليلى فهم بها بقية يسيرة مرحلة ومنها الى ماسينه بلد كبير ويحسن فيه القطن ويجود وفيه سوق لطيفة ومنها الى فاس مرحلة فذلك ثمانية عشر مرحلة ۞

۞ الطريق من مدينة درعة الى سجلماسة ۞

مدينة درعة يقال لها تيومتين وهى قاعدة درعة وقد تقدم ذكر وادى درعة وان منبعثه من جبل درن وهذه المدينة اهلة عامرة بها جامع واسواق جامعة ومتاجر رابحة وهى فى شرب من الارض والنهر منها بقبليها وجريته من الشرق الى الغرب ويهبط لها من ربوة حمراء وكان صاحبها على بن احمد بن ادريس بن يحيى

ابن ادريس فمن مدينة تيومتنين الى تاجّانت مرحلة وهو موضع ينبت شجرا يسمونه تاجانت وهو شجر يعظـــم ورقه هَدْبٌ كورق الطرفاء ومنه انية بجلماسة ودرعة وما والاها ومن هناك الى اساس تيسّن مرحلة وتفسيره المــــاء المــــلح ومنه الى تنوداذن مرحلة وتفسيره بير الايايل وهناك معدن نحاس ومنها الى اجروا مرحلة وهذا كله بلد سرطة فبيل من صنهـــاجة ومنـــه الى تونذن ان وجلّيد تفسيره ابار الامير مرحلة ومنه الى امان يسيدان تفسيره ماء النعام ومنه الى اجران ووشان اى فدّان الذيب الى امرغاد مرحـــلة وامرغاد اخر بساتين بجلماسة ومنها الى بجلماسة ستة اميال ۞

۞ الطريف من مدينة تامدلت الى مدينة اودغست ۞

من تامَدلت الى بير الجماليين مرحلة وهذه البير عمقها اربع فامات من انباط عبد الرحمن بن حبيب ومنها الى شعب ضيف لا تسير فيه الابل الا متتابعة مرحلة ثم تسير في جبل يسمى ازور ثلاثة ايام وهو مجر تحفى فيه الابل تنبت ام غيلان ومن خرج فيه عن الطريف اصاب زبر حديد مثقبة لا تذيبه النار وهذا الجبل كثير الثعابين طوله مسيرة عشرة ايام من اول طريف بجلماسة الى جانب البحر المحيط ويقال ان جبل ازور متصل بجبل نفوسة من جبال اطرابلس واحسبه جبل درن المذكور فبل هذا الذى ينبعث من تحته وادى درعة فتسير في هذا الجبــل ثلاثة ايام الى ماء يسمى تندفس ابار يحتفرها المسافرون فلا تلبث ان تنهــار وتندفن ثــم تسير منه ثلاثة ايام الى بير كبير يقال لها وين هَيْلون ثم تمشى ثلاثة ايام في ارض سواء صحراء ربما وجد فيها الماء على بعد تحت

الرمل من بقية الامطار الى ماء نزر يقال له تازق وتفسيره البيت ثم تسير منه الى بير انبطها عبد الرحمن بن حبيب واحتفرهـا في حجر ادعج صلب طولها اربع قامات مرحلة ثـم تسير منها الى بير يقال لها ويطونان وهي كبيرة لاتنزف ماؤها زعاق يسهل شاربيه من الناس والانعام وهي من عمل عبد الرحمن بن حبيب ايضـا طولها ثلاث قامات ثلاث مراحل ثم تمشي منه اربع مراحـل الى موضع يقال له اوكازنت ارض زرفاء ينبط اهل الرفاق فيها الماء على ذراعين وثلاث ثم تمشي في مجابة جبال رمل معترضة لا ماء فيهـا وهـو اصعب موضع بطريق اودغست اربعة ايام الى موضـع يقـال له وانزمين ابار قريبـة الرشاء فيها العذب والشريب وعليـه جبـل طويل صعب كثير الوحوش وبهذا الماء يجتمع جميع طرق بـلاد السودان وهـو موضـع مخوف تغير فيه لمطة وجزولة على الرفاق ويتخذونه مرصدا لهـم لعلمهم بافضاء الطرق اليه وحاجة الناس الى الماء فيه ثم تمشي منه في بلد واران خمسة ايام مجابة في كثبان رمل الى بير عظيمة في حد بني وارث قبيل من صنهاجة على تلك البير شجر يقال له السفنى وهو شجـر الاهليلج الا انه لا يثمر ثـم تسير منه يومين الى ماء يقال له اغرب ابار ملحـة تردهـا اذواد لصنهاجة فتصلح عليه وتمج به وكل ماء ملح فموافق للابل ثـم تسير منه ثلاثة ايام الى موضع يقال له افر تندى تفسيره مجتمـع الماء فيه اصناف كثيرة من الشجر وفيه الحنا والحبق ثم تسير منه يوما في جبل يقال له ازجونان يقطع فيه السودان ثـم تمشي يوما في رمال شجرة الى ماء يقال له بير واران ماؤها زعاق ثـم تمشي في ارض لصنهاجه كثير الماء من الابار ثلاثة ايام ثم تسير منه الى شرف عال مشرف على اودغست فيه طير كثير شبه الحمام واليمام الا انه

اصغر روسا واغلظ منافر وبيه اشجار الصمغ الذى يجلب الى الاندلس يصمغ بها الديباج مرحلة ثم الى اودغست وهى مدينة كبيرة اهلة رملية يطل عليها جبل كبير موت لا ينبت شئيا بها جامع ومساجد كثيرة اهلة فى جميعها المعلمون للقرءان وحولها بساتين النخل ويزدرع فيها القمح بالفوس ويسقى بالدلاء ياكله ملوكهم واهل اليسار منهم وساير اهلها ياكلون الذرة والمقاثى تجود عندهم وبها شجيرات تين يسيرة ودوالٍ يسيرة ايضا وبها جنانُ حناء لها غلة كبيرة وبها ابار عذبة والغنم والبقر اكثر شيء عندهم يشترى بالمثقال الواحد عشرة اكبش واكثر وعسلها ايضاء كثير ياتيها من بلاد السودان وهم ارباب نعم جزلة واموال جليلة وسوقها عامرة الدهر كله لا يسمع الرجل فيها كلام جليسه لكثرة جمعه وضوضاء اهله وتبايعهم بالتبر وليست عندهم فضة وبها مبان حسنة ومنازل رفيعة وهو بلد الوان اهلها مصفرة وامراضهم الحميات والطحال لا يكاد يخلو من احدى العلتين احد منهم ويجلب اليها القمح والتمر والزبيب من بلاد الاسلام على بعد وسعر القمح عندهم فى اكثر الاوقات القنطار بستة مثاقيل وكذلك التمر والزبيب وسكانها اهل افريقية وبرجانة ونفوسة ولواتة وزناتة ونفزاوة هولاء اكثرهم وبها نبذ من ساير الامصار وبها سودانيات طباخات محسنات تباع الواحدة منهن بماية مثقال واكثر تحسن عمل الاطعمة الطيبة من الجوزينقات والقطايف واصناف الحلوات وغير ذلك وبها جوار حسان الوجوة بيض الالوان منثنيات القدود لا تنكسر لهن نهود لطاف الخصور ضخام الارداف واسعات الاكتاف ضيقة الفروج المستمتع باحداهن كانه يتمتع ببكر ابدا قال محمد ابن يوسف اخبرني ابو بكر احمد بن خلوب الفاسى شيخ من اهل

الحج والخير قال اخبرني ابو رستم النفوسي وكان من تجار اودغست انه راى منهن امراة رافدة على جنبها وكذلك يفعلن في اكثر حالهن اشفاقا من الجلوس على اردافهن وراى ولدها طفلا يلاعبها فيدخل تحت خصرها وينفذ من الجهة الاخرى من غير ان تتجافى له شيئا لعظم ردفها ولطف خصرها والحيوان الذى يعمل منه الدرق حوالى اودغست كثير جدا ويتجهز الى اودغست بالنحاس المصنوع وبثياب مصبغة بالحمراء والزرقة مجنحة ويجلب منها العنبر المخلوق الجيد لقرب البحر المحيط منهم والذهب الابريز الخالص خيوطا مفتولة وذهب اودغست اجود من ذهب اهل الارض واصحه وكان صاحب اودغست في عشر الخمسين وثلاث ماية تين يروتان ابن ويسنو بن نزار رجل من صنهاجة وكان قد دان له ازيد من عشرين ملكا من ملوك السودان كلهم يودى اليه الجزية وكان عمله مسيرة شهرين في مثلها في عمارة يعتد في ماية الف نجيب واستمده تعرس ملك ماسين على ملك اوغام فامده بخمسين الف نجيب فدخلت بلد اوغام وعساكره غافلة فغنمت البلد واحرقته فلما نظر اوغام الى ما حل ببلده هان عليه الموت فرمى بدرقته وثنى رجله عن دابته وجلس عليها فقتلته اصحاب تين يروتان فلما عاين نساء اوغام اليه قتيلا ترديت في الابار وقتلن انفسهن بضروب القتل اسفا عليه وانفة من ان يملكهن البيضان ۞

فاما الطريق من اودغست الى بلد سجلماسة فمن اودغست الى تامدلت على ما ذكرناه ايضا وذلك اربعون مرحلة ومن تامدلت الى سجلماسة على ما ذكرناه قبل هذا احدى عشرة مرحلة فذلك احدى وخمسون مرحلة وبين اودغست ومدينة القيروان ماية مرحلة وعشر مراحل ۞

۞ الطريف من مدينة اغمات الى السوس على مـا ذكره مومن ابن يومر الهوارى ۞

من اغمات وريكة الى مدينة نفيس وهى تعرف بالبلد النفيس كثير الانهار والثمار ليس فى ذلك القطر موضع اطيب منه ولا اجمل نظرا وهى قديمة اولية غزاها عقبة بن نافع صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصر بها الروم ونصارى البربر وكانوا قد اجتمعوا بها لحصانتها وسعتها فلزمهم حتى فتحها وبنا بهـا مسجدا الى اليوم واصابوا فيها غنايم كثيرة وذلك سنة اثنتين وستين وهى اليوم اهلة عامرة بها جامع وحمام واسواق جامعة بينهـا وبين البحر مسيرة يوم يسكنها قبـايل من البربر اكثرهم مصمودة وكان صاحبها حمزة بن جعفر الذى نسب اليه السوق من بنى عبيد الله بن ادريس بن ادريس مرحلة ومن مدينة نفيس الى مدينة افيفن مرحلة وهى مدينة فى بطحاء كثيرة المياه والفواكه ومنها الى مدينة تامرورت مرحلة وهى مدينة لطيفة طيبة ومنها ترقا فى جبل درن وهو جبل معترض فى الصحراء معمور بقبـايل صنهاجة وغيرها وهـو الجبل الذى يقال انه متصل الى المقطم بمصر ومن هذا الجبل ينزل الى بلاد السوس وذكر محمد بن يوسف فى كتابه ان تامرورت هو اول صعود هذا الجبل ويقـال انه اكبر جبال الدنيا وهو يتصل بجبـل اوراس وبجبل نفوسة المجـاور لاطرابلس وفى الحديث ان بالمغرب جبلا يقال له درن يزف يـوم القيامة باهله الى النار كما تزف العروس الى بعلها قال ويمشى فى الجبل الى موضع يقال له الملاحة وفى اعلى الجبل نهر عظيم كبير والجبل كثير الاشجار والشعراء والثمار ومن الجبل الى موضع يعرف باسطوانات

ابى على فى الجبل ايضا وعن يمين هذا الموضع على مسيرة يوم الموضع
المعروف بتازرارت وفيه معدن فضة قديم غزير المادة ومن اسطوانات
ابى على الى قبيل من البربر يعرفون ببنى ماغوس ولهم سوق عامرة
وعن يمين بنى ماغوس قبيــل يقال لهم بنو لمـاس وكلهم روافض
ويعرفون بالبجليين نزل بين ظهرانهم رجل بجلى من اهـل نفطة
قسطيلية قبل دخول ابى عبد الله الشيعى افريقية يقـال له محمد
ابن ورستّد فدعاهم الى سب الصحابة رضوان الله عليهم واحل لهم
المحرمات وزعم ان الربا بيع من البيوع وزادهم فى الاذان بعد اشهد
ان محمدا رسول الله اشهد ان محمدا خير البشر ثم بعد حى على الفلاح
حى على خير العمل آل محمد خير البرية وهم على مذهبه الى اليوم وان
الامامة فى ولد الحسن لا فى ولد الحسين وكان صاحبهم ادريس ابو
القاسم بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن ادريس فان صح الحديث
الذى ذكرنا فان المراد به هولاء والله اعلم ويلى بنى لماس قبيل من
البربر فى جبل وعـر مجوس يعبدون كبشا لا يدخل احد منهم
السـوق الا مستترا ومن بنى ماغوس الى ايجلى قاعدة بلد السوس
ومدينته مرحلة وهى مدينة على نهر كبير كثير الثمر وقصب السكر
ومنهـا يحمل السكر الى جميع بلاد المغرب وعلى هذا الوادى اسواق
كثيرة الى البحر المحيط ويقـال ان الذى جلب الساقية الى مدينة
السوس عبد الرحمن بن مروان اخو محمـد الجعدى وانه هو الذى
عمر وادى السوس الى وادى ماسّت مسيرة يومين عليه قرى كثيرة
وهو ينصب فى البحر المحيط وماست التى اضيف اليها الوادى رباط
مقصود عندهم له موسم عظيم ومجمع جليل وهو ماوى للصالحين
ومن وادى السوس الى مدينة نول ثلاث مراحل فى عمـارة جزولة
ولمطة ومدينة نـول اخر مدن الاسلام وهى فى اول الصحراء ونهرها

دصب في البحر المحيط ومن مدينة نول الى وادى درعـــة ثـلاث مراحل ومدينة ايجلى مدينة كبيرة سهلية بغربيها نهـــر كبير جار من القبلة الى الجوف عليه بساتين كثيرة متصلة ولم يتخذوا عط عليه رحى واذا سئلوا عن المانع لهم من ذلك قالوا كيف يسخر مثل هذا الماء العذب في ادارة الارحاء وهي كثيرة الفواكه والخير وربما يبع حمل التمر بها بدون كراء الدابة من البستان الى السوق وقصب السكر اكثر شيء بها بحمل الرجـــل بربع درهم منه ما بوده ثقله ويعمل بها السكر كثيرا وقنطار سكرها يبتاع بمثقالين واقل ويعمل بها النحاس المسبوك يتجهز به الى بلاد الشرك وبها مسجد جامع واسوان وفنادق والذى افتتحهـــا عقبة بن نافـــع واخرج منها سبيا لم ير مثله حسنا وتماما كانت تباع الجارية الواحدة منهن بالف دينار واكثر ودخلها عبد الرحمن بن حبيب بعد ذلك وبها معسكره الى اليوم وبالسوس زيت الهرجان وشجره يشبه شجر الكمثرى الا انه لا يفوت اليد واغصانه نابتة من اصله لا ساق له وهي شوكاء وثمرها يشبه الاجاص فيجمع ويترك حتى يذبل ثـم يوضع على النار في مقـــل فخار فيستخرج دهنه وطعمه يشبه طعم القمح المقلو وهو جيد محمود الغذا يسخن الكلى ويدر البول وبالسوس عسل يفوق عسل الامصار يلقى النبيذيون على الكيـــل الواحد منه خمسة عشر كيلا من ماء فحينئذ ياتي شرابا وان كان اقل من ذلك بقي حلوا ولا ينحل الا في الماء الشديد الحرارة ولونه لون الرماد وتبايع اهل سوقه بالحلى المكسورة انقار الفضة والدرهم المسكوك عندهم قليل ومثاقيلهم تعرف بالفزديرية لان رجلا تولى سكتهم يعرف بابي الحسن الفزديرى وبالسوس توفي عبد الله بن ادريس وبها قبره وبقبلي ايجلى وعلى ست مراحل منهـــا مدينة

تامدلت اسمها عبد الله بن ادريس بن ادريس وهي سهلية عليها سور طوب وحجر وبها حمامان وسوق عامرة ولهـــا اربعة ابواب وهي على نهر عنصرة من جبل على عشرة اميال منها وما بينهما بساتين وعلى هذا النهر ارحاء كثيرة وارضها اكرم ارض واكثرها ريعا تعطى الحبة ماية وبها معدن فضـــة غزير كثير المـــادة وبشرقي تامدلت مدينة درعة بينهما مسيرة ستة ايام وتسير من تامدلت الى وادي درعة ثلاث مراحل ومنها الى اجروا ست مراحل كلها على مياه ومنها الى مرغاد مرحلة ومنها الى سجلماسة ستة اميـــال واهل السوس واغمات اكثر الناس تكسبا واطلبهم لرزق يكلفـون نساءهم وصبيانهم التصرف والتكسب وبارض اغمات والسوس شجـــر الهلجان لا يكون الا هناك يستخرج من حبـــه زيت طيب كثير النفع وذلك انهم يجنون ثمره فتعلفه الماشية ثم يعمدون الى عجمه فيطحن ويطبخ ويستخرج منه دهنه فيكادون يستغنون بـه عـن جميع الزيوت لكثرته عندهم ۞

۞ الطريف من وادى درعة الى الصحراء الى بلاد السودان ۞

من وادى درعة خمس مراحل الى وادى تارجا وهو اول الصحراء ثم تمشى في الصحراء فتجد الماء على اليومين والثلاثة حتى تصـل الى راس المجابة الى البير المسماة تزامت بير معينة غير عذبة وهي الى الملوحة اقرب فيه انبطت في حجر صلد من عمل الاول ويزعم قـوم ان بنى امية صنعتها وفي الشرق منها بير تسمى بير الجماليين وعلى مغربة منها ايضا بير تسمى تاللى كلها غير عذب وبين هذه الابار الثلاثة وبلاد الاسلام مسيرة اربعة ايام ومنهـا الى جبـــل يسمى

بالبربرية ءادرار ان وزّال تفسيرة جبل الحديد مثل ذلك ومن هذا
الجبل مجابة ماؤها على ثمانية ايام وهي المجابة الكبرى وذلك الماء في
بنى ينْتَسَرْ من صنهاجة ومن بنى ينتسر الى قرية تسمى مُدُّوكَنْ
لصنهاجة ايضا ومنها الى مدينة غانة اربعة ايام ومن الابار المذكورة
مجابة ماؤها على اربعة ايام الى ايزل وهو جبل في الصحراء الى قبيل
من صنهاجة يعرفون ببنى لمتونة ظواعن رحالة في الصحراء مراحلهم
فيه مسيرة شهرين في شهرين ما بين بلاد السودان وبلاد الاسلام
ويصيفون في موضـــع يسمى امَطّلوس واخر يسمى تالُبويَنْ وهم الى
بلاد السودان اقرب بينهم وبين بلاد السودان نحو عشر مراحل
وليس يعرفون حرثا ولا زرعا ولا خبزا انما اموالهم الانعام وعيشهم
من اللحم واللبن يفعد عمر احدهم ومـــا راى خبزا ولا اكله الا ان
يمر بهم التجــــار من بلاد الاسلام أو بلاد السودان فيطعمونهم
الخبز ويتحفونهم بالدقيق وهم على السنة يجاهدون للسودان وكان
رئيسهم محمد المعروف بتارشنى من اهل الفضل والدين والحج والجهاد
وهلك بموضع يقال له فقفـــارة من بلاد السودان وهم قبيـــل من
السودان بغربى مدينة بانكلابين وهي مدينة يسكنها جمـــاعة من
المسلمين يعرفون ببنى وارث من صنهاجة وخلف بنى لمتونة قبيلة
من صنهـــاجة تسمى بنى جُدّالة وهم يجاورون البحر ليس بينهم
وبينه احد وهذه القبايل هي التي قامت بعد الاربعين واربع ماية
بدعوة الحق ورد المظالم وقطع جميع المغارم وهم على السنة متمسكون
بمذهب مالك بن انس رضى الله عنه وكان الذى نهج ذلك فيهم
ودعا الناس الى الرباط ودعوة الحق عبد الله بن ياسين وذلك ان
رئيسهم كان يحيى بن ابراهيم من بنى جدالة وحج في بعـــض
السنين ولقي في صدره عن حجه الفقيه ابا عمران الفاسى فساله ابو

عمران عن بلده وسيرته وما ينتحلونه من المذاهب فلم يجد عنده علما بشيء الا انه رءاه حريصا على التعلم صحيح النية واليقين فقال له ما يمنعكم من تعلم الشرع على وجهه والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال له لا يصل الينا الا معلمون لا ورع لهم ولا علم بالسنة عندهم ورغب الى ابي عمران ان يرسل معه من تلاميذه من يثق بعلمه ودينه ليعلمهم ويفقههم احكام الشريعة عندهم فلم يجد ابو عمران فيمن رضيه من يجيبه الى السير معه فقال له ابو عمران اني قد عدمت بالقيروان بغيتكم واما بملكوس ففيها حاذقا ورعا قد لقيني وعرفت ذلك منه يقال له وجّاج بن زلوى فمر به فربما ظفرت عنده ببغيتك فجعل ذلك يحيى بن ابراهيم اوكد همه فنزل به وعلمه ما جرى له مع ابي عمران فاختار له وجاج من اصحابه رجلا يقال له عبد الله بن ياسين واسم امه تين يزامارن من اهل جزولة من قرية تسمى تماماناوت في طرف صحراء مدينة غانة فوصل به الى موضعه واجتمعوا للتعلم منه والانقياد له في سبعين رجلا فغزوا بني لمتونة وحاصروهم في جبل لهم فهزموهم وجعلوا ما اتخذوا من اموالهم مغنما فلم يزل امرهم يقوى واستعملوا على انفسهم يحيى بن عمر بن تلاجّاجين وعبد الله بن ياسين مفتيهم فيهم متورع عن اكل لحمانهم وشرب البانهم لما كانت اموالهم غير طيبة وانما كان عيشه من صيد البرية ثم امرهم ببناء مدينة سموها ارتنّي وامرهم ان لا يشف بناء بعضهم على بناء بعض فامتثلوا ذلك وهم يسمعون له ويطيعون الى ان نقموا عليه اشياء يطول ذكرها وكانهم وجدوا في احكامه بعض التناقض فقام عليه فقيه منهم كان اسمه الجوهر بن سكّم مع رجلين من كبرائهم يقال لاحدهما ايار وللاخر اينتكّوا فعزلوه عن الراى والمشورة

وقبضوا منه بيت مالهم وطردوه وهدموا داره وانتهبوا ما كان فيها من اثاث وخرق فخرج مستخفيا من قبائل صنهاجة الى ان اتى وجاج بن زلوى فقيه ملكوس فعاتبهم وجاج على ما كان منهم الى عبد الله واعلمهم ان من خالف امر عبد الله فقد فارق الجماعة وان دمه هدر وامر عبد الله بالرجوع اليهم فرجع وقتل الذين قاموا عليه وقتل خلقا كثيرا ممن استوجب القتل عنده بجرابة او قسف واستولى على الصحراء كلها واجابه جميع تلك القبائل ودخلوا في دعوته والتزموا السنة به ثم نهضوا الى لمطة وسالوهم ثلث اموالهم ليطيب لهم بذلك الثلثان وهاكذا سن لهم عبد الله في الاموال المختلطة فاجابوهم الى ذلك ودخلوا معهم في دعوتهم واول ما اخذوا من البلاد المخالفة لهم درعة ولهم في قتالهم شدة وجلد ليس لغيرهم وهم يختارون الموت على الانهزام ولا يحفظ لهم فرار من زحف وهم يقاتلون على الخيل والنجب واكثر قتالهم رجالة صفوفا بايدى الصف الاول القنى الطوال للمداعسة والطعان وما يليه من الصفوف بايديهم المزاريق يحمل الرجل الواحد منها عدة يزرقها فلا يكاد يخطى ولا يشوى ولهم رجل قد قدموه امام الصف بيده الراية فهم يقفون ما وقفت منتصبة وان امالها الى الارض جلسوا جميعا فكانوا اثبت من الهضاب ومن فر امامهم لم يتبعوه وهم يقتلون الكلاب لا يستصحبون منها شيئا وكان يحيى بن عمر اشد الناس انقيادا لعبد الله ابن ياسين وامتثالا لما يامره به ولقد حدث جماعة ان عبد الله قال له في بعض تلك الحروب ايها الامير ان عليك حقا ادبا فقال له يحيى وما الذى اوجبه علىّ قال له عبد الله انى لا اخبرك به حتى اودبك واخذ حق الله منك فطاع له الامير بذلك وحكمه في

بشرته بضربه الفقيه ضربات بالسوط ثم قال له الامير لا يدخل القتال بنفسه لان حياته حياة عسكره وهلاكه هلاكهم ۞ وغزا المرابطون مدينة سجلماسة بعد ان خاطبوا اهلها ورئيسهم مسعود بن وانودين المغراوي فلم يجيبوهم الى ما ارادوا بغزوهم في جيش عدته ثلاثون الف جمل سرج فقتلوا مسعودا واستولوا على مدينة سجلماسة وخلفوا فيها جماعة منهم ثم عادوا الى بلادهم فغدر اهل سجلماسة بالمرابطين في المسجد وقتلوا منهم عددا كثيرا وذلك سنة ست واربعين واربع ماية وندم اهل سجلماسة على ما فعلوا وتواترت رسولهم على عبد الله بن ياسين ان يرجع اليهم بالعساكر ويذكرون ان زناتة زحفوا اليهم فندب عبد الله المرابطين الى غزو زناتة ثانية فابوا عليه وخالف عليه بنو جدالة وذهبوا الى ساحل البحر فامر عبد الله الامير يحيى ان يتحصن بجبل لمتونة وهو جبل منيع كثير الماء والكلاء في طوله مسافة ستة ايام وفي عرضه مسافة يوم وهنالك حصن يسمى اركي حوله نحو عشرين الف نخلة كان بناه ياننّوا بن عمر الحاج اخو يحيى بن عمر فصار يحيى في جبل لمتونة وذهب عبد الله بن ياسين الى مدينة سجلماسة في مايتي رجل من قبايل صنهاجة ونزل موضعا يقال له تامدولت حصن فيه مياه ونخل كثير ويشرف عليه جبل فيه معدن فضة معلوم هناك فاجتمع لعبد الله جيش كثيف من سرطة وترجة ولهم هنالك حصون وكان ابو بكر بن عمر بدرعة مع احمد بن ءامَدّجنوا فامره عبد الله مكان اخيه يحيى المتخلف بجبل لمتونة ثم رجعت جيوش بني جدالة الى يحيى بن عمر فحاصروه في الجبل وذلك سنة ثمان واربعين وهم في نحو ثلاثين الفا وكان مع يحيى ايضا عدد كثير وكان معه لبي بن وارجاى

رئيس تكرور وكان التقاؤهم هناك بموضع يسمى تبفريلّى بين تاليوين وجبل لمتونة فقتل يحيى بن عمر رحمه الله وقتل معه بشر كثير وهم يذكرون انهم يسمعون في هذا الموضع اصوات المؤذنين عند اوقات الصلوات وهم يتحامونه ولا يدخــله احد ولا اخذ منه سيف ولا درقة ولا شيء من اسلحتهم ولا ثيابهم ولم تكن للمرابطين بعد كرة الى بني جدالة وفي سنة ست واربعين غزا عبد الله بن ياسين اودغست وهو بلد قايم العمارة مدينة كبيرة فيها اسواق ونخل كثير واشجار الحناء وهي في العظم كشجر الزيتون وهو كان منزل ملك السودان المسمى بغانة قبل ان تدخل العرب غانة وهي متقنة المباني حسنة المنازل ومسافة ما بينها وبين سجلماسة مسيرة شهرين وبينها وبين مدينة غانة خمسة عشر يوما وكان يسكن هذه المدينة زناتة مع العرب وكانوا متباغضين متدابرين وكانت لهم اموال عظيمة ورقيق كثير كان للرجل منهم الف خــادم واكثر فاستباح المرابطون حريمها وجعلوا جميع ما اصابوا فيها فيئا وقتل فيها عبد الله بن ياسين رجلا من العرب المولدين من اهل القيروان معلوما بالورع والصلاح وتلاوة القرءان وحج البيت يسمى زبافرة وانما نقموا عليهم انهم كانوا تحت طاعة صاحب غــانة وحكمه وغزا عبد الله بن ياسين اغمات سنة تسع واربعين واستولى على بلاد المصامدة سنــة خمسين وقتل ببرغواطة سنــة احدى وخمسين بموضع يســـمى كريفلت وعلى قبره اليوم مشهد مقصود ورابطة معمورة ولم يقتل عبد الله بن ياسين حــتى استولى على سجلماسة واعمالها والسوس كله واغمات ونول والصحراء ۞ ومما يذكرونه ولا يشكــون فيه من براهين صلاح عبد الله انه ذهب في بعض اسفاره فعطشوا فشكوا ذلك اليه فقال عسى الله ان يجعل لنا من

امرنا فرجا ثم سار بهم ساعة وقال لهم احفروا بين يدى فحفروا فوجدوا الماء بادنى حفر فشربوا وسقوا واستقوا اعذب ماء واطيبه ويذكرون انه نزل منزلا تقرب منه بركة ماء وكانت كثيرة الضفادع لا يسكن نقيقها فاذا وقف عبد الله على البركة لم يسمع لها ركز وهم الان لا تقدم طايفة منهم احدا للصلاة الا من صلى وراء عبد الله وان كان في تلك الطايفة اقرا منه واورع ممن لم يصل وراءه وكان عبد الله نكاحا للنساء يتزوج في الشهر عددا منهن ويطلقهن لا يسمع بامراة حسناء الا خطبها ولا يتجاوز بصدقاتهن اربعة مثاقيل ۞

۞ ما شذ فيه عبد الله بن ياسين من الاحكام ۞

من ذلك اخذه الثلث من الاموال المختلطة وزعم ان ذلك يطيب باقيها ويحله وقد تقدم ذكر هذا وان الرجل اذا دخل في دعوتهم وتاب عن سالف ذنوبه قالوا له قد اذنبت ذنوبا كثيرة في شبابك فيجب ان يقام عليك حدودها وتطهر من اثمها فيضرب حد الزاني ماية سوط وحد المفترى ثمانين سوطا وحد الشارب مثلها وربما زيد على ذلك وهكذا يفعلون بمن تغلبوا عليه وادخلوه في رباطهم وان علموا انه قتل قتلوه سواء اتاهم تايبا طايعا او غلبوا عليه مجاهرا عاصيا لا ينفعه توبته ولا يغنى عنه رجعته ومن تخلف عن مشاهدة الصلاة مع الجماعة ضرب عشرين سوطا ومن فاتته ركعة ضرب خمس اسواط ويأخذون الناس بصلاة ظهر اربعا قبل صلاة الظهر في الجماعة وكذلك في ساير الصلوات ويقولون انك لابد قد فرطت في سالف عمرك فاقض ذلك . اكثر عوامهم يصلون

بغير وضوء اذا اعجلهم الامر جزءا من الضرب ومن رفع صوته في المسجد ضرب على قدر ما يراه الضارب له صلاحا وزكاة الفطر ياخذونها وينفقونها على انفسهم ومما يحفظ من جهل ابن ياسين ان رجلا اختصم اليه مع تاجر غريب عندهم فقال التاجر في بعض مراجعته لخصمه حاش لله ان يكون ذلك فامر عبد الله بضربه وقال لقد قال كلاما قطيعا وقولا شنيعا يوجب عليه اشد الادب وكان بالحضرة رجل قيرواني فقال لعبد الله وما تنكر من مقالته والله عز وجل قد ذكر ذلك في كتابه فقال حكاية عن النسوة اللاتي قطعن ايديهن في قصة يوسف ۞ حاش لله ما هذا بَشَرًا انْ هذا الّا ملك كريم ۞ فرفع الضرب عن ذلك الرجل ۞ وامير المرابطين الى اليوم وذلك سنة ستين واربع ماية ابو بكر ابن عمر وامرهم منتشر غير ملتئم ومقامهم بالصحراء وجميع قبايل الصحراء يلتزمون النقاب وهو فوق اللثام حتى لا يبدو منه الا محاجر عينيه ولا يفارقون ذلك في حال من الاحوال ولا يميز رجل منهم وليه ولا حميمه الا اذا تنقب وكذلك في المعارك اذا قتل منهم القتيل وزال قناعه لم يعلم من هو حتى يعاد عليه القناع وصار ذلك لهم الزم من جلودهم وهم يسمون من خالف زيهم هذا من جميع الناس افواه الذبان بلغتهم وطعامهم صفيف اللحم الجاف مطحونا يصب عليه الشحم المذاب او السمن وشرابهم اللبن قد غنوا به عن الماء يبقى الرجل منهم الاشهر لا يشرب ماء وقوّتهم مع ذلك مكينة وابدانهم صحيحة ومن سير اهل الصحراء في المتهم بسرقة ان يعمدوا الى عود فيشق باثنين ويشد على صدغيه في مقدم راسه وموخره فلا يتمالك ان يقر ولا يصبر على ذلك الضغط لحظة لشدته ۞

ومما في هذه الصحراء من الحيوان اللمط وهو دابة دون البقر لها قرون دقاق حادة لذكرانها واناثها وكلما كبر منها الواحد طال قرنه حتى يكون اكثر من اربعة اشبار واجود الدرق واغلاها ثمنا ما صنع من جلود العواتق منها وهي التي طال قرناها لكبر سنها فمنع الفحل علوها ودواب الفنك اكثر شيء في هذه الصحراء ومنها يحمل الى جميع البلاد وعندهم الكباش الدمانية خلقها خلق الضان الا انها اجمل وشعرها شعر الماعز لا اصواف لها وهي احسن الغنم خلقا والوانا ولا تنبت هذه الصحراء ولا بلاد اغمات ولا السوس شجر المرسين وهو شجر الاس وهو عندهم عزيز يجلب اليهم من ساير البلاد ومن غرايب تلك الصحراء معدن ملح على يومين من النجابة الكبرى وبينه وبين سجلماسة مسيرة عشرين يوما تحفر عنه الارض كما تحفر عن ساير المعادن والجواهر ويوجد تحت قامتين او دونها من وجه الارض ويقطع كما يقطع الحجارة ويسمى هذا المعدن تاتنتال وعليه حصن مبني بحجارة الملح وكذلك بيوته ومشاربه وغرفه كل ذلك ملح ومن هذا المعدن يتجهز بالملح الى سجلماسة وغانة وساير السودان والعمل فيه متصل والتجار اليه متسايرون وله غلة عظيمة ومعدن للملح اخر عند بني جدالة بموضع يسمى اوليل على شاطي البحر ومن هناك تتحمله الرفاق ايضا الى ما جاوره وبقرب اوليل في البحر جزيرة تسمى ايونى وهي عند المد جزيرة لا يوصل اليها من البر وعند الجزر يوصل اليها على القدم ويوجد فيها العنبر واكثر معاش اهلها من لحوم السلاحف فهي اكثر شيء عندهم في ذلك البحر وهي معرطة العظم وربما دخل الرجل منهم في محار ظهورها فيتصيد فيها كالقارب وسنذكر من كبر السلاحف بطريف تيرفي ما هو اشنع من هذا ولهم اغنام ومواش وهذه الجزيرة مرسى

من المراسى والطريف منها الى نول على ساحل البحر لا يفارفه مسيرة شهرين يمشى العير في ارض اكثرها صفى ينبو عنه الحديد ونكل فيه المعاول وانما يشربون في طريفهم من فلات يحتفرونها عند جزر البحر فتبضّ ماء عذبا واذا مات لهم ميت في طريفهم هذا لم يمكنهم مواراته لصلابة الارض وامتناعها على الحفر فيستترونه بالحطام والحشيش او يفذفونه بالبحر ۞

۞ ذكر بلاد السودان ومدنها المشهورة واتصال بعضها ببعض والمسافات بينها وما فيها من الغرايب وسير اهلها ۞

المصافبون لبلاد السودان بنو جدالة هم اخر الاسلام خطة وافرب بلاد السودان منهم صنغانة بين اخر بلادهم وبينها مسيرة ستة ايام ومدينة صنغانة مدينتان على ضفتى النيل وعمارتها متصلة الى البحر المحيط ويلى مدينة صنغانة ما بين الغرب والفبلة على النيل مدينة تكرور اهلها سودان وكانوا على ما ساير السودان عليه من المجوسية وعبادة الدكاكير والدكور عندهم الصنم حتى وليهم وارجابى بن رابيس فاسلم وافام عندهم شرايع الاسلام وحملهم عليها وحفف بصايرهم فيها وتوفى وارجابى سنة اثنتين وثلاثين واربع ماية فاهل تكرور اليوم مسلمون وتسير من مدينة تكرور الى مدينة سلى وهي مدينتان على شاطى النيل ايضا واهلها مسلمون اسلموا على يدى وارجابى رحمه الله وبين سلى ومدينة غانة مسيرة عشرين يوما في عمارة السودان الفبيلة بعد الفبيلة وملك سلى يحارب كفارهم وليس بينه وبين اولهم الا مسيرة يوم واحد وهم اهل مدينة فلنبو وهو واسع المملكة كثير العدد يكاد يفاوم

ملك عانة وتبايع اهل سلى بالذرة والملح وحلف النحاس وازر لطاب من قطن يسمونها الشكيات والبقر عندهم كثير وليس عندهم ضان ولا معز واكثر نبات ارضهم الابنوس ومنه يحتطبون وفيما ينصل ببلادهم من النيل في موضع يقال له محابى حيوان في الماء يشبه الفيل في عظم خلقته وفنطيسته وانيابه يسمونه فقوا وهو يرعى في البرارى ويأوى الى النيل وهم يميزون موضعه من النيل بتحرك الماء على ظهره فيقصدونه بمزاريف حديد فصار في اسافلها حلق قد شدت فيها الحبال المديدة فيرمونه بالعدد الكثير منها فيغوص ويضطرب في اسفل النيل فاذا مات طفا على الماء فجذبوه واكلوا لحمه وصنعوا من جلده هذه الاسواط التى تسمى السريافات ومن هناك تحمل الى الافاق ويلى هذا البلد مدينة قلنبوا بينهما مسيرة يوم على ما تقدم وهى على النيل واهلهــا مشركون ويتصل بقلنبو مدينة ترنقة وهو بلد عريض وعندهم تصنع الازر المسمـاة بالشكيات التى تقدم ذكرها وهى اربعة اشبــار في مثلها وليس في بلدهم كثير قطن غير انهم لا تكاد تخلو دار احدهم من شجرة قطن وحكم اهل هذه البلاد والمذكور قبلهــا من بلاد السودان ان يخير صاحب السرقة في بيـــع السارق او قتله وحكمهم في الزانى ان يسلخ من جلده ومن ترنقة تصل العمارة بالسودان الى بلد زافقوا وهم صنف من السودان يعبدون حية كالثعبان العظيم ذا عرف وذنب راسه كراس البختى وهو في مغارة بالمفازة وعلى فم المغارة عريش واحجار ومسكن قوم متعبدين معظمين لتلك الحية ويعلقون نفيس الثياب وحر المتــاع على ذلك العريش ويضعون له جفان الطعام وعساس اللبن والشراب وهم اذا ارادوا اخراجه الى العريش تكلموا كلاما وصفروا صفيرا معلوما فيبرز اليهم واذا هلك

وال من ولاتهم جمعوا كل من يصلح للمملكة وفربوهم اليهــا ونكلموا بكلام يعلمونه فتدنو الحيــة منهم فلا تزال تشمهم رجلا رجلا حتى تنكز احدهم بانفها فاذا نكزته ولت الى المغارة فيتبعها ذلك المنكوز باجدّ ما يقدر عليه من السير ليجذب من ذنبه او عرفه باشدّ ما يقدر عليه شعرات فيكون مدة ملكه لهم بعدد تلك الشعرات لكل شعرة سنــة لا يخطيهم ذلك بزعمهم وتليهم بلاد العروبيين وهي مملكة للعروبيين على حدتها ومن غريب ما فيها بركة يجتمع فيها الماء ينبت فيها نبــات اصوله ابلغ شيء في تقوية الباه والعون عليها والملك يمنع منها ولا يصل منها شيء الى غيره وله من النساء عدد عظيم فاذا اراد ان يطوف عليهن انذرهن قبل ذلك بيوم ثم استعمل ذلك الدواء فيطوف عليهن كلهن ولا يكاد ينكسر وقد اهدى اليه بعض ملوك المسلمين المجاورين له هدية نفيسة واستهداه شيئا من هذا النبــات يعاوضه على هديته وكتب اليه يقول ان المسلمين لا يحل لهم من النساء الا قليل وقد خفت عليك ان بعثت اليك الدواء ان لا تقدر على امساك نفسك فتاتي بما لا يحل لك في دينك ولاكنى قد بعثت اليك نباتا ياكله الرجل العقيم فيولد له وبلاد العروبيين يبدل الملح فيها بالذهب ۞

۞ ذكر غانة وسير اهلها ۞

وغانة سمة لملوكهم واسم البلد اوكار واسم ملكهم اليوم وهي سنــة ستين واربع ماية تنكامنين وولي سنة خمس وخمسين وكـــان اسم ملكهم قبله بسى ووليهم وهو ابن خمس وثمانين سنة وكان محمود السيرة محبا للعدل مرثرا للمسلمين وعمى في اخر عمره فكـــان يكتم

ذلك عن اهل مملكته ويريهم انه يبصر وتوضع بين يديه اشياء فيقول هذا حسن وهذا قبيح وكـــان وزراؤه يلبسون ذلك على الناس ويلغزون للملك بما يقول فلا تفهمه العامة وبسى هذا خال تنكامنين وتلك سيرتهم ومذهبهم ان الملك لا يكـــون الا في ابن اخت الملك لانه لا يشك فيه انه ابن اخته وهـــو يشك في ابنه ولا يقطع على صحة اتصاله به وتنكامنين هذا شديد الشوكة عظيم المملكة مهيب السلطان ومدينة غانة مدينتان سهليتان احدها المدينة التى يسكنها المسلمون وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا احدها يجمعون فيه ولها الايمة والموذنون والراتبون وفيها فقهاء وحملة علم وحواليها ابار عذبة منها يشربون وعليها يعتملون للخضراوات ومدينة الملك على ستة اميـــال من هذه وتسمى بالغابة والمساكن بينهمـــا متصـــلة ومبانيهم بالحجارة وخشب السنط وللملك قصر وقباب وقد احاط بذلك كله حايط كالسور وفي مدينة الملك مسجد يصلي فيه من يفد عليه من المسلمين على مقربة من مجلس حكم الملك وحول مدينة الملك قباب وغابات وشعراء يسكن فيها سحرتهم وهم الذين يقيمون دينهم وفيهـــا دكاكيرهم وقبور ملوكهم ولتلك الغابات حرس ولا يمكن احد دخولها ولا معرفة مـــا فيها وهناك سجون الملك فاذا سجن فيها احد انقطع عن الناس خبره وتراجمة الملك من المسلمين وكذلك صاحب بيت مـــاله واكثر وزرائه ولا يلبس المخيط من اهل دين الملك غيره وغير ولي عهده وهو ابن اخته ويلبس ساير الناس ملاحف القطن والحرير والديباج على قدر احوالهم وهم اجمع يحلقون لحاهم ونساؤهم يحلقـــن روسهن وملكهم يتحلى بحلي النساء في العنق والذراعين ويجعل على راسه الطراطير المذهبة عليها عمايم القطن الرفيعة وهـــو يجلس للناس

والمظالم في فبة ويكـون حوالى الفبة عشرة افراس بثيـاب مـذهبة ووراء الملك عشرة من الغلمـــان يحملون الجحف والسيوف المحلاة بالذهب وعن يمينه اولاد ملوك بلده فد ضفروا رؤسهم على الذهب وعليهم الثياب الرفيعة ووالى المدينة بين يدى الملك جـالس في الارض وحواليه الوزراء جلوســـا على الارض وعلى باب الفبـة كلاب منسوبة لا تكاد تفارق موضع الملك تحرسـه في اعنافهـــا سواجير الذهب والفضة يكون في الساجور عدد رمانات ذهب وفضة وهم ينذرون بجلوسه بطبـل يسمونه دبا وهـــو خشبة طويلة منفورة فيجتمع الناس فاذا دنا اهل دينه منـه جثوا على ركبهم ونثروا التراب على رؤسهم فتلك تحيتهم له واما المسلمون فانمـا سلامهم عليه تصفيفا باليدين وديانتهم المجوسية وعبادة الدكاكير واذا مات ملكهم عفدوا له فبة عظيمة من خشب الساج ووضعوها في موضع فبره ثم اتوا به على سرير فليل العرش والوطا فادخلـوه في تلك الفبة ووضعوا معه حليته وسلاحه وانيته الـتى كـان ياكل فيها ويشرب وادخلوا فيها الاطعمة والاشربة وادخلوا معه رجـالا ممن كـان يخدم طعامه وشرابه واغلفوا عليهم باب الفبة وجعلوا فوق الفبة الحصر والامتعة ثم اجتمع الناس فردموا فوفهـا بالتراب حتى تاتي كالجبل الضخم ثم يخندفون حولها حـتى لا يوصـل الى ذلك الكوم الا من موضع واحـد وهم يذبحون لموتاهم الذبائح ويفربون لهم الخمور ولملكهم على حمار الملح دينـــار ذهب في ادخاله البلد وديناران في اخراجه وله على حمل النحاس خمسة مثافيل وعلى حمل المتاع عشرة مثافيل وافضل الذهب في بلاده ما كان بمدينة غيارو وبينها وبين مدينة الملك مسيرة ثمانية عشر يوما في بلاد معمورة بفبايل السودان مساكن متصلة واذا وجد في جميع معادن بلاده

الندرة من الذهب استصفاها الملك وانما يترك منها للناس هذا التبر الدقيق ولولا ذلك لكثر الذهب بايدي الناس حتى يهون والندرة تكون من اوقية الى رطل ويذكر ان عنده منه ندرة كالحجر الضخم وبين مدينة غيارو والنيل اثنا عشر ميلا وفيها من المسلمين كثير وغانة بلدة مستوبئة غير اهلة لا يكاد يسلم الداخل فيها من المرض عند امتلاء زرعهم ويقع الموتان في غربائها عند استحصاد الزرع ۞ فاما الطريق من غانة الى غيارو فالى مدينة ساماقندي اربعة ايام واهل سامقندي ارمى السودان بالنشاب ومنها الى بلد يسمى طافة يومان واكثر شجر طافة شجر يسمونه تادموت وهو شجر الاراك الا ان له ثمرا كالبطيخ داخله شيء يشبه الفند تشوب حلاوته حمضة نافع للمحمومين ومن هناك الى خليج من النيل يقال له زوغوا مسيرة يوم تخوضه الجمال ولا يعبره الناس الا في القوارب ومنه الى بلد يقال له غرنتل وهو بلد كبير ومملكة جليلة لا يسكنه مسلمون ولاكنهم يكرمونهم ويخرجون لهم عن الطريق اذا دخلوا بلادهم وتلد عندهم الفيلة والزرافات ومن غرنتل الى غيارو وملك غانة اذا احتفل ينتهي جيشه مايتي الف منهم رماة ازيد من اربعين الفا وخيل غانة قصار جدا وعندهم الابنوس الجيد المجزّع وهم يزدرعون مرتين في العام مرة على ثرى النيل اذا خرج عندهم واخرى على ثرى وبغربي غيارو على النيل مدينة يرسنى يسكنها المسلمون وما حولها مشركون و في يرسنى معز قصار فاذا وضعت الماعزة ذبحوا الذكور وابقوا الانثى وعندهم شجر تحتك بها هذه المعزى فتحمل من ذلك العود وتلد من غير ذكر وهذا معلوم عندهم غير منكر وحدث به جماعة من المسلمين الثقات ومن يرسنى يجلب السودان العجم المعروفون بنو نغمارته

وثم تجار التبر الى البلاد وما وازاهـا من ضفة النيل الثانية مملكة كبيرة ازيد من مسيرة ثمـانية ايام سمة ملكهم دو وهم يقاتلون النشاب ووراءه بلد اسمه ملل وملكهم يعرب بالمسلماني وانما سمي بذلك لان بلاده اجدبت عاما بعد عام فاستسقوا بقرابينهم من البقر حتى كادوا يفنونها ولا يزدادون الا قحطا وشقاء وكان عنده ضيف من المسلمين يقرا القرءان ويعلم السنة فشكا اليه الملك ما دهمهم من ذلك فقال له ايها الملك لو امنت بالله تعـالى واقررت بوحدانيته وبمحمد عليه الصلاة والسلام واقررت برسالته واعتقدت شرايع الاسلام كلها لرجوت لك الفرج مما انت فيه وحل بك وان نعم الرحمة اهل بلدك وان يحسدك على ذلك من عاداك وناواك فلم يزل به حتى اسلم واخلص نيته واقراه من كتاب الله ما تيسر عليه وعلمه من الفرايض والسنن ما لا يسع جهله ثم استانا به الى ليلة جمعة فامره فتطهر فيها طهرا سابغا والبسه المسلم ثوب قطن كان عنده وبرزا الى ربوة من الارض فقام المسلم يصلي والملك عن يمينه يأتم به فصليا من الليل ما شاء الله والمسلم يدعو والملك يؤمن فما انفجر الصبـاح الا والله قد اعمهم بالسقي فامر الملك بكسر الدكاكير واخراج السحرة من بلاده وصح اسلامه واسلام عقبه وخاصته واهل مملكته مشركون فوسموا ملوكهم مذذاك بالمسلماني ومن اعمال غانة المتضافة اليها بلد يسمى سامه ويعرف اهله بالبكم بينه وبين غانة مسيرة اربعة ايام وهم يمشون عراة الا ان المراة تستر فرجها بسيور تضفرها وهن يوفرن شعر العانة ويحلقن شعر الراس وحدث ابو عبـد الله المكي انه راى منهن امراة وقفت على رجل من العرب طويل اللحية فتكلمت بكلام لم يفهمه فسال الترجمان عن مقالتها فذكر انها تمنت ان يكون شعر

لحينه فى غانتها فامتلى العرب غضبا واوسعها سبا والبكم لهم
حـــذق بالرماية وهم يرمون بالسهام المسمومة ويورثون الابن الاكبر
مال الاب كله وبغربى مدينة غانة مدينة انبارة وملكها اسمه تارم
وهو معاند لملك غانة وعلى تسع مراحل من مدينة انبارة مدينة
كوغة وبينها وبين غانة مسيرة خمس عشرة مرحلة واهلها مسلمون
وحواليهـا المشركون واكثر ما يتجهز اليها بالملح والودع والنحاس
والفربيون والـودع والفربيون انفق شىء عنـدهم وحواليهـــا من
معـادن التبر كثير وهى اكثر بلاد السودان ذهبا وهناك مدينة
الوكن وملكهـا يسـمى فمر بن بسى ويقال انه مسلم يخفى اسلامه
وببلاد غانة قوم يسمـون بالهُنَيِّهِين من ذرية الجيش الذى كـان
بنو اميـــة انفذوه الى غانة فى صدر الاسلام وهم على دين اهـــل
غـــانة الا انهم لا ينكحون فى السودان ولا ينكحونهم وهـــم بيض
الالوان حســـان الوجوه وبسلى ايضـــا قوم منهم يعرفون بالفامان
وببلاد غانة حكم الماء وذلك انه من ادعى عليه بمال او دم او غير
ذلك عمد امينهم الى عود فيه حراقة ومرارة ورقّة وصب عليه من
الماء قدرا ما وسقاه المدعا عليه فان رماه من جوفه علم انه برى
وهنّى بذلك وان لم يرمه وبقى فى جوفه تحت الدعوى عليه ومن
الغرائب ببلاد السودان شجرة طويلة الساق دقيقته يسمى تورزى
تنبت فى الرمال ولها ثمر كبير منتفخ داخله صوف ابيض تصنع
منه الثياب والاكسية ولا تؤثر النار فيما صنع من ذلك الصوف من
الثياب لو اوقدت عليه الدهر واخبر الفقيه عبد الملك ان اهل
اللامس بلـــد هناك ليس لهم لبس الا من هذا الصنف ومن هذا
الجنس حجارة بوادى درعة تسمى بالبربرية تامطغُست تحـــك باليد
فتلين الى ان تأتى فى قوام الكتان فيصنع منها الامرّة والقيود للدواب

فلا توثر النار في شيء من ذلك وقد صنع منها كساء لبعض ملوك زناتة بسجلماسة واخبرني الثقة انه شهد تاجرا قد جلب منه منديلا الى فردلند صاحب الجلالقة وذكر انه منديل لبعض الحواريين وان النار لا توثر فيه واراه ذلك عيانا فعظم موقعه من فردلند وبذل له فيه غناه وبعث به فردلند الى صاحب قسطنطينية ليوضع في كنيستهم العظمى فعند ذلك بعث اليه صاحب قسطنطينية التاج وامره بالتتويج وقد حدث جماعة انهم راوا منه هداب منديل عند ابي الفضل البغدادي تحمى عليه النار فيزداد بياضا ويكون له النار غسلا وهو كثوب الكتان ۞

واذا سرت من غانة تريد طلوع الشمس تسير في طريق معمورة بالسودان الى موضع يقال له اوغام يحرثون الذرة وهو عيشهم ثم تسير من هناك اربعة ايام الى موضع يقال له راس الماء وهناك تلقى النيل خارجا من بلاد السودان وعليه قبايل من البربر مسلمون يسمون مداسة وبازائهم من الشط الثاني مشركوا السودان ثم تسير من هناك ست مراحل على النيل الى مدينة تيرقّى ويجتمع في سوق هذه المدينة اهل غانة واهل تادمكة وتعظم السلاحف بتيرقى وتتخذ في الارض اسرابا يمشي فيها الانسان ولا يطيقون استخراج واحدة منها الا بعد شد الحبال فيها واجتماع العدد الكثير عليها واخبرني الفقيه ابو محمد عبد الملك بن نخاس الغروة ان قوما عرسوا في طريق تيرقى والارضة هناك تاتي على ما تجده وتفسد ما وصلت اليه وتخرج من التراب اكواما كالروابي ومن الغرايب ان ذلك التراب ثرّ ند والماء هناك غير موجود على ابعد حفر فلا توضع الامتعة الا على الحجارة المجموعة او الخشب الموضوعة فارتاد كل واحد من القوم لمتاعه حرزا من الارضة وبدر احدهم فيما ظن الى

صخرة كبيرة فانزل عليها وقرن بعيرين كانا معه فلما هب من نومه سحرا لم يجد الصخرة ولا ما كان عليها فارتاع ونادى بالويل والحرب فاجتمعوا اليه يسألونه عن خطبه فاخبرهم فقالوا لو طرفك لسوس لاخذوا المتاع وبقيت الصخرة فنظروا فاذا اثر سلحفاة ذاهبة من الموضع فاقتفوه اميالا حتى ادركوها وحملا المتاع على ظهرها وهي التى حسبها صخرة ۞ ومن تيرقى يرجع النيل نحو الجنوب في بلاد السودان فتسير عليه نحو ثلاث مراحل فتدخل بلاد سغمارة وهم قبيل من البربر في عمل تادمكة ويحاذيهم من الشط الثانى مدينة كوكوا للسودان وسياتى ذكرها وما والاها ان شاء الله ۞

فاما الجادة من غانة الى تادمكة وبينهما مسيرة خمسين يوما فمن غانة الى سفنقو ثلاث مراحل وهي على النيل وهي اخر عمل غانة ثم تصحب النيل الى بوغرات فيه قبيل من صنهاجة يعرفون بمداسة واخبر الفقيه ابو محمد عبد الملك انه راى في بوغرات طايرا يشبه الخطاب يفهم من صوته كل سامع افهاما لا يشوبه لبس قتل الحسين قتل الحسين يكرر مرارا ثم يقول بكربلا مرة واحدة قال عبد الملك سمعته انا ومن حضر من المسلمين معي ومن بوغرات الى تيرقى ثم تسير منها في الصحراء الى تادمكة وتادمكة اشبه بلاد الدنيا بمكة ومعنى تادمكة هيئة مكة وهي مدينة كبيرة بين جبال وشعاب وهي احسن بناء من مدينة غانة ومدينة كوكوا واهل تادمكة بربر مسلمون وهم يتنقبون كما يتنقب بربر الصحراء وعيشهم من اللحم واللبن ومن حب تنبته الارض من غير اعتمال ويجلب اليهم الذرة وساير الحبوب من بلاد السودان ويلبسون الثياب المصبغة بالحمرة من القطن والنولى وغير ذلك وملكهم يلبس عمامة حمراء وقميصا اصفر وسراويل زرقاء ودنانيرهم تسمى الصلع لانها ذهب محض غير مختومة ونساؤهم

فايقات الجمال لا تعدل بهن اهل بلد حسنا والزنا عندهم مباح
وهن يبادرن التجـــار اينهن تحمله الى منزلها ۞ فان اردت من
تادمكة الى القيروان فانك تسير في الصحراء خمسين يوما الى وارجلان
وهي سبعة حصون للبرابر اكبرها يسمى اغرم ان يكامن اى حصن
العهود ومنها الى مدينة فسطيلية اربعة عشر يوما ومن فسطيلية
الى القيروان سبعة ايام على ما تقدم وبين وارجلان وقلعة ابى طويل
مسيرة ثلاثة عشر يوما ومن تادمكت الى غدامس اربعون مرحلة
في الصحراء والماء فيها على مسيرة اليومين والثلاثة احساء وغدامس
مدينة لطيفة كثيرة النخل والمياه واهلها بربر مسلمون وبغدامس
دواميس كانت سجنا للكاهنة التى كانت بافريقية واكثر طعام اهل
غدامس التمر والكماة تعظم عندهم حتى تتخذ فيهـــا الارانب
حجرة وبين غدامس وجبل نفوسة سبعـــة ايام في الصحراء وبين
نفوسة ومدينة اطرابلس ثلاثة ايام على ما تقدم ۞
وطريق اخر من تادمكة الى غدامس ۞ تسير من تادمكة ستـــة
ايام في عمارة سغمارة ثم في مجابة اربعة ايام الى الماء ثم في مجـــابة
ثانية اربعة ايام ايضا وفي هذه المجابة الثانية معدن لحجارة تسمى
تاسى النسمت وهي حجارة تشبه العقيق وربما كان في الحجر الواحد
الوان من الحمرة والصفرة والبياض وربما وجد فيها في النادر الحجر
الجليل الكبير فاذا وصل به الى اهل غانة غالوا فيه وبذلوا فيه
الرغايب وهو اجـــل عندهم من كل علق يقتنى وهـو حجر يجلى
ويثقب بحجر اخر يسمى تنتواس كما يجلى اليوقوت ويثقب بالسنباذج
لا يعمل فيه الحديد شيئا الا بالتنتواس ولا يوصل اليه ولا يعلم
موضعه حتى ينحر الابل على معدنه وينضح دمـــه فحينئذ يظهر
ويلفظ وفي بونو معدن للناس انسمت ايضا ومعدن هذه المجابة

افصل وتسير من هذه المجابة الى مجابة ثالثة وفي هذه المجـــابة معدن الشب ومنها يحمل الى البلاد وتسير من هذه المجابة الى مجابة رابعة احد عشر يوما في رمال جرد لا مـــاء فيهـا ولا نبت يتزود الرفاق الماء والحطب فيها كما تتزود الطعام والعلف وعلى يسار السائر في هذه المجابة جبل الرمل الاحمر الذى يتصل بسجلماسة وهو الذى يكون فيه الفنك والثعلب الدهي وهو اخر حد افريقية واذا سار الســـاير من بلاد كوكو على شاطئ البحر غربا انتهى الى مملكة يقال لها الدمدم ياكلون من وقع اليهم ولهـم ملك كبير وملوك تحت يده وفي بلدهم قلعة عظيمة عليها صنم في صورة امراة يتالهون له ويحجونه وبين تادمكة ومدينـة كوكوا تسع مراحـل والعرب تسمى اهلها البزركانيين وهي مدينتان مدينة الملك ومدينة المسلمين وملكهم يسمى قندا وزيهم كزى الســودان من الملاحف وثياب الجلود وغير ذلك بقدر جدة الانسـان منهم وهم يعبدون الدكاكير كما تفعل السودان ويضرب بجلوس الملك الطبـل ويرقص النساء السودانيات بالشعور الجثلة المسترسلة ولا يتصرف احـد منهم في مدينته حتى يفرغ من طعامه ويقذف بافيه في النيل فيجلبـون عند ذلك ويصيحـون فيعلم الناس انه قد فرغ من طعامه واذا ولى منهم ملك دفع اليه خاتم وسيف ومصحف يزعمون ان امير المومنين بعث بذلك اليهم وملكهم مسلم لا يملكون غير المسلمين ويزعمون انهـــم انما سموا كوكوا لان الذى يفهم من نغمـــة طبلهـم ذاك وكذلك ءازور وهير وزويــــلة يفهـم من نغمة طبلهم زويلة زويـــلة وتجارة اهل بلد كوكوا بالملح وهو نقدهم والمـــلح يحمل من بلاد البربر يقال لها توتك من معدن تحت الارض الى تادمكة ومن تادمكة الى كوكوا وبين توتك وتادمكة ست مراحل ۞

۞ ذكر نبذ من سير البربر وسياساتهم سوى ما وقع منها معترفا في موضعه من هذا الكتاب ۞

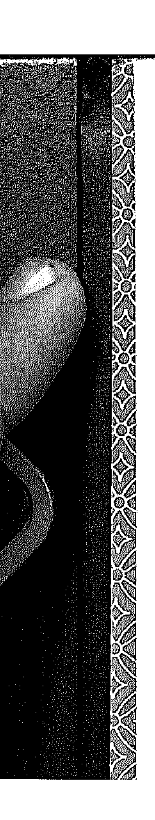
ذكروا ان رجلا شيخا خرج مع امراته وكانت شابة يريد قلعة حماد فصحبه في بعض الطريق فتى شاب كلف بتلك المراة وكلفت به فتواطيا على ان يدعى كل واحد منهما زوجية الاخر ويسقطا الشيخ فلما وصلا الى القلعة شكى ذلك الشيخ الى حماد ما دهمه من امرها ووصف له حاله معهما فوقف حماد الشاب والمراة فتقارا على نكاحهما وانكرا ما يدعيه الشيخ فجعل حماد يباحث الشيخ هل صحبهم في طريقهم احد او هل له شبهة فقال ما صحبنا في طريقنا غير هذا الكلب فاذن لكلب كان معه فامر الشيخ بربط الكلب الى ثمرة او وتد كان هناك ثم امر المراة بحله فذهبت اليه فارسلته ثم امرها فربطته والكلب لا ينكر شيئا من ذلك ثم قال للشاب قم فارسل الكلب ثم اربطه فلما هم بذلك نبحه الكلب وانكره فقال للمراة هذا زوجك الشيخ وهذا الفاسق يخلبك عليه. وامر بضرب عنق الفتى ۞ وذكر ان رجلا كان له امراتان وكان كلفا باخرتهما نكاحا فقالت له الاولى ان هذه التى تكلف بها تخونك وانها تجبر مع غلام لها فاستعمل الركوب والسقوط عن الدابة وسيق الى منزل امراته الاخرة محمولا لا يقلب عضوا بزعمه فاجتمع اهله ونساؤه اليه يمرضونه ويلطفونه الى ان مضى هزيع من الليل فعزم عليهم وصرفهم الى منازلهم وبقى مع امراته واستعمل النوم والتثاقل حتى كانه مغمى عليه فراى امراته قد خرجت عنه الى البيت الذى كان فيه المتهم بها فجمع حسه وصار عند باب البيت فسمعه يقول لها ابطات على وتركتنى بلا

عشاء فقالت حبسني عنك شغلي بهذا الرجل فلا تجني فانت للنفس وهو للولد فصمت على ما سمع وتغافل عنه ورجع الى مضجعه فما كان الا ضحى الغد حتى تنادى في ذلك الموضع واصباحاه فثاروا الى العدو ورأى هذا الساقط التحامل على نفسه والانفة من تخلفه فلبس سلاحه وركب فرسه وحمل ذلك المتهم فيمن حمل من اتباعه معهم السلاح فلما برزوا الى عدوهم امر ذلك المتهم بالتقدم بين يديه فلم يجد الى الحيدة سبيلا فلما خالط به العدو كلل عنه مدبرا فكان اول صريع ولم يعلم احد شيأ من امرها ثم انصرف الى منزله فحمدت امراته الله على سلامته فقال لها لاكن الذي للنفس لم يسلم فاني انما انا للولد فعلمت انه قد سمع مقالتها فقالت ارسلني الى اهلي فقال اذهبي فلما ابطات عليه اتى اهلها فقال ما بال امراتي لا تعود الى منزلها فقالوا له انا لا نقدر على صرفها فقال وانا لا اقدر على فراقها فلج بهم الامر حتى افتدت منه بجميع ما حمل اليها في صداقها وما تكلف لها عند املاكها فلما قبض ذلك ووصل اليه قال لهم اما اذ وصلت الى حقي فان الشان كيت وكيت واخبرهم بالقصة فقررها اهلها واستبانوا الزيبة فيها فقتلوها فبلغ بسياسته الى التشفي منها بغير يده وتخلص من عشيرة امراته واسترجع جميع حقه ۞ وشبيه بهذا عن بعض كبرائهم ايضا انه اتهم امراته واخبر انه اذا غاب خالفه رجل من اهل ناحيته الى امراته فاستعمل سفرا بعيدا وذكر ذلك لقبيله فتجهز معه نفر لذلك فلما صاروا وانتهوا الى ادنى مرحلة اعتذر لهم بعذر يضطره الى الانصراف وعزم عليهم في النفوذ لطيتهم فكر راجعا حتى اتى بعض الشعاب مساء فاخفى فيه فرسه وسلاحه واتى اهله متسترا متجسسا فتسلق جدارا او مكانا

يطلع منه على منزله امنا ان يعلم به منه فرأى امراته على ما يكره مع ذلك الرجل المتهم فولى راجعا الى الشعب ولبس سلاحه وركب فرسه واتى المنزل فلما علم به اهله ارتاعوا واخبوا ذلك الفاجر في بيت من الدار ودخل رب المنزل غير مكترث واعتذر في رجوعه بعذر فبلته امراته وجعلت تحاول له طعاما فلما كمل قربته اليه فقال احضرى ضيفك قالت وهل لى من ضيف قال نعم هو ذاك في البيت الكذا فناكرته فقام اليه فاستخرجه وقال هلم الى طعامنا فقال له ما لى الى الاكل من حاجة وانى الى الموت احوج لما نالنى من هذه الفضيحة قال لا باس عليك فقد اقتنن من هو خير منك ولم يزل به حتى طعم ثم ارسله عن منزله مستترا مسلما لم يربه بريب ثم اقبل على امراته فقال لا تعيى مما جرى لك وان النساء قد يزللن ويملن بهواهن والمعصوم من الناس قليل وعندى من الستر لامرك والطى لخبرك ما يسرك وقد علمت انه لم يحملك على ما صنعت الا هوى غلب عليك غيه وانا تارك بينك وبين هذا الذى احببتيه تنكحينه وتنشفين منه جهارا من غير ريبة على ان تشترطى لى شرطا وتعقدى لى على نفسك عقدا تلتزميه فاجابته الى ذلك وقالت ما شرطك قال انك اذا اكملت عنده عاما ان ترسلى الىّ فامرّ بك وهو حاضر فتخرجين الىّ متزينة في ثياب تشف وتتكلمين معى في امره وتتشكين سوء عشرته فستحمله الغيرة على طلاقك فاعود الى حالى معك بعد ان تقضى حاجة نفسك وترتفع عنى الريب في امرك باختيارك لى على هذا الذى قد مال بك وقد علم سوء خلق صاحبه وتهاونه الى الشر وقلة ملكه لنفسه فعاقدته على ذلك ثم ارسل الى ابيها واهل بيتها فصنع لهم طعاما فاطعمهم ثم قال لهم سلوا ولينتكم كيف كانت

محبتى لها ومعاشرتى اياها فسالوهـا فاثنت خيرا ووصفت مجاملة وبرّا فقال اسئلوها ما بالها اتريد المقام عندى فسألوها فقالت انى اكرهه وابغض قربــه واحب بُعده ولا اجد من نفسى معينا على غير ذلك وقد جاهدتها على الاستمرار فى محبته فعزمت فى عـن ذلك عزوفا لا رجعة معه فلا تتركونى معه فان ذلك يقتادنى الى الحمام ويفضى بى الى انواع السقام وقد تبرات اليه من جميع حقه والزوج فى ذلك كله يظهر الرغبة فيها والاشفاق من مفارقتها فما انفض جمعهم حتى ملكت امرها ورجعوا على زوجها ما صير اليها من حقها وشكروه على بره بها وولوها الملامة فى جميع امرها فلما حلت للازواج كان الغادر بها اول خاطب لها فتزوجته ومكثت معه حولا وهى تستبطى مرور الحول لما خبرته من فضــل الاول على هذا فلما انقضى بعثت الى الاول على مــا عاقدته معه فخرج مارا على منزلها فتلقته فى قميص يصفها وينم بجسمهــا تشكو زوجها وهو قاعد مع جماعتها فلما راى ذلك لم يتمالك غيرة ان قام اليها وطعنها طعنة كانت فيها نفسهـا فعمد اليه اهلهــا واخوتها فقتلوه واختلف الفريقان وزحف بعضهم الى بعض فكادت الحرب تفنيهم وتم للزوج الاول المراد فيهما ولم يرزا فى نفسه ولا فى ماله بمقدار قلامة ۞ وحدثوا ان حمادا قال ما تداهى احد قط علىّ ولا خدعنى الا امراة وكعاء من البربر قيل له وكيف كان ذلك قال نعم ان صاحبا كان لى بالقيروان نشا معى نشاة واحدة لم يفرق بيننا مكتب ولا مشهد وكنت قد خلطته بنفسى وجعلته محــل انسى فلم يزل على ذلك حتى صرت الى مـا انا فيه ففقدته فجعلت افتقده فلا اقدر عليه ولا اجد سببا للوصول اليه فلما ان عتبت على اهل باغاية وشننت عليها الغـارات لم انشب مديحــة دلك

اليوم ان سمعت مناديا ينادي يالله يالامير فقلت ما بالك ومن
انت فقال انا فلان بن فلان فاذا به صاحبي المطلوب قد حبسه
عنى نسكه وغلب على هواه ورع يماكه فاظهرت البشر بمكانه
والجذل بشانه ولو شفع في جميع اهل باغاية لشفعته فجعلت الطفه
واونسه وهو كالواهان فسالته عن امره فقال انه فقد بنته فيمن
فقد من النساء فقلت له والله لو خرجت الى بالامس لحقنت دماء
اهل بلدك لحرمتك عندي فقال الغدر غالب والمحروم خايب قال
حماد ثم امرت القواد فاحضروا جميع ما كان في جيوشهم من
النساء فعرف فيهن بنته قال فامرت بسترها وحملها مع ابيها
فرفعت صوتها قايلة لا والله يا حماد لا رجعت مع ابي ولا رجعت
مع الذي غصبني فلت فما تريدين ويلك قالت اني لا اصلح الا للملوك
فلا حاجة لي في السوقة فلما سمع ذلك ابوها سكن ما كان في نفسه
لها وظن انها قد فتنت وفسدت عليه قال حماد فقلت لها ومن اين
لا تصلح الا للملوك قالت لان عندي علما لا اشارك فيه ولا يدعيه
غيري قلت الا اريتنا شيئا من ذلك فقالت نعم تامر بقتل انسان
وتحضر امضى سيف اتكلم عليه بكلمات تمنع من تاثيره وتعود بيد
حامله اكلّ من قايمه قال حماد الذي يجرب هذا فيه لمغرور قالت
اوتتّهم احد انه يريد قتل نفسه قال لا قالت فاني اريد ان يجرب
ذلك في فتكلمت على سيف اختاروه ومدت عنقها فضربها السيّاف
ضربة ابان راسها فاستيقظت من غفلتي وعلمت انها تداهت على
وكرهت العيش بعد الذي جرى لها وعليها واستبان لابيها من
ذلك مثل الذي بان لي فجعل يلقي نفسه عليها ويتمرغ في دمها
اسفا لما حل به منها واغتباطا بها لما راى من عظم انفتها
واختيارها للموت على ما نزل بها ۞ وبنو ورسيفان من البربر اذا



ارادوا مباشرة الحرب تقربوا بذبح بقرة سوداء للشماريخ وهم عندهم الشياطين ويقولون هذا ذبح الشماريخ ويفتحون اوعيتهم في تلك الليلة من الطعام والعلف فلا يكون له وكاء ولا سداد ويقولون هذا طعام وعلف للشماريخ فاذا غدوا للقتال توقفوا حتى يروا روابع الريح فيقولون قد جاءت الشماريخ اولياؤكم لنصرتكم فيحملون عند ذلك فينتصرون بزعمهم ويقولون ان ذلك لا يخطيهم وجماعتهم يعتقد ذلك غير مستترين به وهم اذا اضافوا الضيف جعلوا من طعامه للشماريخ ويزعمون انه ياكلونه الذين يوضع لهم وينهون عن ذكر اسم الله عنده شيء من ذلك ۞

تم الكتاب

بعون الله

الوهاب

۞

فهرست مـــا وجد ذكره في هذا الكتاب
من اسماء الامكنة وغيرها



بيان الخطاء والصواب لتصحيح نص هذا الكتاب

خطا	صواب	صحيفة	سطر
تاحروت	تاجروت	١٣	٩
يفريون	يفربون	١٢	١٨
انواح	انواع	١٥	٤
وجهما	وجهها	١٨	١٣
انا وغلام	وانا غلام (جايز)	٢٥	٣
فلغة	فلعة	٦٩	١٦
تجرة	شجرة	٧٠	٧
شاظى	شاطى	٧٩	١٦
فرطفاتش	برطفاتش	١٠٩	١٢
ما بعدم	ما تقدم	١١٢	١٨
الى اليوم ثم الى وادى نكرة (خطا) الى اليوم ثم الى وادى المغاول ثم الى وادى نكرة (الصواب)		١١٥	٥
الهماجر	المهاجر	١١٧	٢٠
بحانة	بجانة	١٤٥	١٣
فمكنت	فمكث	١٥١	٥
يرم	يوم	١٩٧	١٤

y remarque cependant l'absence d'un feuillet qui devait se trouver entre les feuillets numérotés maintenant 83 et 84 ; on s'aperçoit aussi qu'une partie considérable de la notice sur les Idrîcides y manque, que le copiste a laissé plusieurs mots en blanc et oublié quelques phrases. Pour racheter ces imperfections, on y trouve un morceau unique, un routier maritime de l'Afrique et de la Syrie, ainsi que plusieurs passages qui manquaient dans le manuscrit de Paris. Ayant collationné celui-ci avec la copie du manuscrit de Londres, il m'a été facile de combler presque toutes les lacunes, et de rétablir le texte à peu près dans l'état où l'auteur nous l'avait laissé ; puis, voulant m'assurer de l'exactitude de mon travail, j'en communiquai la copie à M. de Gayangos, qui eut l'obligeance d'y ajouter toutes les variantes qu'il put découvrir dans le manuscrit de l'Escurial, n° 1630. Ce volume, écrit en caractères maghrebins, renferme les deux premiers tiers de la description de l'Afrique. Le texte n'est pas toujours correct, bien qu'il offre parfois de bonnes leçons, mais il nous fournit un passage assez long qui appartient évidemment à l'ouvrage et que l'on cherche inutilement dans les autres manuscrits. Des quatre manuscrits qui ont servi de base à notre texte arabe, celui d'Alger est le moins important, puisqu'il n'est qu'une copie du manuscrit de Londres ; mais ayant été écrit à Cairouan par un homme assez intelligent, il fournit certaines variantes ou corrections qui ont le mérite d'être justes et bonnes.

La traduction de ce traité géographique est achevée et sera bientôt mise sous presse.

DE SLANE.

Alger, 20 juillet, 1857.

mauvais texte qu'il avait entrepris de traduire. Telle était, en effet, l'imperfection du manuscrit dont il se servait que, malgré toutes ses recherches, un très-grand nombre de noms de localité demeuraient illisibles. On remarqua aussi, avec regret, que presque toute la partie historique de l'ouvrage n'avait pas été traduite et l'on y reconnut même plusieurs lacunes impossibles à remplir sans le secours d'un second manuscrit du même ouvrage. Malgré ces imperfections, le travail de cet orientaliste fournira toujours une preuve frappante de tout ce que peuvent effectuer la critique et l'érudition.

L'occupation de l'Algérie par la France, les travaux des officiers de l'état-major, et les cartes publiées par le Dépôt de la guerre venaient, depuis quelques années, de fournir aux géographes une foule d'excellentes notions sur la topographie de l'Afrique, lorsqu'un petit manuscrit, très-mal écrit en caractères maghrebins, tomba sous les yeux de M. Berbrugger, qui l'acheta pour la bibliothèque dont il est le conservateur. En examinant ce volume, je reconnus qu'il renfermait le texte de l'Afrique d'El-Bekri, texte portant les points diacritiques et offrant une foule de bonnes leçons à la place des noms illisibles qui déparaient le manuscrit de Paris. Heureux de cette découverte, je pris la résolution de publier l'ouvrage avec une traduction complète ; et, grâce à la complaisance d'un savant orientaliste, M. Rieu, j'ai pu me procurer une copie très-exacte de l'ancien manuscrit d'El-Bekri qui se trouve dans la bibliothèque du Musée britannique, à Londres. Ce volume, renfermant 119 feuillets in-4°, et portant le n° 374, commence par la description de l'Egypte et finit par celle de l'Afrique. Écrit en caractères maghrebins et portant, sur chaque nom, les points diacritiques et les points-voyelles, il offre presque partout des leçons d'une exactitude parfaite. On

manuscrit, les points diacritiques, mais les phrases les plus difficiles et les noms propres en sont dépourvus, précisément quand la présence de ces signes était d'une nécessité absolue. Une phrase arabe privée de points diacritiques, mais correctement écrite, se laisse toujours lire avec assez de facilité par ceux qui sont habitués à la marche et aux tournures ordinaires de cette langue ; mais les noms propres auxquels un copiste peu intelligent aura négligé d'ajouter ces signes essentiels, peuvent résister à la pénétration des déchiffreurs les plus habiles. Prenons, par exemple, le groupe de quatre lettres دعرى ; on peut le lire de plus de trois cents manières, si l'on ne connait pas les mots qui le précèdent et qui le suivent. Pour retrouver le nom d'une ville ou d'un pays écrit de cette façon absurde, il faut le connaitre d'avance ; et, si on ne l'a pas déjà vu dans les autres géographes arabes ou dans les ouvrages des voyageurs, ou dans les cartes, on doit renoncer à le chercher.

Avec tous ses défauts, le manuscrit de Paris ne laissa pas d'être d'une grande importance pour la géographie de l'Afrique ; fait que le savant M. Quatremère avait bien apprécié ; aussi, ne craignit-il pas d'entreprendre une traduction abrégée de cet ouvrage, dont il avait, lui le premier, découvert le nom de l'auteur. Après avoir examiné les travaux des anciens géographes et historiens africains, et parcouru les nombreux récits que l'on doit au zèle des voyageurs européens, il fit paraître, en 1831, ses extraits d'El-Bekri dans le recueil publié par l'Institut de France et intitulé *Notices et Extraits des manuscrits de la Bibliothèque du Roi*. Le travail de M. Quatremère obtint sur le champ l'approbation des orientalistes et des géographes les plus distingués ; on admira surtout la profonde érudition déployée dans les notes qui servaient à éclaircir les difficultés du

plusieurs renseignements à notre géographe et à l'auteur du *Bayan* (1).

D'après les indications d'El-Bekri, il faudrait admettre que Mohammed Ibn-Youçof était originaire de Cairouan ; mais Ibn-Hazm, l'un des grands historiens de l'Espagne musulmane, assure que le père et la mère de ce géographe étaient natifs de Guadalaxara (2).

La notice d'El-Bekri sur l'Afrique septentrionale, traité dont le texte original paraît ici pour la première fois, n'était pas inconnu au savant Deguignes et à l'illustre orientaliste S. de Sacy ; mais le nom de l'auteur avait échappé à leurs recherches. Le manuscrit dont ils s'étaient servi et qui se trouve dans la Bibliothèque impériale, ancien fonds, n° 580, est incomplet ; il commence par les derniers feuillets de la description de l'Egypte et se termine brusquement par les premières pages de la notice consacrée à l'Espagne : ce volume, n'ayant ni commencement ni fin, ne pouvait fournir aucune indication relative au titre qu'il devait porter et au nom de celui qui l'avait composé. La description de l'Afrique ne s'y trouve pas même en entier : plusieurs feuillets manquent et on y remarque des omissions faites par le copiste, et dont quelques-unes ont une étendue très-considérable. L'écriture, qui est du caractère oriental, est très-belle et appartient évidemment à une époque ancienne ; mais elle est dépourvue des points qui servent à distinguer les lettres dont la forme est semblable. Il est vrai que les mots les plus faciles à lire portent, dans ce

(1) Cet ouvrage, dont nous devons une édition (texte arabe) au zèle intelligent de M. Dozy, renferme une histoire très-détaillée de l'Afrique et de l'Espagne pendant les premiers siècles de la domination musulmane.

(2) El-Maccari, traduit par M. de Gayangos, vol. I, page 176, et vol. II, page 171 ; *Ibn-El-Abbar*, apud Casiri, t. II, p. 127 ; *Dozy*, introduction au *Bayan* p. 43.

terminé son ouvrage avant l'an 453, bien qu'il ait déclaré lui-même y avoir mis la dernière main en 460.

La notice des Béreghouata est, au contraire, une pièce rédigée pour le gouvernement oméïade ; notre auteur lui-même déclare qu'elle avait pour base les renseignements fournis par un envoyé béreghouatien qui s'était trouvé à la cour de Cordoue.

Ajoutons qu'El-Bekri n'avait jamais visité l'Afrique et que sa description de ce pays n'a pu être qu'un travail de compilation. Souvent, dans ses emprunts, il cite ses autorités et, plus d'une fois, il inscrit sur ses pages le nom d'un auteur alors célèbre, Mohammed-Ibn-Youçof. Toutes les fois qu'il n'indique pas les sources où il a puisé, on est porté à supposer qu'il trouvait ses renseignements à Cordoue et dans les archives de l'ancien royaume des Oméïades.

Puisque le nom de Mohammed-Ibn-Youçof se présente ici, je profiterai de l'occasion, pour offrir quelques renseignements au sujet de cet écrivain.

Mohammed-Ibn-Youçof, surnommé Ibn-El-Werrac *(le fils du libraire* ou *du marchand de papier)*, naquit en l'an 292 (904-5 de J.-C.) et mourut en 363 (973-4). On le désigne quelquefois par le surnom d'*Et-Tarîkhi* (*l'historien*, *l'annaliste*), parce qu'il avait composé, par l'ordre du sultan oméïade, El-Hakem-El-Mostancer, plusieurs ouvrages sur l'histoire et la géographie de l'Afrique. Parmi ces traités, on distingua particulièrement l'histoire de la ville de Tèhert *(Tiaret)*, celle d'Oran, celles de Tunis, de Sidjilmessa, de Nokour, de Ceuta, et de Basra du Maghreb. Une partie considérable d'un de ses ouvrages sur les *Routes et Royaumes* de l'Afrique se trouve reproduite dans celui d'El-Bekri. Ses monographies de villes et de dynasties ont fourni

La notice sur la secte almoravide est d'une date trop récente pour avoir appartenu à cette classe de documents. Celui qui la rédigea indique comme un des derniers faits qui s'étaient passés chez ce peuple, la révolte des Djoddala contre Yahya-Ibn-Omar, et il nous apprend que cet événement eut lieu en 448 de l'hégire. Il ignorait le nom de Youçof-Ibn-Tachefin ; il ne savait pas que ce chef avait obtenu le gouvernement du Maghreb en l'an 453, qu'il avait fondé la ville de Maroc l'année suivante, et conquis la ville de Fez douze mois plus tard. El-Bekri est tout aussi mal renseigné que lui. On peut tirer de là plusieurs conclusions : 1° que, dans la première moitié du cinquième siècle de l'hégire, les événements qui se passaient en Afrique n'étaient pas bien connus en Espagne ; 2° que les princes musulmans dont les états se trouvaient dans ce dernier pays avaient trop à faire chez eux pour s'occuper du Maghreb, pays dans lequel ils n'exerçaient aucune autorité ; 3° que le géographe El-Bekri, n'ayant pas apprécié l'importance de la grande révolution qui s'accomplissait dans le Maghreb à l'époque où il tenait la plume, avait négligé de prendre des renseignements sur ce sujet et qu'il s'était borné à faire des emprunts aux ouvrages de ses prédécesseurs et aux documents rassemblés par les soins d'un gouvernement prévoyant ; 4° que les règles de la critique littéraire peuvent mener à de fausses conclusions : car elles veulent que, pour déterminer l'année de la composition d'un ouvrage, on remarque les dernières dates, les dernières indications historiques qu'il renferme, que l'on cherche ailleurs l'événement le plus important qui soit arrivé après celles-ci, puis que l'on admette que l'auteur écrivait dans la période intermédiaire. Si l'on suivait ce principe et que l'on attribuât à El-Bekri la notice dont nous parlons, on serait obligé de conclure qu'il avait

mérite que par l'étendue ; — une notice de l'Irac, de la Transoxiane et des peuples barbares qui avoisinent la Mer Caspienne (1) ; — les premières pages d'une description de l'Espagne.

La partie de cet ouvrage qui concerne l'Afrique septentrionale est bien plus instructive que celles dont l'Egypte et les contrées de l'Asie forment le sujet principal. On voit que, pour rédiger cette notice intéressante, El-Bekri avait eu à sa disposition des documents de la plus haute importance. Ses itinéraires si exacts et si détaillés, ses descriptions de villes et de provinces, son routier maritime, ses notices des tribus, ses renseignements au sujet des princes dont les états avoisinaient l'Espagne, sont trop nombreux et trop intéressants sous un point de vue politique, pour être les fruits d'un travail auquel se serait livré un simple amateur de géographie. Ce sont plutôt des extraits de documents officiels, de pièces réunies en un seul dépôt, de rapports que le célèbre El-Mansour, ministre tout-puissant du dixième souverain oméïade, se serait fait adresser par ses agents et qui ont pu se trouver encore dans les archives de Cordoue à l'époque où notre auteur y faisait son séjour. Il est vrai que, dans la description de l'Afrique, aucun aveu ne se trouve qui puisse corroborer cette opinion ; mais le caractère uniforme de ces pièces semble indiquer qu'elles ont été rédigées sous une même inspiration et dans un but unique : celui de faciliter le progrès de la domination oméïade et d'étendre l'influence de cette dynastie sur toutes les contrées de l'Afrique.

---

(1) On ne connaît qu'un seul exemplaire du volume qui renferme la notice de l'Irac et de la Transoxiane. M. de Gayangos, le propriétaire de ce manuscrit précieux, a bien voulu me l'envoyer de Madrid et le laisser entre mes mains pendant plusieurs mois.

noms propres, un dictionnaire (*modjam*) de noms de lieu dont l'orthographe n'est pas bien connue ; enfin, un traité de géographie générale que l'on désigne sous le titre banal de ***Routes et Royaumes***, en arabe, ***El-Meçalek-wa'l-Memalek*** (1).

De tous ces écrits il nous reste, 1° le ***Modjam***, ouvrage précieux dont les bibliothèques de Leyde et de Milan possèdent chacune un exemplaire. Un abrégé de ce dictionnaire se trouvait, et se trouve peut-être encore, dans une bibliothèque particulière à Constantine (2). 2° Une partie des ***Routes et Royaumes***. Ce traité, le plus important de tous les écrits sortis de la plume d'El-Bekri, devait former plusieurs volumes et offrir la description et l'histoire de tous les pays connus aux musulmans du onzième siècle. Il nous reste de cette vaste compilation la notice de l'Afrique septentrionale, traité dans lequel les géographes et les historiens arabes ont puisé à pleines mains ; — la description de l'Egypte, notice renfermant quelques indications utiles ; mais qui, comparée avec celle du célèbre El-Macrîzi sur le même sujet (3), est aussi inférieure par le

---

(1) Il existe, en arabe, un grand nombre d'ouvrages géographiques que l'on désigne ordinairement ainsi plutôt que d'employer les titres plus ou moins fantastiques que les auteurs leur avaient imposés.

(2) J'ai feuilleté ce volume ; et, ne soupçonnant pas que j'avais entre les mains un mauvais abrégé du *Modjam*, j'exprimai, au sujet de ce dernier ouvrage, une opinion peu favorable. M. Dozy, dans son mémoire sur les Bekrides, déclara que j'étais bien injuste envers notre géographe, mais il a su depuis comment j'avais été induit en erreur. M. Reinaud, de l'Académie des Inscriptions et belles lettres, a donné une bonne notice du *Modjam* dans son introduction à la traduction française de la Géographie d'Aboulfeda. Pour tout ce qui concerne les connaissances géographiques qui existaient chez les peuples musulmans du moyen âge, le traité de M. Reinaud est le plus satisfaisant et le plus sûr à consulter.

(3) L'ouvrage d'El-Macrîzi, le Varron de l'Egypte, a été publié en arabe à Boulac, en l'an 1853. Il remplit plus de mille pages d'impression, format in-folio.

devait plus tard s'illustrer par sa description de l'Afrique.

En l'an 456 (1064), ou 458, Abd-El-Aziz mourut à Cordoue ; et son fils, Abou-Obeid, se rendit à la cour d'Almérie, dont le souverain, Mohammed-Ibn-Maan, l'accueillit avec bienveillance et l'admit au nombre de ses familiers. En l'an 478 (1085-6), Abou-Obeid remplissait une mission diplomatique auprès d'El-Motamed-Ibn-Abbad, roi de Séville, et eut alors l'occasion d'assister à l'embarquement de ce prince qui, voyant l'Espagne musulmane prête à succomber devant les armes du roi chrétien (Alfonse VI, roi de Léon et de Castille), s'était décidé à passer en Afrique et à solliciter l'appui du sultan almoravide, Youçof-Ibn-Tachefîn.

Abou Obeid-El-Bekri mourut dans le mois de choual, 487 (oct.-nov. 1094), dans un âge très avancé et avec la réputation d'un épicurien qui aimait autant le jus de la treille que la poésie et les lettres. Quelques auteurs lui donnent le surnom d'*El-Cortobi (le cordovien)*, parce qu'il avait séjourné assez longtemps dans l'ancienne capitale de l'Espagne musulmane. Il s'était acquis une haute réputation par ses poésies et par divers ouvrages dans lesquels il déploya un grand savoir comme controversiste, comme philologue, comme botaniste, comme historien et comme géographe.

Parmi les nombreux écrits d'El-Bekri, on cite une démonstration de la mission divine de Mahomet, une vue générale des plantes et des arbres de l'Andalousie, un commentaire sur les anecdotes philologiques d'Abou-Ali-'l-Cali (1), un commentaire sur les proverbes recueillis par Abou-Obeid (2), un traité sur la dérivation des

(1) Pour l'histoire de ce philologue célèbre, on peut consulter le dictionnaire biographique d'Ibn-Khallikan, traduit en anglais par M. de Slane, vol I, page 210.

(2) La vie du grand philologue, Abou-Obeid-El-Cacem-Ibn-Sellam, se trouve dans la traduction d'Ibn-Khallikan, vol. II, page 486

En l'an 402 (1011-2), lors de la guerre civile qui amena la chute de l'empire oméïade en Espagne, Abou-Zeid suivit l'exemple des autres chefs et se posa en souverain indépendant ; puis, ne pouvant lutter contre des voisins aussi ambitieux et plus puissants que lui-même, il se mit sous la protection du seigneur de Niebla (1).

En l'an 443 (1051-2), son fils et successeur, Abou-'l-Mosab-Abd-El-Aziz, se laissa enlever Huelva par El-Motaded-Ibn-Abbad, souverain de Séville ; et, pour se tirer avec avantage d'une position qu'il n'aurait pas pu conserver, il vendit le territoire de Saltès au prince dont il venait d'éprouver, à son détriment, l'esprit envahisseur. Devenu plus avisé à la suite d'une expérience qui lui avait coûté si cher, il usa d'un tour d'adresse que la mauvaise foi d'El-Motaded rendait bien nécessaire ; et, s'étant esquivé avec ses trésors, il se réfugia dans Cordoue, ville qui obéissait alors à Djehwer-Ibn-Mohammed, ancien garde-des-sceaux des khalifes Hicham et El-Hakem. Il y amena son fils, qui sortait seulement de l'enfance et qui attirait déjà tous les cœurs par les grâces de sa figure, la vivacité de son esprit et l'étendue de ses connaissances littéraires. Ce jeune homme se nommait Abou-Obeid-Abd-Allah-El-Bekri, le même qui

---

bre de bons renseignements. Jusqu'à présent, on ne trouve, en aucune langue européenne, un ouvrage qui fasse mieux connaître l'histoire de l'Espagne musulmane.

(1) En 1849, M. le professeur Dozy publia à Leyde, le premier volume d'un recueil de mémoires sur l'histoire de l'Espagne arabe pendant le moyen âge. Cet ouvrage, intitulé : *Recherches sur l'histoire politique et littéraire de l'Espagne,* renferme plusieurs traités qui nous font enfin connaître, d'une manière claire et satisfaisante, quelques parties de l'histoire de cette péninsule pendant la domination musulmane. La notice sur le Cid est une véritable révélation ; après l'avoir lue, on sait à quoi s'en tenir au sujet de ce noble aventurier, qui avait beaucoup de belles qualités, mais qui ignorait également les sentiments du patriotisme et ceux de l'humanité. Dans un chapitre de treize pages, M. Dozy a réuni et discuté avec beaucoup de jugement, les renseignements épars que les historiens arabes nous fournissent au sujet des Bekrides ; tout ce qui se trouve ici relativement à cette famille est emprunté à la notice du savant et spirituel hollandais.

sitaient pas à sacrifier les intérêts de leurs sujets et même ceux de la religion.

A l'époque où notre auteur écrivait, c'est-à-dire, en l'an 460 de l'hégire (1067-8), une partie de ces dynasties avait disparu, mais il en restait encore plusieurs : les Abbadites régnaient à Séville, les Zîrides berbers à Grenade, les Beni-di-'n-Noun à Tolède, les Houdites à Saragosse, les Beni-'l-Aftès à Badajoz, les Beni-Abi-Amer à Valence, les Beni-Taher à Murcie et les Beni-Maan à Almérie. Dénia et les îles Baléares avaient aussi leurs souverains.

Au nombre des familles qui se partagèrent les dépouilles des Oméïades, il s'en trouvait une dont le souvenir aurait péri si elle n'avait pas donné le jour à un homme qui se distingua dans la carrière des lettres. Vers l'an 392 de l'hégire (1001-2 de J.-C.), pendant que le sultan Hicham-El-Mowaïyed occupait le trône, un arabe, nommé Abou-Zeid-Mohammed-El-Bekri, fils d'Aiyoub, cadi de Niebla, et aïeul de notre auteur, obtint le gouvernement de Huelva et de Saltès. La ville de Huelva, en arabe *Ouelba*, est située sur l'Océan atlantique, au confluent du Gibraléon et du Tinto, et à vingt lieues à l'O.S.O. de Séville. La langue de terre qui sépare ces deux rivières et qui a toujours été renommée pour sa fertilité, porte, chez les écrivains musulmans, le nom de l'*île* (c'est-à-dire, de la *presqu'île*) *de Chaltîs*. Ce dernier mot est la représentation arabe de *Saltès*, nom qui se trouve inscrit sur un document géographique de la plus haute importance, la Carte catalane, dressée en l'an 1375. Vis-à-vis d'Huelva se voit l'île de San-Francisco de la Rabida, localité trop petite pour contenir une ville (1).

(1) Voyez *the History of the mohammedan Dynasties in Spain*, traduite de l'arabe d'El Maccari par M. de Gayangos ; vol. I, page 379. Cette traduction abrégée est accompagnée de notes qui fournissent un grand nom-

méridionale du Tell, avaient envahi et saccagé toutes les campagnes de la Tunisie et de Tripoli.

L'Espagne musulmane, dont la domination s'était fait sentir pendant l'espace d'un siècle dans les provinces de la Tingitane, n'y exerçait plus aucune influence. En l'an 422 (1031 de J-C.), la famille des Oméïades cessa de régner sur l'Andalousie, après avoir donné seize souverains à ce pays. Établie dans Cordoue, elle avait conservé le pouvoir pendant deux cent quatre-vingt-quatre ans, malgré la lutte incessante qu'elle eut à soutenir contre les Chrétiens de Léon et de Castille, et contre ses propres sujets, les Arabes, les troupes berbères, et les *Mowelled*, race moitié-chrétienne, moitié-musulmane. La dynastie oméïade succomba à la suite d'une longue guerre civile et entraîna dans sa chute l'unité de l'empire. Les chefs des grandes familles, les commandants de troupes, tant arabes que berbères, les gouverneurs de provinces, de cantons, de villes et de simples châteaux, tous se déclarèrent indépendants. Chacun de ces petits souverains se vit bientôt exposé aux attaques de ses voisins, et quelques-uns seulement parvinrent à se maintenir et à se faire respecter. Parmi cette foule de roitelets, il s'était trouvé beaucoup de princes aimant les lettres et la poésie, affables, généreux, braves, doués des qualités les plus aimables ; pour être parfaits, il ne leur manquait que la bonne foi. Leur arme favorite, c'était la trahison, toutes les fois qu'ils cherchaient à se débarasser d'un puissant adversaire, d'un homme suspect ou d'un parent incommode. Chez eux, l'ambition étouffait les sentiments d'humanité et les affections de famille. Voulant tous entretenir une cour magnifique, s'entourer de parasites et de flatteurs, soudoyer des historiens mercenaires, acheter les louanges des poètes et la bienveillance des hommes de lettres, il leur fallait beaucoup d'argent ; et, pour se le procurer, ils n'hé-

PRÉFACE.

A l'époque où Abou-Obeid-El-Bekri rassemblait les matériaux du grand ouvrage géographique, dont cette description de l'Afrique septentrionale forme une des sections principales, trois dynasties berbères possédaient la totalité de ce pays : les Zîrides, auxquels le khalife fatemide, El-Moëzz, avait confié le gouvernement des provinces qui forment actuellement la régence de Tripoli, celle de Tunis et notre Algérie ; — les Hammadites, qui avaient enlevé toute cette dernière région à leurs parents, les Zîrides, — et les Beni-Zîri-Ibn-Atîya, souverains de la ville de Fez et de presque toutes les contrées que les géographes de l'antiquité avaient désignées par le nom de Tingitane. A la suite de la grande invasion des Arabes nomades, événement qui eut lieu en l'an 443 de l'hégire (1051-2 de J.-C.), les Zîrides perdirent la plus grande partie de leurs états ; mais les Hammadites purent encore se maintenir quelques années ; et, fidèles à la politique des premiers sultans fatemides, ils n'épargnèrent aucun effort pour subjuguer le pays de l'*Extrême Ouest* (*El-Maghreb-el-Acsa*), nom qui s'applique encore à l'ancienne Tingitane. Les Beni-Zîri-Ibn-Atiya avaient commencé par gouverner, au nom des Oméïades espagnols, la ville de Fez et les provinces qui en dépendent ; puis, après la chute de cette dynastie, ils s'étaient déclarés indépendants. Depuis bien des années, les Idricides n'exerçaient plus d'autorité en Afrique, mais une quatrième dynastie berbère, celle des Almoravides, commandés par Youçof-Ibn-Tachefin, s'était déjà emparée de Sidjilmessa, du Dera et du Sous ; se frayant ainsi la voie à la conquête de l'Espagne. Les Arabes nomades, ayant occupé la frontière

A

MONSIEUR LE COMTE RANDON

MARÉCHAL DE FRANCE

SÉNATEUR

GOUVERNEUR-GÉNÉRAL DE L'ALGÉRIE

FONDATEUR DE LA SOCIÉTÉ HISTORIQUE ALGÉRIENNE

CET OUVRAGE

PUBLIÉ SOUS SON PATRONAGE ÉCLAIRÉ

EST DÉDIÉ

COMME UN TÉMOIGNAGE DE RESPECT ET DE RECONNAISSANCE

PAR SON TRÈS-DÉVOUÉ SERVITEUR

DESCRIPTION

DE

L'AFRIQUE SEPTENTRIONALE

PAR

ABOU-OBEID-EL-BEKRI

TEXTE ARABE

REVU SUR QUATRE MANUSCRITS ET PUBLIÉ SOUS LES AUSPICES

de

M. LE MARÉCHAL COMTE RANDON

Gouverneur-Général de l'Algérie

DESCRIPTION

DE

L'AFRIQUE SEPTENTRIONALE

PAR

ABOU-OBEID-EL-BEKRI

TEXTE ARABE

REVU SUR QUATRE MANUSCRITS ET PUBLIÉ SOUS LES AUSPICES

de

M. LE MARÉCHAL COMTE RANDON

Gouverneur-Général de l'Algérie





شبرا
الخيمة
تليفون
٢٢١٧٨٠١

